إبراهيم عبد المجيد

قطط العام الفائت

رواية

الدار المصرية اللبنانية

إبراهيم عبدالمجيد

قطط العام الفائت

رواية

الدار المصرية اللبنانية

إهــداء

إلى مدينة «لاروشـيل» الفرنسـية التي أمضيت بها شـهري ديسمبر ويناير الماضيين بين سحر موانيها ومياهها ومدارسها ومتاحفها وأهلها حيث كتبت المسودة الأولى لهذه الرواية .

وإلى "Centre Intermondes" المركز الفني والثقافي الرفيع الذي استضافني.

وإلـى كل العاملين فيه الذين أخصهم جميعًا بالشـكر، وأهدي لهم ولكل من أمضيت معه وقتا جميلًا هذه الرواية في صورتها الأخيرة .

في بلد يسمى «لاوند» قامت ثورة في اليوم نفسه التي حدثت فيه الثورة في «مصرايم».. هنا ما جرى في «لاوند»، وأي تشابه مع الواقع غير مقصود.

1

ابتسم الحاكم في دهشة وهو يرى أن أصابعه تمتد إلى الأمام. راح ينظر إليها وهو يقف في صالة قصره وقد اتسعت عيناه. قال لنفسه إنه خيال، أصابعي في مكانها. لكنه وجدها تمتد وتطول وتنزل إلى الأرض. راحت تمشي أمامه إلى كل أرجاء الصالة، وتصعد المقاعد التاريخية التي تركها الملوك القدامى للسلطة الجديدة التي انقلبت عليهم منذ عشرات السنين. رآها تتفرق على الجدران الأربعة البعيدة تمشي فوق لوحات الفنانين الكبار من أورُبا التي لم يبقَ منها إلا صور مقلدة. لقد قررت زوجته أن لا تترك صورًا حقيقية خلفهم إذا انقلب عليهم أحد من الجيش، كما انقلب زوجها على الحاكم قبله، أو إذا ثار عليهم الشعب.

كان يرى أصابعه تمشي حمراء وتتسلق الجدران كأنما تعاينها أو تباركها، وهو يضحك غير مصدق. قال في نفسه، مصيبة لو خرجت منها حيوانات تجري أمامه.

انتبه إلى أن مدير المحن والأزمات «مُز» تخرج من أصابعه الثعابين. لا يعرف ذلك عنه إلا مَن عذَّبهم، وحين يقولون ذلك

يعتبرونهم مجانين، بينما هو على يقين مما يقولون. الحاكم وكل رجاله لم يكونوا يعرفون أن اختصار المحن والأزمات هو «ما» وليس «مُز»، وحين أوضح له أحد الكتاب الكبار هذا الخطأ اللغوي في أحد اللقاءات، قال له وما لها «مُز» على الأقل حاجة حلوة تمز فيها! ومن يومها صارت «مُز» هي الحقيقة.

بدأت أصابعه تعود شيئًا فشيئًا وتنكمش من جديد. أحس بألم شديد في أطرافه. رآها تضخ ويزداد الألم. في اللحظة التي كاد فيها يصرخ، انفجرت أصابعه وقفزت منها طيور بيضاء نزلت إلى الأرض تلتقط الحبوب التي ملأت الصالة الواسعة التي يقف فيها في قصره. راح يضم أصابعه إلى صدره من الألم. لقد عادت أصابعه إلى حالها وطولها الطبيعي. لكنه يسمع صوت الطيور ترف أجنحتها وهي تحاول الطيران ولا تستطيع. نادى بصوت مرعوب:

- سناء. يا سناء.

دخل الخادم العجوز بجلبابه الأبيض وفي وسطه حزام من القماش الأزرق. انحنى وهو يقول:

- تحت أمرك يا مولاي.

قال الحاكم منزعجًا:

- مَن أنت؟ وكيف وصلت إلى هنا؟

قال الخادم وهو ينظر إلى الأرض:

- أنا خادمك يا سيدي منذ خمسين سنة.

- خمسون سنة!؟ هل مرت عليَّ خمسون سنة هنا؟

- يطول عمرك يا سيدي وسوف تمر خمسون أخرى.

تردد الحاكم لحظة، ثم قال:

- أقصد كيف وصلت أمامي. ألم ترَ الطيور على الأرض؟

تلفت الخادم وقال مندهشًا:

- لا توجد طيور على الأرض يا مولاي. ليس عليها إلا السجاد الشيرازي القديم كما هو.

صرخ فيه:

- إذن اذهب ونادي سيدتك.

عاد الخادم حائرًا بينما وقف الحاكم يتلفت حوله يتأكد أنه في قصره. كل شيء كما هو في مكانه. النجف في السقف والمقاعد في الأجناب والمناضد الصغيرة وكل ما حملته السفن من مزادات أثاث قصور العصور الوسطى في أوربا، وكل ما تركه الملوك السابقون هنا، بعد انقلاب الجيش على آخر الملوك!

دخلت زوجة الحاكم مرعوبة وهي ترتدي فستانها الفرنسي الطراز والمادة والنسيج. بادرته بالسؤال وهي تنتفض:

- هل عرفت ما جرى؟

- لا.

- ألم يخبرك أحد من مساعديك؟

- لا. ماذا حدث؟

- الشباب الذين يتجمعون ضدك في الميدان صاروا متجمدين مثل تماثيل من حجر.

نظر إليها لحظة مندهشًا يمنع ابتسامة، ثم انطلق يضحك ويقول:

- كنت أعرف. هذه نهاية كل ظالم!

* * *

وقف وزير الأمن والأمان «مَم» في قاعة الاجتماعات بين ضباطه الكبار - بالمناسبة وزارة الأمن والأمان لا يختصرها أحد، بل تُنطق باسمها كاملًا في هذا البلد لكن على طريقة الحاكم جعلها الوزير «مَم» وليس «آآ»، وعلى طريقة الحاكم قال على الأقل «مَم» تلاقي حاجة تأكلها - قال وزير «مَم» لضباطه وهو يضحك:

- أنتم مجانين لتقولوا لي هذا الكلام.

صاروا يضحكون أكثر وقال أحدهم:

- هذا ما جرى بالضبط.

- يمكن أن أصدقكم حين تقولون إنهم تجمدوا من البرد. لكن أن يصيروا أحجارًا أو كالأحجار فهذا خرف.

قال اللواء سامي أبو عامود مسؤول الإعلام:

- لقد صورت كل شيء يا معالي الوزير ويمكن أن تراه الآن.

- كيف صورته وأنت هنا؟

- إنها صور حية يا سيدي. فيلم قصير لمدة خمس دقائق فقط صورته طائرتنا الهليوكوبتر وهبطت كعادتها في الوزارة. لقد أصدرت لها الأوامر أن تقدم تقريرًا عمًا في الميدان فكانت هذه الصور المفاجئة.

- لا بأس. اجلسوا.

كانوا خمسة جنرالات تلمع رتبهم وسط ضوء الغرفة المغلقة النوافذ. اللواء سعاد فايز رئيس قوات مكافحة الشغب، واللواء ستقر فايز رئيس المباحث العامة، واللواء سامح أبو فرش رئيس مباحث المخدرات، واللواء سامي أبو عامود مسؤول الإعلام، وواحد بالزي المدني هو اللواء سرّي فايز رئيس حماية الدولة. كانوا في غرفهم بالوزارة لا يغادرونها منذ صباح أمس الجمعة. لم يكن ممكنًا لهم أبدًا ترك الوزارة والمظاهرات تملأ البلاد. حتى بعد أن ملأ الشباب الميدان الكبير لم يكن ممكنًا لهم ترك الوزارة، فالشوارع المحيطة بها تمتلئ بالشباب الذي يحاول دخولها ولا يمنعهم إلا مدرعات ودبابات الجيش وقنّاصة أعلى سطح الوزارة يطلقون الرصاص على مَن يقترب. كانوا يتابعون كل شيء بالتلفزيون في محطاته الأجنبية

التي تؤكد لهم وهي تدين القنص أن القناصة لا يزالون يعملون. كانت مشاهد الشباب وهم ينقلون المصابين من زملائهم إلى المستشفيات التي أقاموها حول الميدان الكبير تسعدهم وتؤكد لهم أنهم في مأمن رغم أن قوات البوليس في كل مكان من البلاد تركت مهمتها في الساعة الخامسة يوم أمس الجمعة وانتصر الشباب الذي قرر أن لا يترك الميدان إلا بخلع الحاكم وإسقاط النظام.

كان الضباط الكبار مرهقين متعبين. رغم وجود أسِرَّة وحمَّامات وكل ما يحتاجونه، لكنهم تركوا ذقونهم، ولم يكن لدى أي منهم الرغبة في الاستحمام. لم يكن ممكنًا اليوم أن يتندر الوزير على تشابه أسمائهم الذي يكاد يجعل بعضهم من عائلة واحدة وهم ليسوا كذلك، ولا على أشكالهم المتقاربة التي تجعلهم مثل توائم زاد التقدم في السن من تشابهها، ولا أن يتندر على اسم رئيس مباحث المخدرات سامح أبو قرش الذي يشي بالمخدرات ذاتها، ولا «أبو عامود» مسؤول الإعلام. يعرف الوزير أن اسمه هو «عوّاد العبد الحبشي» أيضًا يثير الاستغراب. كانوا في قلب الحقيقة التي جرت وهي أنهم هُزموا شر هزيمة أمام الشباب فماذا يمكن أن يفعلوا اليوم حقًّا؟

ما إن جلس قبلهم اللواء سرّي فايز حتى صرخ وهو يقف متترًا يمسك مؤخرته بيده ويقول:

- لا تجلسوا. شيء حاد ظهر في المقعد.

كان ينظر إلى المقعد الخالي من كل شيء وهم يضحكون، بينما راح يضع يده على مؤخرته إذ شعر بشيء يبلل منها. رفع يده أمامه فرأى عليها دمًا. أدار يده بينهم وقد اصفر وجهه. اختفت ضحكاتهم وتبادلوا النظر في رعب. اقترب اللواء سعاد فايز رئيس قوات مكافحة الشغب وحمل المقعد يحملق فيه.

- لا شيء في المقعد. سأجلس أنا عليه.

صرخ اللواء سرّي فايز:

- لا. اجلس على مقعد آخر. قد يكون هذا المقعد ممسوسًا، لا أحد يدري ما الذي يحدث في البلاد.

جلس اللواء سعاد فايز والثلاثة الآخرون كل على مقعد غير المقعد الأول فلم يحدث شيء. نظروا إلى بعضهم في دهشة. قال الوزير للواء سرّي فايز:

- أنت الوحيد الذي جرى له ذلك. رئيس حماية الدولة. طبعًا العين عليك. اذهب إلى أقرب مستشفى ولا تعد إلا شافيًا. مش ناقصة بواسير!!

ابتسم الأربعة الآخرون لكن اللواء سرّي فايز المصاب قال:

- لكن..

- لا تقل لي الطرق خطرة. لقد تجمد الثوار عملاء الاستعمار ولن تجد إلا أتباعنا في الطرقات.

مشى اللواء سرّي فايز رئيس حماية الدولة المصاب، على مهل غير قادر على الإسراع، بينما الوزير والأربعة الباقون ينظرون إلى نقط الدم النازلة منه على السجاد، فهتف له الوزير:

- بسرعة. لقد هرّبنا كل أموال البلد إلى الخارج ولن نجد ما نشتري به سجادًا آخر.

ثم نظر إلى اللواء سامي أبو عامود مسؤول الإعلام وقال:

- اعرض علينا الفيلم.

***

- ماذا سنفعل الآن؟

كانا اثنين، هما السر عسكر ناظر الحربية، ومدير المحن والأزمات «مُز» في طائرة حربية. مدير المحن والأزمات «مُز» معروف بشيطان الأزمات عند الحاكم ولا يعرفه أحد إلا الحاكم ودائرة صغيرة من الوزراء ونادرًا ما يظهر في الصحف وإذا ظهر فتحت لقب مختلف. حتى مَن يُعذِّبهم نادرًا ما يرون وجهه، فوجوههم مُغطَّاة وعيونهم مُغلقة. قال مدير «مُز»:

- ليس أمامنا إلا الهبوط وإعلان الخبر لمولانا الحاكم.

قال السر عسكر ناظر الحربية:

- سننزل طبعًا. لكن ماذا سنقول لمولانا؟ هل سنقول له الحقيقة إننا صعدنا وألقينا عليهم غازًا مخدرًا من الطائرة أم صعدنا نراقب المشهد فحدثت معجزة إلهية وتجمّد كل مَن في الميدان؟

- ليس أمامنا إلا أن نقول ذلك. إنها معجزة من السماء. وهذا هو ما حدث بالفعل.

قال ذلك مدير المحن الأزمات «مُز» فنظر إليه السر عسكر وهو يهز رأسه مندهشًا. لقد كان هو صاحب فكرة إلقاء الغاز على الثوار من السماء. قال إنه غاز لا يقتل. فقط يسبب تجمد الأعضاء، وإنه حين يرى الثوار في كل المدن ما جرى في الميدان الكبير لن يأتوا إلى العاصمة ولن يستمروا في أماكنهم. سيصيبهم الإحباط.. قال السر عسكر:

- وهل سيصدقنا مولانا الحاكم أمير باشا أبو العساكر. هو ماكر جدًا. داهية كما تعرف. لقد فعلنا ما يحبه وإن لم يطلبه منًا. المهم الآن ماذا سنفعل بعد؟

قال مدير المحن والأزمات «مُز»:

- أمام الثوار يومان من التجمد، نكون فيهما قد انتهينا من مفاوضاتنا مع الفريق الأكثر تنظيمًا. فريق الشيخ شمعدان. ستنتهي القصة حين يصحو الثوار من غيتهم ويرون أن الشيوخ خانوهم.

هز السر عسكر رأسه وقال:

- رغم أني أعرف أن الثوار لن يستجيبوا حتى لو ماتوا لكن لا بأس. فلننزل إلى الأرض إذن وعليه الآن أن يرحل.

نظر إليه مدير المحن والأزمات «مُز» يفكر كم يريد السر عسكر أن يحل محل الحاكم. لكن هل يمكن؟

***

وصل إلى قصر الحكم وزير الأمن والأمان «مَم» والسر عسكر في وقت واحد. كان وزير الأمن والأمان «مَم» متخفيًا في زي امرأة منقبة. سأله السر عسكر ساخرًا ومبتسمًا في دهشة:

- ما الذي فعلته بنفسك؟

- لم يكن أمامي غير ذلك. بين مقر الوزارة وقصر الحاكم طرق يمكن أن يظهر فيها ثوار آخرون لم يتجمدوا. أنت تأتي من مقرك بالطائرة الهليوكوبتر.

- وأنت أليس لديكم طائرة هليوكوبتر؟

- لدينا لكن قائدها بعد أن صور الميدان وعاد شتمنا وقال كيف تقتلون كل هذا العدد من الناس وترك الوزارة. للأسف أصابته القناصة من فوق المبنى وهو يغادره متخيلة أنه من الثوار!

سكت السر عسكر لحظات ثم قال:

- اتركنا وعد إلى مكتبك. ما ستحدث فيه الآن لا علاقة لك به.

نظر إليه وزير الأمن والأمان «مَم» غاضبًا ومرتبكًا. لكنه لم يجد أمامه إلا أن يطيع. انتهى الزمن الذي كان فيه لقائد البوليس قيمة وأهمية. كما أن السر عسكر يريد السلطة. بل هي في يده الآن. انتهى الزمن الذي كان فيه الحاكم يعتمد على قوات البوليس. لقد هرب الجنود والضباط. خلع الجنود لباسهم العسكري وعادوا إلى بلادهم بالملابس الداخلية. هرب الضباط ولاذوا ببيوتهم. لقد خذلوه هو

قائدهم الذي أعطاهم كل الصلاحيات للقتل والتعذيب. لا شك صار ضئيلًا الآن في أعين الجميع. لم يكن أحد يعرف أن لعنة من السماء ستصيب الثوار ويتجمدون تحت الشتاء!

- ماذا تنتظر؟

هتف السر عسكر فقال الوزير:

- حتى لو عرفت أن الثوار تجمدوا في الميدان؟

- أعرف كل شيء ونحن الذين فعلنا ذلك. عد إلى مكتبك كما قلت لك. انتهى دور البوليس وابحث لنفسك عن اسم جديد للوزارة أفضل. لا أمن ولا أمان رأيناه منكم. حتى اختصار اسم وزارتك «أمَم» يعني تآكل بسرعة!

انصرف وزير الأمن والأمان «أمَم» صاغرًا. مشى مرتبكًا يفكر فيما قاله السر عسكر وفيما وصف به وزارته ويشعر أن نهايته اقتربت. قرر حين يصل إلى مكتبه من جديد أن يعرف ما الذي فعله السر عسكر حتى يجمِّد الثوار في مكانهم. لا بد من أنهم ألقوا عليهم مخدرًا من الفضاء. كيف لم يعرف رجاله؟ لقد قُتِل طيارهم ولم يعرف منه الحقيقة ولم يخبر أحدًا بذلك. سيأمر رجاله بالذهاب إلى الميدان متخفين في زي النساء المنقبات ليلقوا على الثوار ما يعيد إليهم الوعي، حتى يصغر مَن صاروا كبارًا في عيني الحاكم. لكن هل لديه ما يفعل به ذلك؟ وهل لو فعله لن يعرف أحد بالأمر؟ إن رجاله مخترقون بالجواسيس! لكنه سيقاوم ولن يترك منصبه بسهولة أبدًا.

دخل السر عسكر على مهل ليجد الحاكم أمير أبو العساكر جالسًا على جانب من مؤخرته يتألم وزوجته إلى جواره تحاول أن تقيمه ليقف ولا يستطيع. وقف مندهشًا لحظة لكنه تقدم بسرعة إليهما.

- ما الحكاية؟

- أوقف مولانا الحاكم معي وستعرف.

قالت زوجة الحاكم ذلك. أوقفه جاذبًا إياه من تحت إبطيه فوقف الحاكم يضحك ويقول:

- أنا لا أصدق أن يدي تطول إلى هذا الحد.

كانت يده قد طالت وامتدت إلى الخلف ولصقت بمؤخرته ولا يستطيع جذبها. وأردف الحاكم ضاحكًا:

- الحمد لله أن يدي كلها في الخارج ولم يدخل إصبع منها.

أمسك السر عسكر يد الحاكم بكلتا يديه وجذبها بقوة فانفصلت عن المؤخرة بسهولة حتى إنه كاد يقع على ظهره. قال:

- ماذا جرى يا سيادة الحاكم؟ يدك لم تكن ملتصقة بشيء.

- قل لها. قلت لها ذلك ولم تصدق. أوهمتني أنها لا تستطيع جذبها.

تركت زوجة الحاكم المكان في ضيق وجلس هو والسر عسكر متقابلين. صمتا لحظات حتى قال الحاكم:

- هل رأيت ماذا حدث للشباب في الميدان؟

- رأيت يا مولانا.

- احملوهم وألقوهم في الصحراء.

- سنفعل ذلك سيادة أمير باشا أبو العساكر لكن مهم جدًا الآن أن تترك العاصمة «لاوندة»..

- أنا. لماذا؟ أنت مجنون.

- الله الذي سخط الثوار أحجارًا أمرني أقول لك ذلك؟ لو ظللت في الحكم سيعيدهم إلى الحياة تارة أخرى.

- فليعودوا. البوليس سيتكفل بهم.

- انتهى زمن البوليس. لقد هرب كل رجاله أمس؟

- قل شيئًا آخر. وزير الأمن والأمان «مَم» كلمني بالتليفون وقال لي إن كل شيء تحت السيطرة.

- ستترك البلاد سيدي الحاكم وسنديرها نحن. هذا هو الضمان الوحيد لحياتك. ما دمنا معك لن يطولك أذى. إذا لم توافقنا ستكون أغضبت الله الذي سخط الثوار وسيعيدهم.

نظر إليه الحاكم مندهشًا غير مصدق ما يقول وابتسامة رفيعة تريد أن تتسع فيمنعها:

- هل صرت الشيخ شمعدان ولا أعرف؟

- سيادة الحاكم لقد استخدمنا كل حيل الدنيا خمسين سنة ولم ننفع. سننصاع إلى الله مرة.

- أنت تريد أن نكون الحاكم. أليس كذلك؟

- أقسم لك إني لن أفعل ذلك ولا أحد من رجالي. سنترك الشعب يختار وهو سيختار مَن يعيدنا إلى الصورة.

- يعيدكم؟ ولا يعيدني أنا؟

سكت السر عسكر فنظر الحاكم إليه نظرته الماكرة وقال:

- سأستمع إلى كلامك لكن عاهدني ألا تخونني وتقدمني لأي محاكمة.

- أعاهدك مولاي وسيدي.

وقف الحاكم وصرخ:

- سناء.

جاءت زوجته مسرعة مضطربة فقال:

- أعدّي كل ما تريدين أن نأخذه معنا. سنترك الحكم ونعيش في الصحراء على جبل الوحوش حيث قصرنا الجميل يرى البحر كله.

وقفت ذاهلة فأردف قائلًا للسر عسكر:

- جهز لها طائرة خاصة تشحن فيها كل ما تريد من قصور الحكم إلى الخارج. هي لن تسافر. ستبقى معي. لكنها سترسل مَن يضع الأموال والتحف الباقية في البنوك الكبرى.

- تحت أمرك سيدي.

قال ذلك السر عسكر ووقف فقال الحاكم ضاحكًا:

- هل نسيت قدراتي الخارقة التي لم أستخدمها أبدًا مع الشعب؟

نظر إليه السر عسكر مرتبكًا فأردف الحاكم:

- كم شخصًا ألقيته العام الماضي في الأعوام السابقة؟

أجاب السر عسكر في ذهول:

- كثيرون.

- كم شخصًا ألقيته في العام قبل الماضي؟

- كثيرون جدًا.

- جميل. نحن الآن في التاسع والعشرين من يناير. لم أُلقِ أحدًا منذ بدأ العام.

- أجل يا سيدي.

- أنت الذي رفضت أن أستخدم قدراتي الفائقة في الإلقاء بالثوار إلى العام السابق. قلت لك دعني أُلقيهم جميعًا هناك فيأتوا على مهلٍ ويستغرقوا عامًا ليصلوا إلينا من جديد، حتى نكون قد أقمنا الاستعدادات الكافية، لكنك رفضت. لم أكن أعرف أنك تدبر للثورة ضدي أن تنجح.

- سيادة الحاكم. لا تتضايق مني. جنابك لم تُلقِ بأحد في أي وقت في سنة سابقة. أنت تحكي لنا أنك تفعل ذلك ونحن نصدقك.

- هكذا؟

- أجل يا مولاي، وانتبه لن أقول لك سيادة الحاكم مرة أخرى.

- إذن تعالَ.

قال الحاكم أمير أبو العساكر ذلك في غيظ، وأمسك بالسر عسكر بيديه، فحمله بسهولة وقذفه في الفضاء فطار. انفتح له السقف وهو يصرخ ولم يسقط على الأرض مرة أخرى.

كانت زوجة الحاكم تقف بالباب ورأت ذلك فتجمدت ذاهلة. لم ترَ من قبل رجلًا في الثمانين يحمل رجلًا في السبعين ويلقي به إلى أعلى فلا ينزل. قال الحاكم لها منفعلًا حين رآها:

- أريد سيارة الحكم المدرعة بسرعة. سأُلقي بكل مَن في الميدان إلى العام السابق. وربما لعشرين عامًا قبل ذلك ليعودوا بعد أن أموت. لا. سأرميهم في أقرب عام حقًا فإذا عادوا رميتهم من جديد وهكذا حتى يظلوا هناك ولا يعودون أبدًا من اليأس والتعب!



ركبت جوار زوجها الحاكم تصفق بيديها في فرح. لقد عرفت ذلك عن زوجها ممَّا يقوله لكنها تراه اليوم لأول مرة. لقد ألقى بالسر عسكر

في التاريخ! كان مدير المحن والأزمات «مُز» سليم باشا القانونجي قد ظهر فأمره الحاكم أن يقود السيارة. راح يقودها متجهمًا، هتفت سناء هانم قائلة له:

- لماذا لا تضحك؟ هل أنت حزين من أجل السر عسكر؟

لكن الحاكم قال:

- هو هكذا لا يضحك إلا حين يحضر حفلة تعذيب.

تساءلت مندهشة:

- تعذيب! هل تركت إدارة المحن والأزمات إلى حماية الدولة ولا نعرف؟

لم يرد سليم باشا القانونجي مدير الـ «مُز» وازداد تجهمه فقال الحاكم:

- فيبوتشا ترسل إلينا متهمين من الإرهابيين. يقوم باللازم ليعترفوا.

سكتت الزوجة لحظة ثم ابتسمت وقالت:

- ولماذا تفعلون ذلك يا مولاي؟ ما دامت لديك القدرة على إرسال الناس لأعوام سابقة.. إبعتهم وخلاص!

قال الحاكم:

- اقترحت عليه ذلك فلم يصدقني. قلت له نضحك على الفيسبوكيين، لكنه يحب أن يخرج على التعذيب. ألا ترين تكشيرته. فاكراها صناعي؟ لا. طول النهار يتخيل نفسه يعذب متهمين. عايش في معتقل! أحيانًا تتحول ذراعاه إلى ثعبانين.

هنا ابتسم مدير «مُز» وضحكت سناء هانم. قال الحاكم:

- أرِها كيف تتحول ذراعاك إلى ثعبانين.

قال مدير «مُز»:

- لا داعي يا جناب الحاكم. سناء هانم لن تحتمل.

هتفت سناء هانم:

- تتكلمان جادين؟

أجاب مدير «مُز»:

- مولاي عنده حق يا مولاتي.

- إذن لا تفعل ذلك أمامي الله يخليك.

ابتسم سليم باشا القانونجي مدير «مُز» وهو يقود العربة المدرعة للحاكم. كان الطريق خاليًا إلا من بعض العربات العسكرية. دبابات على مسافات بعيدة وعربات عسكرية مدرعة فوق كل منها أحد الجنود يقف خلف المدفع الكبير. وأضواء المصابيح تنير الفضاء فيتسع بالرهبة من أثر الخلاء كأن شعبًا لا يعيش هنا وكأن ثورة لم تقم وتشعل الشوارع بالغضب، قالت سناء هانم:

- غريبة! لا أثر لأي مظاهرات هنا.

قال الحاكم:

- ولا في أي شارع. كلها صور فوتوشوب ضحكوا عليَّ بها حتى أترك الحكم. سنصل إلى الميدان نجده خاليًا وسترين.

ثم تحدث إلى مدير «مُز» ضاحكًا وقال:

- صاحبك الذي خدعني بذلك كله الآن في العام الماضي لا يجد مَن يجلس معه في اجتماع سرِّي مثل الذي أبلغتني عنه ورقيتك بعدها. اجتماع يفكرون فيه كيف يتخلصون مني.

قال مدير «مُز»:

- يا افندم اسمح لي أقول لفخامتك إنه لم يقصد إلا الخير، ثم إنه سيأتي بعد عام. أخشى أن فخامتك حين ترسل الثوار ينضم إليهم ويعود معهم.

ضحك الحاكم ساخرًا وقال:

- كان يمكن أن أقذفه لعشر سنوات إلى الخلف لكني خشيت أن يموت ولا نعرف عنه شيئًا. قلت عام واحد يكفي فإذا مات نودعه بجنازة عسكرية. هذا واجبنا نحو العسكريين دائمًا ولا يجب أن نتخلى عنه. حتى مَن يعادينا منهم ما دام لم يقتل منا أحدًا، ولم يقم بانقلاب علينا.

سكت مدير «مُز» الذي فكر للحظة أنه يقصده بالحديث عن القتل والانقلاب فقال الحاكم:

- المهم الآن أن تنتبه إلى الطريق حتى نصل إلى الميدان سالمين.

مشت السيارة التي يقودها سليم باشا القانونجي مدير «مُز» بنفسه على مهل. كل الشوارع خالية. الكوبري العلوي الذي نسير عليه السيارة الآن خالٍ من السيارات والناس. لا رائحة دخان للقنابل التي قيل إنها استخدمت ضد الثوار. كاد الحاكم يسأل كيف حقًا لا توجد رائحة لقنابل الدخان إذا كانت قد حدثت ثورة، لكنه شاهد أعلى الكوبري مدرعة شرطة محروقة بعدها بقليل مدرعة أخرى معطلة وقرأ على جانبها «الشعب يريد إسقاط النظام».

بدأ يشعر بجدية ما حدث. انتهى الكوبري العلوي فوجد عند المنزَل شبابًا نائمين ممددين أو جالسين. صرخت سناء هانم:

- ما هذه الجثث؟

قال مدير «مُز»:

- ليست جثثًا. إنهم الشباب مخدّرين. لم تكن معجزة يا سيدتي. ذلك ما فعله العسكر الذي ظلمه فخامة الحاكم. لن نستطيع أن نتقدم بالسيارة أكثر. شكل الشباب المخدّر فوق الأرض سيرعبك سيدتي.

قال الحاكم:

- ولماذا لم يقُل لي ذلك. للأسف فكر أن يخيفني بقوة الله. في كل الأحوال هو يستحق ما جرى له.

هتفت سناء هانم:

- أخشى أن يفيقوا من المخدر. سيقتلوننا. إنهم آلاف ممددون في الطريق.

قال مدير «مُز»:

- ملايين يا سيدتي لكنهم لن يفيقوا الآن. المخدر قوي جدًا وأمامه يومان على الأقل حتى ينتهي أثره.

- انزل لنتهي بسرعة.

قال الحاكم ذلك وفتح باب السيارة. مشى على مهل من منزل الكوبري العلوي. لا يستطيع أن يسرع. هو الذي بلغ الثمانين. مدير المحن والأزمات «مُز» بلغ السبعين. تمامًا مثل السر عسكر ووزير الأمن والأمان «مَم». مشى الاثنان على مهل. رائحة دخان القنابل لا تزال في الفضاء. على الرصيف الشباب ملقون. بنات وأولاد. وحول المتحف الكبير شباب ملقون على الأرض مخدرين. اقتربوا من الميدان فرأوا عربات الجيش عليها عدد من الجنود مخدرين أيضًا فوق أسلحتهم. قال الحاكم:

- لقد خدرتم الجنود!

- لم يكن أمامنا غير ذلك. لم يكن ممكنًا أن نأمرهم بترك الميدان فينتقل الثوار إلى قصر الحكم.

تساءل الحاكم:

- هل صحيح هتف الشباب الجيش والشعب إيد واحدة؟

- صحيح يا افندم.

- مؤدبون جدًا!

قال الحاكم ذلك ساخرًا فقال مدير «مُز»:

- شباب مراهق. شباب الفيسبوك يا مولاي. شباب من العالم الافتراضي.

قال الحاكم في ضيق:

- فيبوتشا سبب كل البلاوي. هي التي اخترعت الفيس زفت دا.

كانا قد صارا وسط الميدان. آلاف ممددون على الأرض وعلى النجيل. الكل نائم من أثر التخدير. البنايات القديمة العالية تبدو نائمة أيضًا من أيام الملكية والاستعمار كأنه لم يمر عليها زمن ولم يسكنها بشر. نوافذها المفتوحة لا يبدو أن خلفها أحدًا، ونوافذها المغلقة تبدو مغلقة منذ عشرات السنين. لقد دخل المخدِّر إلى البيوت ونام مَن فيها. لا بد.

- لاوندة حلوة جدًا والناس نائمة.

قال الحاكم ذلك فقال مدير «مُز»:

- جدًا يا مولانا.

تساءل الحاكم:

- هل تعرف لماذا اختار شباب لاوند أن يثوروا في نفس يوم ثورة شباب مصرايم؟

- أكيد هم على تواصل يا مولاي.

- هناك لا تزال الثورة مشتعلة ولا نعرف مصيرها.

- حاكم مصرايم ليس لديه قدراتك يا مولاي وتوقعاتي أنهم سيخلعونه. لقد انضمت إليهم جماعة النصحية والهدى هناك وسيحكمون عليهم بعد ذلك ويسرقون الثورة.

سكت الحاكم لحظات بدا فيها يفكر ثم قال:

- سألقي بالشباب في الزمان إلى الخلف وإذا احتجت سألقي بجماعة النصيحة والهدى.

تساءل مدير «مز»:

- هل ستستطيع يا مولاي إرسال هذه الآلاف إلى الأعوام السابقة. إنهم أكثر من مليونين. وهل سترسلهم في وقت قصير؟

لكن الحاكم تساءل:

- قل لي كيف وجدتم مخدرًا يكفي هؤلاء جميعًا؟

أجاب مدير «مُز»:

- الشيوخ يا سيدي. جماعة «النصيحة والهدى» يشتغلون في التخدير من زمان. كان لديهم مئات من البراميل من هذا المخدر، وكانوا مستعدين لإلقائها على الشعب كله ليصحوا فيجدوهم في الحكم ويقتلوننا ونحن نيام.

نظر الحاكم إليه منذهولًا فاستمر مدير «مُز»:

- لا تقلق. لقد قبضنا على زعمائهم وشيخهم الكبير «شمعدان» واستولينا على ما لديهم. قلنا لهم أن يأمروا شبابهم بالنزول إلى الميدان أمس بعد أن احتله الثوار ليبدوا وكأنهم شاركوا في الثورة.

ازدادت دهشة الحاكم فقال مدير «مُز»:

- أجل. توقعنا أن ينجح الشباب في الوصول إلى الميدان، فقررنا التعاون مع جماعة النصيحة والهدى لسرقة الثورة إذا نجحت.

- غريب أمرك. تقول قبضنا عليهم وتقول اتفقنا معهم.

- قبضنا على زعمائهم يوم 25 قبل يوم الجمعة بثلاثة أيام، واتفقنا معهم وهم بين أيدينا. نفذوا ما نريد ولما عرفوا أننا استولينا على المخدر وعدناهم أن لا نستخدمه ضدهم.

- لكن كيف سنميز بينهم وبين الثوار الآن؟

- لا تشغل بالك يا مولاي. هم عبيد السادة، حتى إذا انتصروا سيكون من السهل الضحك عليهم، وسيكون كل أملهم العيش في ظل حمايتنا لنشر أفكارهم. متلازمة أستكهولم يا افندم. ما أكثر ما عذبنا رؤساءهم.

ابتسم الحاكم وقال على طريقته حين يدخل في الهزار:

- متلازمة أمك!

ابتسم مدير «مُز» الذي نادرًا ما يضحك. الذي لا يضحك إلا عند التعذيب كما يقول الحاكم عنه. قال الحاكم:

- شوف البنات نايمة مفشخة على الأرض لزاي؟

سكت مدير «مُز» فقال الحاكم:

- ما رأيك نهزر قليلًا معهن. تكشفهن لي من تحت. كام واحدة كده بدل الهَمّ اللي أنا عايش فيه!

ابتسم مدير «مُز» من جديد وقال:

- لا يمكن يا افندم.

- لماذا؟

- ست البنطلونات تجمدت؟

- إذن اكشف مرتديات الفساتين.

- لا يمكن يا افندم.

قال الحاكم في ضيق:

- كله لا يمكن لا يمكن. إنهن مخدرات ولا أحد معنا.

- معنا ربنا يا افندم يرى كل شيء.

نظر إليه الحاكم ساخرًا فقال مدير «مُز»:

- وهناك أقمار صناعية لا بد تصور المكان الآن. جوجل لا يترك شيئًا بلا تصوير.

- قلت لي! صح. لكن هل أنت متأكد أن هؤلاء هم كل الثوار؟

- لا طبعًا. لكن إذا اختفى مليونان وأكثر يا سيدي ستكون مهمة الباقين في كل البلاد الصمت وينسى الجميع الثورة. لكن لم تقل لي هل تستطيع حقًّا أن ترسل كل هؤلاء إلى أعوام سابقة؟

- سترى. لكن لضخامة العدد سيكون الإرسال إلى العام الماضي فقط. إلى يناير الماضي. بعضهم سيسقط في الطريق «عند» فبراير ومارس وغيرهما من الشهور، لكن القليل هم مَن سيسقطون قريبًا من نهاية العام. إرسالهم بعيدًا جدًا على مراحل أفضل طبعًا لكن هل يمكن تخديرهم لشهر كامل؟

هز مدير «مُز» رأسه وقال:

- لا يا سيدي. سيموتون..

- إذن يكفي عام واحد إلى الخلف. توكلنا على الله.

صار سليم باشا القانونجي مدير المحن والأزمات «مُز» مندهشًا جدًا. يتصور أنه في حلم أو خيال. لقد استطاع الحاكم أمير باشا أبو العساكر إلقاء كل الثوار المخدرين في الميدان إلى العام الماضي. لم يحملهم بين يديه. وقف رافعًا يديه أمامه يحركهما من أسفل إلى أعلى ومع كل حركة يرتفع عدد هائل من الشباب يطير أمامه إلى السماء ويبتعد حتى يختفي. وقف الحاكم مبتسمًا يقول له:

- ما رأيك؟ ها هو الميدان صار خاليًا تمامًا. تركت الجنود مخدرين ومَن في الدبابات الأربع التي في بدايات الشوارع. أرسل أحدًا ليفيقهم بعد أن نترك الميدان.

كان مدير «مُز» لا تفارقه الدهشة حتى إنه تفصَّد عرقًا حول عنقه في هذا الجو البارد فسأله الحاكم:

- هل تمطر عليك وحدك؟

- لا يا سيدي إنه العرق.

- تعرق في يناير!؟ هكذا يمكن أن تموت في الصيف.

- لا أصدق يا سيدي ما فعلت.

- معك الحق طبعًا. لقد أرسلت إلى العام الماضي مَن في الشوارع الجانبية أيضًا. هل تحب أن نمشي فيها لتتأكد؟

هنا ضحك مدير «مُز» وتألق وجهه. قال:

- أنا الذي تخرج الثعابين من يدي لم أعد أساوي شيئًا أمام فخامتكم.

- إذن هيا نعود لنُطمئن سناء هانم.

وعادا إلى السيارة المدرعة. في الطريق قال الحاكم:

- أنا لديَّ هذه القدرة من زمان. لم أخبر أحدًا بها إلا الهانم ولم تصدقني. هل تذكر الصحفي الذي أخفته وزارة الأمن والأمان ولم يُعثر له على أثر؟

- أجل يا مولاي. لقد أذابوه في الحامض.

ضحك الحاكم. انتشر رنين ضحكته في الفضاء الواسع ثم قال:

- كذابون، أرسلته خمسين عامًا إلى الخلف قبل أن يصلوا إليه.

- لكن يا مولاي لقد قدم لي وزير الأمن والأمان «مَم» تقريرًا بما فعلوه.

- هل رأيتهم؟ مجرد تقرير. ذهبوا فلم يجدوه. بحثوا عنه أسبوعًا كاملًا ولم يهتدوا إليه. وخوفًا من أن أقيله لفشله قال إنه أذابه في الحمض.

سكت مدير «مُز» غير مصدق. قال الحاكم:

- ما المشكلة إنه كان على علاقة بعشيقة وزير الأمن والأمان «مَم». هذا الوزير نفسه يضع في مكتبه قمصان نوم حريمي للنساء اللاتي يعاشرهن بعيدًا عن زوجته.

لم يرد مدير «مُز» فاستطرد الحاكم:

- أنت الوحيد بين رجالي الذي يعرف أن ربنا موجود.

ظل مدير المحن والأزمات «مُز» صامتًا وإن أعجبه كلام الحاكم أمير أبو العساكر. بدأ يفكر في أنه من الصعب التخلص منه، وأن حلمه أن يكون مكانه سيتأخر كثيرًا ما دامت لديه هذه القدرة العجيبة. لكنه على نحو مفاجئ وقف ومد يديه إلى الأمام فطالتا وتحولتا إلى ثعبانين يهرولان زاحفين على الأرض ويفحّان ويخرجان لسانيهما ويبتعدان عنهما برأسيهما والحاكم يبتسم ويقول وهو يرى الثعبانين يدوران على الأرض من بعيد:

- لم سلاحك. سلاحي أجمل، لا يترك خلفه آثارًا. أي إنسان ستلدغه ويموت ستكون له جثة.

لمَّ مدير «مُز» ذراعيه فتراجع الثعبانان بسرعة. أسرعا إلى العربة المدرعة والحاكم يقول:

- أمام الشباب الطائش عام كامل حتى يعود. المهم الآن أن نفكر ماذا سنقول للشعب الجالس في بيوته وللعالم. أين ذهب الثوار النعساء؟



في قصر الحكم جلس الحاكم أمير أبو العساكر مع زوجته. كانت شاردة لا تصدق ما جرى. تنظر إلى زوجها الحاكم الذي يحتسي فنجان قهوة وأمامهما شاشة التلفزيون الكبيرة تبث آخر الأخبار. كان المذيع يتحدث عن اختفاء مفاجئ للشباب من الميدان الكبير. لقد اقتنعوا بأن ما فعلوه خطأ فانصرفوا جميعًا. قال إنه سيذيع مفاجأة من العيار الثقيل وسيظهر بعد قليل مَن أقنعهم بذلك. قال الحاكم لزوجته:

- مدير «مُز» شغَّال تمام منذ عدنا.

لكنها لم ترد. بدت شاردة وعلى ملامحها شيء من الغيظ تحاول إخفاءه، والمذيع المتحمس يتحدث عن خطأ الشباب الذي كاد يضع البلاد في كارثة، ويتلقى الاتصالات التليفونية من المشاهدين، والحاكم يبتسم في دهشة.

«يا افندم أنا اسمي حسن حسين حشان كنت في الميدان مع الشباب. كنت فرحان جدًّا لكن فجأة لاقيتهم كل اتنين بيبوسوا بعض. وأكتر من كده بينزلوا محطة المترو اللي ما بتشتغلش ومش عايز أقول بيعملوا إيه. بس برضه بصراحة كان فيهم عيال جدعان بيتكلموا قد إيه ظلموا الحاكم. ولازم يمشوا»

«يا افندم أنا أم أيمن بياعة الساندوتشات في الميدان. أنا شفت الشباب بيعيط على الحاكم ويقول ماكناش في وعينا مشينا ورا شوية عملاء. إزاي توصل المسألة إن الممثلة الكبيرة أروى شعير ما تعرفش

نجيب بيتزا لحفيدها. قد إيه حرمنا الناس الحلوة من كل حاجة حلوة»

«يا افندم أنا أحمد علوان. أظن حضرتك عارف إني من الثوار وأكيد تعرف صفحتي على الفيس بوك اللي عنوانها: «ما تخافش» أنا أول ما نزلت الميدان جاني هاتف من ربنا بيقول لي اطلع. أقنعت شباب كتير ولاقيتهم كمان بيفكروا زيي. إحنا بنعتذر للحاكم»

خلال ذلك كانت صورة الميدان الخالي تملأ الشاشة والكاميرا تدور في كل مكان فيه تؤكد خلوه من البشر. والحاكم يتابع المشاهد في ابتسامة وفرح الذي يعرف بكذب كل ما يذاع.

وقال المذيع. فاصل ويظهر معنا أكبر مَن ساهم في خروج الشباب من الميدان والعودة إلى منازلهم.



في ذلك الوقت كانت الفتاة الجميلة تنظر في المرآة لتؤكد لنفسها ما يقوله الناس من أنها تشبه تمامًا الممثلة العظيمة الراحلة سعاد حسني. جسمها الصغير الرشيق. عيناها السوداوان الواسعتان، وشفتاها هما أقرب ما يجعلها تشبه سعاد. ما إن ترى وجهها حتى تشعر بالسكّر والشهد ينسكبان من شفتيها وتتمنى لو قبلتهما ووضعت فمك بينهما تمص شهدهما شفة بعد شفة. حتى لو قبلتك وشفتاك مذمومتان تشعر بالدنيا من حولك قد زالت إلا من برزخ يمرح فيه آلهة الأوليمب. حتى

لو سحبت شفتيها قبل أن تفتح شفتيك تغمض عينيك وحدهما على الهوى الذي حار فيه الأحياء من الشعراء فجعلوه طريقًا إلى وحدة الوجود والتماهي مع الخالق الذي فرق كل عبره وسكره على شفاه الأحباء فما بالك بها وقد جمعت في شفتيها كل ما فرقه الله على المحبين!

انتهت من «تسريح» شعرها الأسود القصير فرأته قد طال فجأة ونزل على كتفيها. كيف حدث هذا وقد قصَّت شعرها أمس؟! ابتسمت. الكون يحشد لها ما تريد من أثر شهي لن يعرفه إلا مَن يلمس شعرها وجهه بعد أن تلمس شفتاها شفتيه.

كانت قد ارتدت بنطلونًا أبيض لم تحبه واسعًا ولا ضيقًا، وفوقه بلوزة خفيفة بيضاء، فوقها جاكيت جينز يميل إلى الرمادي، قصير مطعم بالزهور البِنك واحدة فوق أحد الجيوب والثانية أسفل الجيب الثاني. ارتدت حول عنقها شالًا صغيرًا رماديًا، مشبَّعًا بالزهور الصغيرة عقدته من المنتصف فصارت أطرافه مثل زهور ألوانه. لقد نامت أمس ورأت نفسها تُقبل شبابًا قيل إنهم فقدوا الحياة. استيقظت باسمة وأدركت أن هناك مهمة تنتظرها في بلد بعيد. فردت ذراعيها فظهرت على جانبيها أجنحة بيضاء. سيعطيها الإله قوة بيجاسوس الحصان المجنح، أو سيرسل إليها بيجاسوس نفسه. وقفزت في الغرفة فإذا بالسقف ينفتح وتخرج منه إلى الفضاء. صارت تضحك وتندهش رغم الخوف الذي ألمَّ بها. قررت الهبوط فهبطت في منتصف الغرفة

من جديد ثم قفزت. لم تعد تفرق بين الحلم والحقيقة. لكنها تشعر بنفسها خفيفة. وامتدت الأرض أمامها وزالت الجدران فرأت نفسها فوق الفرس المجنح بيجاسوس في صحراء واسعة. مَن أرسلها إلى هذه الصحراء غير الإله الذي يرعاها. لن تفكر في العودة ولتظل تطير وتركض ولن تشعر أبدًا بالظمأ.



ضحك الحاكم بقوة وضرب كفيه في بعضهما وهو يرى أمامه على شاشة التلفزيون الشيخ شمعدان الذي يسمونه بذلك بينما يرتدي دائمًا بدلة من أحدث الموضات. إنه رئيس جماعة «النصيحة والهدى». هؤلاء الذين مضت عليهم عشرات السنين يحاولون فيها الوصول إلى الحكم ويفشلون. يلجأون للإرهاب ويفشلون. يخرج منهم يائسون من العمل السلمي يكونون جماعات مسلحة ويفشلون. عرفتهم السجون في كل سنوات القرن الماضي وفي عهده كان أقل سجنًا لهم. ترك لهم الشارع يلعبون بعقول الناس بشرط أن لا يفكروا في الحكم. وكلما فكروا في الحكم قُبض على قادتهم وعلى رأسهم هذا المسمى بالشيخ شمعدان. اسمه يثير الضحك. فالشمعدان أنواع منها الكبير والصغير يحمل الشموع تضيء المكان، لكنه أيضًا تحمله الراقصات وفيه الشمع ويرقصن به في المواخير الفقيرة، لكنه لم يتخلَّ عن اسمه. كان الشيخ شمعدان يتكلم وهو، الحاكم، يضحك وينظر إلى سناء زوجته التي بدت ذاهلة عنه. قال الشيخ شمعدان:

- لقد تركنا الأمر لشبابنا يقرر ما إذا كان سينزل مع الثوار الميدان أم لا. كنا ضد النزول فدرء المفسدة مقدَّم على جلب المنفعة، لكن بعد نجاح الثوار في الوصول إلى الميدان أصدرنا أوامرنا لشبابنا أن يلحقوا بهم وقلنا لهم ألا يمر اليوم دون أن يؤثر كل منهم في عشرة أو عشرين من الثوار لينسحبوا من الميدان على أمل مضمون وهو أن الحاكم أمير باشا أبو العساكر سيكمل مدته بعد عام ولن يترشح مرة أخرى. لقد نجح شبابنا في إقناع الثوار وها نحن نهدي هذا النجاح للسيد الحاكم أمير أبو العساكر لينفذ وعده في حينه ولا يخذلنا.

ارتفع ضحك الحاكم أكثر وقال لزوجته:

- كذاب. اجتمع معه مدير المحن والأزمات سرًّا في سجنه، واتفق معه أن ينزل شباب جماعتهم بعد وصول الثوار إلى الميدان ويظلوا فيه حتى نحتاجهم فيخذلوا الثوار، على أمل أن يكون لهم الحكم قبل غيرهم. ولم يتعظ من درس التاريخ أن كل ما وعدتهم به الدولة لم تنفذه وانقلبت عليهم. ههههههههه

ونظر إلى زوجته وقال:

- ما لكِ لا تشاركينني حتى في الضحك!

قالت في حسم:

- عرفت الآن أين ذهبت النساء اللاتي خنتني معهن حين كنت قويًّا. لقد أخفيتهن في سنين سابقة حتى لا أنتقم منهن.

نظر إليها وقد تغير لون وجهه إلى الأصفر والأسود. قال:

- فيمَ تفكرين ونحن في مصيبة كبرى؟

- أفكر فيما قلته لك، وأنا على صواب.

قال:

- كان أسهل لو قذفتك أنتِ إلى القرن الأول بعد الميلاد لتعيشي عارية في الغابات. هذا هو خطئي.

وقفت وقالت ساخرة:

- مَن يدري، قد تفعلها.

وقف وتقدم منها على مهل بينما تزم شفتيها في غيظ وهمَس:

- ما رأيتِه من قدرات عندي لا يمكن استعمالها مع أقرب الناس إليّ إلا في الخير، وليس أقرب منك حبيبتي منذ الشباب وأم أولادي.

لكنها لم تقتنع. استدارت وأسرعت مبتعدة عنه ووقف هو يبتسم. تذكر أنه يومًا فكر في اسمه. لقب جده البعيد «قنطروس»، فهل كان جده إنسانًا على جسد حصان كما عرف من الأسطورة حين بحث عن معنى الاسم الذي لم يبحث عنه من عائلته أحد؟

ما سمعه في طفولته من قصص العائلة أن جدّهم البعيد كان تاجر أقطان. تجارة الجد كانت كبيرة تملأ مخازن ضخمة وأراضي خالية أمام المخازن، ولأن القنطار هو وحدة الوزن المتداولة في تجارة

القطن الكبيرة أطلق عليه الناس لقب قنطروس قاصدين أنه يمتلك بقناطير مقنطرة من القطن. كان يصدق هذه الحكاية رغم مولده بين أسرة فقيرة ويبرر أبوه الفقر بأن حريقًا أتى على كل ما في المخازن مما جعل الجد يموت قهرًا وتنتهي التجارة!

الآن لا يصدق هذه الحكاية. لماذا يصدقها وقد ظهرت معجزاته؟ يصدق أن جده هو القنطروس الأسطوري. سيطلب من وزير الأمن والأمان «مَم» أن يأتي إليه بكل مَن يحمل اسم قنطروس من غير عائلته. سيتحقق له أن لا أحد يحمل هذا الاسم إلا هو وأفراد عائلته الذين رحل أغلبهم وأمر الباقين بالاختفاء بناءً على تعليمات زوجته. هو المقدس القديم بين هذا الشعب وهو صانع المعجزات!



في غرفة مكتبه جلس مدير «مُز» سعيدًا يبتسم. لم تعد غرفته في مبنى المحن والأزمات السري تحت «جبل الزمرد» الذي لا يظهر في أي خريطة معروفة أو غير معروفة. بل لا يعرف أحد أين يقع جبل الزمرد هذا. ربما كان تمويهًا على المكان الحقيقي في منطقة ما وسط العاصمة. إنها الآن في مقر الحكم الشهير جنوب العاصمة. القصر الذي كان يومًا مشفى لمرضى السُل يأتون من العالم إليه في هذه البقعة الخالية من أي تلوث. كان ذلك قبل ستين عامًا. بعد ذلك فقدت المنطقة خاصيتها الفريدة في الدنيا وامتلأت بالتلوث من مصانع الأسمنت والحديد والصلب لكن القصر ظل كما هو. يحمل الهواء

التلوث لكنه لا يدخل به إلى القصر. يدخل الهواء نقيًا كأنما هبط من السماء إلى هنا في التو. الحاكم يفضِّل المكان المسحور، والشعب يتصور أنه يعيش بينهم يعاني ما يعانونه. لا يعرفون القوة السحرية للقصر التي تجعل الحاكم يعيش كأنما هو فوق جبل الأوليمب. أو جبل الوحوش الذي فوقه قصره الفخم الذي لا يدخله إلا نادرًا.

لقد طلب الحاكم من مدير «مُز» أن ينقل مكتبه إلى قصره حتى تمر المحنة التي لم يتوقعها أبدًا. شباب طائش أكثره بلا عمل غير الكلام التافه على الفيس بوك وتويتر استطاع أن يحشد البلاد كلها ضده.

كانت الأخبار السارة تأتي إلى مدير «مُز» بأن شباب الميادين الأخرى في البلاد بدأوا يتركون أماكنهم ويعودون إلى بيوتهم بعد أن عاد شباب الميدان الكبير! لكنه لم يرَ في هذه الأخبار ما يدعو إلى السرور. كان يتمنى أن تستمر الثورة تعجِّل بيوم رئاسته هو للبلاد. هل يمكن أن يطلق ثعبان يده ليدخل إلى غرفة نوم أمير أبو العساكر يلدغه لدغة الموت وتنتهي القصة؟ ستكون لديه دقائق قبل الموت. ولو حتى دقيقة واحدة. ولو حتى ثانية واحدة يستطيع فيها أن يلقي به إلى عصور ما قبل الإنسان. في هذه الحالة حتى لو تحول إلى ديناصور سينقرض. لن يهزم أحد هذا الحاكم. فليؤيده فيما يفعل وليوافقه فيما يقول لعل مَن وضع فيه هذه القوة التي تجعله يلقي بأعدائه في الزمان يتخلى عنه.

لكنه مدّ ذراعيه فوق المكتب فخرج من كليهما ثعبانان جديدان هذه المرة، لكلٍّ منهما رأسان ولسانان راحا يمتدان أمامه ويمشيان إلى الجدران يفثان السم على اللوحات الفنية المعلقة. انتبه لما يحدث ثم أدرك أنها لوحات غير أصلية، فالأصلية استولت عليها السيدة الأولى من كل قصور الحكم القديمة والجديدة واختفت. لكن سم الثعبانين لا يميز بين لوحات أصلية وغير أصلية. انتبه إلى أنه يمكن أن يخطئ ويقف متكئًا على الحائط ويلمس إحدى اللوحات فيقتله السم الذي أفرزه ثعباناه. ضم ذراعيه إلى صدره بهدوء فعاد الثعبانان إلى يديه. قبل أن يختفيا فيهما انحنى على كل منهما يقبله ضامنًا أنه لن يلدغه. هو الذي يطعمهما كل مساء بـ «بيوض» المعنيين! ما كاد الثعبانان يختفيان في أصابعه حتى وقف سعيدًا يصفق. ما أغباه من حاكم! قذف بالشباب إلى أول العام الماضي. سيعود الشباب ومَن معهم من الكبار ويعيدون كل ما جرى العام الماضي من اضطرابات ومظاهرات واعتصامات. إذن ستحدث الثورة من جديد وسينزلون الميادين وساعتها سيتخلى عنه. الحاكم الأبله الذي سيعيد كل ما جرى، قد يفقد في المرة التالية قدراته.

2

رمال تمتد إلى ما لا نهاية من كل ناحية. جبال بعيدة تقف منذ آلاف السنين. ليست عالية إلا فيما ندر. بينها هضاب يميل فيها اللون إلى الأحمر الداكن. مطر يملأ الفضاء يسقط على الجبال وينحدر منها هادرًا. سحب سوداء كثيفة تمتد تحت السماء. لا صوت للرعد ولا للبرق. هدوء لا يقطعه غير صوت المطر. المطر يدور حول دائرة كبيرة واسعة أكبر من الميدان الكبير في العاصمة ولا يتقدم إليها. فوق الدائرة أيضًا سحب لكنها لا تمطر. السحب الممطرة تتباعد في كل ناحية فتتقدم السحب الأخرى وتأخذ مكانها وتمطر لكنها كسابقتها لا تمطر فوق الدائرة الواسعة. المطر لا يزال ينزل من فوق الجبال لكنه لا يدخل إلى الدائرة الواسعة. يدور حولها ويبتعد عنها. ثعالب تتفرق على مسافات بعيدة حول الدائرة تنظر إلى ما فيها من نائمين، وإلى المطر الذي لا يتقدم إليها بينما يسقط فوقها هي لوقوفها خارج الدائرة وعدم قدرتها على التقدم فيها أيضًا. الثعالب كثيرة لكن تفرقها حول الدائرة الواسعة يجعلها قليلة، فالمسافات طويلة ومحيط الدائرة واسع. ثعلب يلتفت إلى آخر بعيد عنه فيرى الآخر ينظر إليه. يفهم كل منهما دهشة الآخر من عدم تقدم المطر إلى الدائرة الواسعة. يجري

ثعلب إلى آخر ويقترب منه. يقف لحظة مقتربًا برأسه من الآخر كأنما يسأله ماذا في المكان يمنع وصول المطر إليه. فكر ثعلب أن يتحرك داخلًا الدائرة فهدر رعد وبرَق برْق فتراجع وأدرك أن وسط الدائرة الواسعة محروس من الآلهة. رائحة البشر النيام بالآلاف وسط الدائرة مغرية للثعالب بالتقدم، والثعالب لا تستطيع. حمل المطر الزاحف من فوق أحد الجبال شيئًا مضيئًا بألوان زهور عديدة. ما إن اقترب من الأرض حتى وضحت ملامحه. إنها الفتاة الجميلة التي تشبه سعاد حسني على فرسها المجنح بيجاسوس. ما إن استوت واقفة على الأرض فوق فرسها المجنح حتى ضاع من فوق ثيابها كل أثر للمطر أو الرمل. حركت رأسها فاهتز شعرها الأسود الطويل. نظرت إليها الثعالب مندهشة. لم ترَ من قبل حصانًا له أجنحة. نظرت إلى بعضها كأنما تسأل عن سر هذا الحصان. لقد سمعت قصته من آبائها تناقلوها عبر القرون لكن ثعلبًا واحدًا لم يقل إنه رأى هذا الحصان. وفكرت في التقدم إليها لحظات لكن الفتاة كانت قد قفزت قفزة طويلة وصارت وسط النائمين. فكرت الثعالب أن تقفز خلفها لكنها لم تستطع. ظلت متجمدة في مكانها كأنما كُتِبَ عليها فقط أن ترى. نظرت إلى الفرس المجنح فرأته يرتفع إلى السماء ويختفي فوق الجبال. لا يستطيعون اللحاق بالفرس ولا الدخول إلى الدائرة الواسعة. ظهر الغيظ في عيونها فجربت التراجع فتراجعت. يمكن أن تتراجع لكن لا يمكن أن تتقدم إلى دائرة النائمين!

كانت الفتاة الجميلة تقف باسمة وتشير إلى الثعالب بالتحية التي كانت أشبه بالرسالة أن لا تقلق ولا تحاول أن تغدر بأحد. نظرت إلى وجوه النائمين القريبين منها. امتد بصرها إلى النائمين في الدائرة الواسعة. كم ينامون في سلام هم الذين ملأوا الشوارع بصوت الرعود! الشعب يريد إسقاط النظام. الشعب يريد إسقاط النظام. يقفون أمام عربات البوليس المدرعة. يهجمون على قنابل الغاز المنفجرة والتي لم تنفجر يعيدون إلقاءها على رجال البوليس وسط جو من الدخان الحارق. رصاص حقيقي يدوي صوته فيسقط من بينهم مَن يسقط يجرون به إلى أقرب رصيف ويتركونه مع آخرين يذهبون به إلى أقرب مستشفى. جاءوا إلى الميدان الكبير من شمال وجنوب وغرب العاصمة تراهم على شاشة التلفزيون وتحلم بيوم يحدث فيه هذا في بلدها. تأتي الأخبار بعدد القتلى والمصابين. هي لا ترى قتلى ومصابين على الشاشات. لا ترى إلا شبابًا يتقدم في حسم. صوت البنات يعلو على صوت الأولاد. عربات البوليس المدرعة تتعطل وتحترق والشباب جميعًا يهتفون بصيحات النصر. لا يتراجعون أبدًا. إذا تعثر عليهم الطريق يدورون حوله من طريق آخر. كانت ترى كل شيء يحدث في البلاد وهي في بلدها البعيد. ما لم تعرضه الشاشات كانت تراه أيضًا. تشهق متألمة مع كل شابة أو شاب يسقط قتيلًا برصاص رجال البوليس، وتصفق ببراءتها الطفولية وهي ترى رجال البوليس مع آخر اليوم يتراجعون في فزع ويهربون، ويتوسل الجنود الفقراء للناس أن يحموهم، فيقدمون إليهم الطعام ويرشدونهم إلى

محطة السكة الحديد التي سيعودون منها إلى بلادهم بعد أن خلعوا ثيابهم الرسمية ومشوا حفاة بالملابس الداخلية خوفًا من أن يتعرف عليهم أحد بعيدًا عن حماية الناس في كل حي. يوم يحتاج الى ملايين الصفحات صورًا وأحداثًا لكن تستعيده الآن. إنها تلخصه في كلمة وزير الأمن والأمان «مَم» التي أعلنها للسر عسكر بالتليفون ظانًا أن لا أحد يسمعه غيرهما «الشعب ركب»، سمعت هي المكالمة فصفقت كالأطفال. نظر إليها أبوها مندهشًا فقالت له: «أنا أسمع ما لا يسمعه أحد، وأرى ما لا يراه أحد»، وحكت له فهز راسه في دهشة ثم أصابه شيء من القلق. قالت:

- أشياء كثيرة تحدث في روحي لن أخبرك بها، وإذا غبت عنك لا تقلق فسوف أعود.

وقف الأب ضاحكًا ونادى أمها قائلًا:

- بنتك تتحول إلى ساحرة.

وقفت الأم مبتسمة فاستطرد:

- اسمعي منها واحتمي بها قبل أن تفقد عقلها.

إنها تبتسم الآن وهي تتصور أباها قلقًا من غيابها. لا بد أن تنتهي بسرعة قبل أن يحدث شيء وتستطيع الثعالب التقدم للنائمين. هذه الأعداد الهائلة كيف نقلها الحاكم المجنون بهذه السرعة إلى هنا.

لكنها ستفعلها في ساعة وسيمر الوقت على الثعالب كأنه شهر فتترك الثعالب المكان من أثر الجوع.

***

- أنتِ التي قبّلتِني؟

- لا. أنا أيضًا قبّلني أحد.

- فيمَ تتحدثان؟

- في القُبلة التي أفاقتنا.

- وأنا أيضًا أفاقتني قُبلة.

نظروا أمامهم فرأوا الشباب يستيقظون واحدًا بعد الآخر يدلُكون عيونهم ووجوههم بأيديهم. يتلفتون حولهم في دهشة عميقة. كل منهم يفكر كيف صاروا هنا ومَن فعل بهم ذلك. ولمحوها تتحرك بسرعة بين النائمين. رأوها تنحني على كل شاب تُقبّله فيصحو ثم إلى غيره.

- مَن هذه؟

- يا سبحان الله! ما الذي يحدث هنا؟

- انظر إلى المطر إنه يسقط بعيدًا ولا يتقدم إلينا.

- انظر إلى الثعالب البعيدة. كيف لم تدخل إلينا تأكلنا ونحن نيام؟

- هنـاك شـيء ما لا نفهمـه أتى بنا إلى هنا، وشـيء آخـر أفاقنا من غفلتنا.

وصـفق شاب بيديه سـعيدًا يمتلئ بالفرح:

- طعم البوسة يا جدعان على شفايفي.

نظروا إليه جميعًا وقالوا:

- ونحن أيضًا.

- حتى أنتن يا بنات؟

- حتى نحن.

بانت السـعادة على وجوه الجميع وراحوا يتابعـون الفتاة الصغيرة وهي تمر مسـرعة كقوس قزح بألوانه بين النائمين ولا تعود.

- أنا لمحتها لحظة قبل أن تبتعد عني. فكرت أنها الفنانة المشـهورة سـعاد حسـني.

- أنا كمان. والله العظيم هي سعاد حسـني.

- سـعاد حسـني ماتت يا جدعان. سـعاد حسـني ليسـت من بلادنا فلماذا تأتي هنا.

- لكـن هـي فعلًا سـعاد حسـني. هـل نسـيت أنهـا تركـت بلدهـا «مصرايم» في سـنوات عمرها الأخيرة وعاشت وماتت هنا؟

- لكن يمكن أن تكون أخرى تشبهها لبست فيها روح سعاد حسني.

- كل شيء جائز. المهم أننا قمنا من النوم. لكن مَن فعل فينا هذا؟ ألم ندخل الميدان الكبير متصرين؟! مَن أتي بنا إلى هذه الصحراء؟

قالت فتاة:

- كما أتوا بنا هنا سنعود. ليس مهمًّا أن نعرف كيف أتوا بنا هنا. المهم أننا صحونا من النوم. أجل. النوم. أنا فاكرة الغاز الذي رموه علينا من الطائرة وكنا فاكرينه احتفال بينا. هذا الغاز أفقدنا الوعي. وكما لم نعرف كيف أتوا بنا هنا، هم أيضًا لن يعرفوا كيف رجعنا. لن يصدقوا أن سعاد حسني قبّلتنا ورجعتنا كلنا تاني للحياة.

دقّ جرس الموبايل في جيب أحدهم فظهرت الدهشة على وجهه. أخرج الموبايل ونظر فيه.

- ما هذا؟ لقد مسحت هذا الرقم منذ سنة فكيف عاد؟

ابتسم مَن حوله مندهشين بينما يتحدث هو:

- آلو. أنتِ. ألم نقطع علاقتنا منذ سنة؟ تضحكين؟ تقولين لم نقطع العلاقة؟ طيب مع السلامة.

كانوا يضحكون بينما هو ينظر في الموبايل بعد أن أنهى المكالمة:

- ما هذا؟ التاريخ 30 يناير 2010.

دقَّ موبايل فتاة فأخرجته ونظرت فيه وعلت الدهشة وجهها:

- بابا. آلو أنا بخير يا بابا. ماذا تقول حضرتك؟ أترك وقفة الكورنيش ضد رجال الأمن والتعذيب!

لم تكمل. نظرت إليهم غير مصدقة. تأملت التاريخ.

- فعلًا. 30 يناير 2010 وبابا يمنعني أخرج للتظاهر على الكورنيش في بلدنا فاروس التي جئت منها لأشترك معكم.

نظر الجميع إلى موبايلاتهم قرأوا التاريخ. هتف أحدهم:

- لقد ألقوا بنا هنا حقًّا. لكن مَن أعادنا عامًا إلى الوراء؟

- يا ليلة سودا..

قال ذلك شاب آخر وجلس على الأرض ثم استطرد:

- كل ما فعلناه سنفعله من جديد! كل المشاكل التي تجاوزناها ستحدث ثانية. يعني ح يتقبض عليّ تاني في مبنى حماية الدولة وحاتعذب.

وصرخ:

- ولاد الكلب.

قال شاب بدا عليه التوتر الشديد:

- أنا مراسل السي إن سي في لاوندة. ضاعت الكاميرا وضاع زملائي مني. كيف أجدهم وسط هذا الزحام؟

هتفت فتاة:

- انظروا.. انظروا.

كانت تشير إلى السماء التي يأتي منها الحصان المجنح. وقف خارج الدائرة والسحب السود راحت تبتعد إلى الخلف بعيدًا في كل ناحية في السماء تفسح للنجوم متلألئة متألقة. كانت شبيهة سعاد حسني قد انتهت من المرور على النائمين جميعًا فكان منهم مَن يقف يتابعها غير مصدق ما يحدث وطعم القبلة على شفتيه، ومنهم مَن أسكره طعم القبلة فلم يقف وظل ينظر حوله. كانت هي قد صارت خارج الدائرة. مدَّ لها الحصان جناحه فصعدت عليه واستوت على ظهره وارتفع بها، وإذا بسحابة بيضاء تهبط مسرعة إليهما تلفهما وترتفع أكثر، بينما صيحات الدهشة وعدم التصديق لما يحدث، وإذا بالسحابة بعد أن ترتفع إلى مسافات بعيدة والعيون معلقة بها حتى كادت أن تختفي تظهر منها آلاف الطيور البيضاء قادمة بسرعة ناحية الأرض فأصاب الكثير الهلع كما أصاب الكثير الدهشة، لكن الطيور التي كانت بيضاء ما لبثت أن تفرقت حول الدائرة واختفت أجنحتها وأصوات سقسقاتها وصارت ورقًا ينزل عليهم يغرق على رؤوسهم فامتدت له أياديهم وأمسك أكثرهم به.

نظروا فوجدوا مكتوبًا بخط صغير جميل وبالحبر الأخضر:

«لا تقلقوا. الحاكم الظالم أتى بكم هنا وأعادكم عامًا إلى الوراء. لن أتخلى عنكم. كتير كتير باحبكم.. هدبل من أرض الشام وديروا بالكم سعاد حسني غير، لكن أنا باشبهها»

خيم عليهم صمت شامل. يتبادل بعضهم النظرات ولا كلام. ثم «نبحت» الثعالب فاهتزت البنات أكثر مما اهتز الأولاد وعادت السحب السوداء تشغل الفضاء فوقهم. اختفت النجوم وهطل المطر من جديد ونزل من فوق السماء والجبال يملأ الدائرة التي فرغت منهم تمامًا، وصارت الثعالب «تنبح» لأنها لا تجد أحدًا رغم أنها استطاعت دخول الدائرة الآن فصارت تجري هاربة من المطر إلى أوكارها بينما كان كل منهم، الآلاف التي قذفها الحاكم في الصحراء عامًا إلى الخلف، يقف على سطح منزله والفجر يصعد إلى الدنيا مبللًا بمطر خفيف نزل على العاصمة «لاوندة»، وينزل مسرعًا إلى أسرته يطمئنهم على عودته سالمًا من الميدان.



- هههههههههههههههههه

هكذا ضحك الحاكم وهو يجلس مع مدير المحن والأزمات «مُز». ثم استطرد:

- إذن نحن لدينا الآن أكثر من مليون شاب لا يعرفون موقعهم من الزمن. دعهم حيارى حتى يصابوا بالجنون أو يرحلوا عن البلاد. قلت لي كم انتحر؟

- عشرون حتى الآن.

- قلت لي أيضًا إنك بحثت في الصحراء عن السر عسكر وأحضرته؟

- قد لا يصدق الناس الشباب حين يتحدثون. قد نستطيع تكذيبهم في فضائياتنا وصحفنا، لكن السر عسكر إذا تكلم ستكون الكارثة.

- كيف؟

- هناك كثيرون يحبونه في الجيش ويصدقونه.

- سألقي بهم جميعًا إلى السنين الماضية.

- يا سيادة الحاكم أرجوك ابتعد عن الجيش. هو قوتك الوحيدة يوم الشدة.

- طيب. ماذا تطلب مني؟

- السر عسكر الآن في حيرة شديدة. كل شيء حوله يحمل تاريخ العام الماضي وهذا يذكره بما فعلت به. يجب أن ينسى.

- أستطيع إلقاء الناس في زمن ماضٍ لكن لا أستطيع أن أجعلهم يعيشون في زمننا إذا عادوا قبل الموعد.

- ليس على حضرتك أن تفعل أي شيء. سأفعل أنا.

- كيف؟

- سنصدر قرارًا بأن تاريخ اليوم هو الثالث من فبراير عام 2010 تلتزم به كل المصالح والهيئات والمدارس والشركات. كل البلاد يعني.

- تقصد أن نخدع الناس جميعًا حتى لا نهين السر عسكر ولا ينتحر شباب أكثر. موافق. لكن كيف سيصدقنا الناس؟

- هذه مهمتي.

فكر الحاكم قليلًا ثم قال:

- أفكر أن أقطع الكهرباء عن «لاوند» كلها ويعيشون كما كانوا قبل اكتشاف النار لكن المشكلة أنني سأشاهد أنا وأحفادي التلفزيون في الظلام!

ارتبك مدير «مُز» ثم كاد يضحك لكنه تماسك وقال:

- اترك لي الأمر يا مولاي. المهم أن توقِّع على هذا القرار.

وقدم له ورقة راح الحاكم يقرأها:

«باسم الأمة. في هذه الظروف العصيبة التي تمر بها البلاد قررنا نحن حاكم البلاد أن نصارحكم بالحقيقة. بعد دراسة متأنية للتاريخ الميلادي والهجري اتضح لنا أننا نسبق التاريخ الحقيقي بعام كامل، لذلك قررنا العودة إلى التاريخ الحقيقي والله الموفق والمستعان»

تردد الحاكم لحظات ثم قال:

- هذه صيغة تثير تشاؤمي لا أعرف لماذا.

ابتلع مدير «مُز» ريقه ثم قال:

- ستتابع الفضائيات وسترى كيف يمضي كل شيء على ما يرام.

3

جلس نزار ونورهان وأحمد خشبة ومصطفى يناقشون ما جرى. كانوا في شقة نزار الذي يعيش فيها مع أمه. نزار أكبرهم سنًا وأطولهم. في الثامنة والعشرين من عمره. محامٍ وهب نفسه للدفاع عن قضايا المطالبين بالحرية. نورهان في الخامسة والعشرين، صحفية لا تستقر في جريدة لأنها تدافع عن الحريات بشكل صريح، ومصطفى طبيب أسنان هادئ الملامح مريح الوجه. أحمد في العشرين وفي السنة الثانية بكلية الآداب قسم تاريخ، وهب نفسه للدفاع عن الحريات أيضًا في الجامعة وخارجها وهو أكثرهم نحافة. يقولون له متندرين: «طبعًا خشبة لازم تكون رفيع وناشف»، الأربعة في حركة «حنكسر قلة» التي تطالب برحيل الحاكم وتغيير النظام. هذه الحركة التي بدأت منذ عام ولم يكن أحد يتوقع أنها ستمتد إلى أعداد لا حصر لها من الشباب. تعرفوا على بعض من خلال الفيس بوك فأسسوا الحركة. كان نزار هو الداعي لتأسيسها. التقوا كثيرًا في مظاهرات بالميادين المختلفة. وكثيرًا ما التقوا في بيت نزار. لقد تغير تاريخ اليوم على صفحاتهم على الفيس بوك. كانت هذه مفاجأة جديدة أدهشتهم وحيّرتهم بعد

أن تغيـر التاريـخ على موبايلاتهـم وموبايلات كل مَـن يعرفونهم. قال أحمد مندهشًا:

- لقـد تغير التاريخ في مصـر كلها بقـرار من الحاكم، لكن أن يتغير على أجهزة المحمول فهذا لا يمكن فهمه.

قالت نورهان:

- لمـاذا؟ ألـم تقطـع شـركات المحمـول كلهـا الشـبكات مسـاء الخميـس 27 يناير ليلة جمعة الأمل. إنها شــركات عميلة للنظام يمكن أن تفعل أي شيء.

وقال مصطفى:

- مـا لا يمكـن فهمه هو تغير التاريخ على شـبكات الإنترنـت. هذه خارج قدرة النظام الحاكم. هل اتصلت الدولة بجوجل مثلًا؟

قال نزار بهدوء تميز به:

- دعونا من البحث في هذا. ما مضى قد مضى ولن يتكرر شيء إلا القبض علينا لإرهاقنا. إنهم يعرفون أننا لن نسكت. لقد تـرسَّبت أخبار أهـم من هذا الحديث. الذي ألقى بنا إلى الصحراء هو الحاكم نفســه. اتضـح أن لديه قدرات خارقة يمكن بها أن يلقي بالناس إلى سـنين بعيدة وبلاد بعيدة. لكن فيما يبدو وقفت قدرته عند عام واحد.

قال أحمد ضاحكًا:

- حاكمنا أمير أبو العساكر صار أحد وحوش العصور الوسطى.

ضحكوا. دخلت أم نزار حاملة صينية عليها أربعة فناجين من القهوة وقالت:

- لا تسمعوا إلى الخرافات. هذه إنتاج الأمن يريدون إرعابكم.

قالت نورهان:

- لكننا بالفعل لم نبت في الميدان إلا ليلة واحدة ووجدنا أنفسنا في مساء اليوم التالي في الصحراء.

- هذه كلها أوهام. تمامًا مثل وهم أن سعاد حسني هي مَن أعادتكم من الصحراء. كيف لفتاة أن تُقبِّل الآلاف على الأرض وتبعث فيهم الحياة؟ ثم ما علاقة سعاد حسني بالثورة؟ فنانة عظيمة في بلدها عاشت سنواتها الأخيرة هنا وأوصت أن تُدفن في بلدنا لا أكثر ولا أقل. لقد خدروكم بالغاز وتركتم الميدان تحت تأثير المخدر.

سكتوا لحظات لكن نزار قال:

- ماما. أرجوكِ اتركينا الآن. الماركسية لا تنفع في تفسير ما جرى فهو خارج نطاق العقل.

كان يشير إلى ماضي أمه مع أبيه المتوفى ونضالهما مع أحزاب اليسار السرية.

قالت الأم:

- سأتركُكم طبعًا تتناقشون وستصلون في النهاية إلى ما قلته لكم.

قالت ذلك وانصرفت. نظروا إلى بعضهم في صمت لحظات ثم ابتسموا. قال مصطفى:

- الإشاعات تقول أيضًا إن الحاكم ألقى بالسر عسكر ناظر الحربية إلى عام مضى، وإن مَن أعاده هو مدير «مُز».

قال نزار:

- علينا أن نعترف بأن ما جرى حقيقي. فكروا معي في حلول.

قالت نورهان:

- هو حل واحد فقط. نفعل كل ما فعلناه ولا نقع في يد البوليس. نخرج إلى نفس الأماكن ونتحدث نفس الحديث في المواقع الافتراضية وفي الحياة، وقبل أن يداهمونا نختفي فلا يجدون أحدًا.. مؤكد أن من سيقبضون علينا هم الضباط أنفسهم الذين فعلوها من قبل.

قال أحمد ضاحكًا:

- لن يُجديني أن أعرف الضابط الذي قبض عليّ ولا المكان الذي وجدني فيه. سيصلني في أي مكان يا نورهان. ليس هذا حلًّا ناجحًا. لقد فاجأنا أبو العساكر مفاجأة لم تخطر على بالنا والواحد كلما استخدم عقله فقده في هذا البلد!

ضحكوا ثم قال مصطفى:

- إذن نتوقف عن أي عمل سياسي حتى فبراير القادم..

انشغلوا لحظات باحتساء القهوة ثم وقفت نورهان صائحة:

- هل يمكن أن نصل إلى سعاد حسني؟ لو وصلنا إليها سنجد الحل. هو أبعدنا وهي أعادتنا. لها نفس قدرات الحاكم وتستخدمها في صالح الثورة.

ران عليهم الصمت لحظات. سؤال إجابته صعبة. الفتاة من بلاد الشام. لم تخبرهم بمدينتها ولا قريتها. فقط اسمها. هديل. في الشام مئات يحملن هذا الاسم إن لم يكن الآلاف. ثم مَن قال إنها حقيقة. ألا يمكن أن تكون ملاكًا من السماء انتحل هذه الصفات. الشكل سعاد حسني والاسم من الشام؟

سمعوا خربشات طائر على شيش النافذة، ثم ابتعد. لحظات وهم في حيرتهم وعادت الخربشات ورفرفة الأجنحة. طائر يريد أن يقف فلا يستطيع ويريد أن يدخل فلا يستطيع، لكن لماذا حقًّا لا يبتعد؟

- نفسي أشوف العصفورة دي؟

قالت نورهان ذلك ووقفت تفتح النافذة. قال أحمد:

- الدنيا برد ولن تجدي شيئًا. عصفورة مجنونة.

لكن رفيف الأجنحة يزداد فأسرعت نورهان وفتحت النافذة. دخل طائر صغير يرف بجناحيه ويحمل بين منقاريه ورقة بيضاء صغيرة تركها على الأرض ووقف ينظر ويُحرّك رأسه إلى كلٍّ منهم على حدة.

هتفت نورهان:

- يا ماما!

خرج الطائر مسرعًا من النافذة وابتعد وسط الظلام. انحنى نزار على الورقة التي تركها الطائر وهم ينظرون إليه غير مصدقين.

فتح الورقة المطوية طيات كثيرة وقال:

- نفس خط الأوراق التي سقطت علينا بعد أن حملت السحب هديل.

اقتربوا منه. راح يقرأ وهم ينظرون في الورقة:

«عيشوا حياتكم. ستضحكون في النهاية. ستكونون في يناير القادم في الميدان الكبير».

هتف أحمد:

- إذن فلنفضح النظام. معه قوة غير طبيعية ومعنا الميتافيزيقا نفسها. فيفا سعاد حسني. فيفا هديل!

4

وقف الشيخ شمعدان على المنصة أمام أنصاره. كان الوقت صباحًا والساعة العاشرة. القاعة مكتظة بأعضاء الجماعة من رؤساء مجموعاتها المتفرقة في البلاد. ملابس عصرية وملابس قَبَليّة. نساء مُحجَّبات ونساء مُنقَّبات. لحى طويلة صفراء وحمراء ولحى بيضاء وسوداء. الأضواء باهرة وشديدة من مصابيح كثيرة في نجف كريستال ضخم يتدلى من السقف وكذلك مصابيح على الجدران. على الأرض في الأركان مصابيح قوية ترسل أضواءها إلى أعلى. على الجدران أيضًا صور لمؤسس الجماعة تمثل مراحل من حياته حتى موته، وصور من جنازته. يبدو المكان كأنه متحف صغير، فبعد جدارين امتلئا بصور مؤسس الجماعة، صور أخرى لمَن خلفه في قيادتها حتى آخرهم الشيخ شمعدان. صور لبعضهم من وراء القضبان وأحدهم تحت المشنقة. كلها صور بالأبيض والأسود تعكس تاريخًا طويلًا قديمًا يمتد لعشرات السنين، إلا صورة الشيخ شمعدان فهي الوحيدة الملونة.

كان يجلس على المنصة خمسة من أعضاء المكتب القيادي لجماعة النصيحة والهدى، وكان الكلام يرتفع في الصالة. البعض

يضحك والبعض ظهر الغضب على وجهه. تحدث الشيخ شمعدان فقال:

- أرجوكم اصبروا. توقفوا عن المحادثات الجانبية. هذا يوم فاصل في تاريخ جماعتنا.

وانتظر لحظات حتى عمَّ الصمت ثم تلفَّت إلى أعضاء المكتب القيادي:

- هل يوجد هنا ممثلون للصحافة والفضائيات؟

جاءه صوت أحدهم:

- لم يعرف أحد شيئًا عن اجتماعنا، وعلى باب المبنى حراسة تمنع دخول أي أحد.

استطرد الشيخ شمعدان:

- على بركة الله.

ثم أخرج من جيبه علبة بها «نشوق» فتحها وغمس سبابته فيها، ثم وضع سبابته في فتحتي أنفه وعطس أكثر من مرة. سُمعت الأصوات «يرحمكم الله» واستطرد بعد أن مسح أنفه براحة يده:

- كان يمكن أن نفضح السيد الحاكم. لكن فكرنا أن نسجل موقفًا لديه لا ينساه حتى إذا خذلنا بعد ذلك لا يلوم إلا نفسه. وافقنا على اقتراح مدير «مُز» أن نقول ونشيع في الفضائيات والصحافة أن شبابنا

هم مَن أقنعوا الثوار على ترك الميدان. ووافقنا أن نشيع أن هناك خطأ في التاريخ الهجري والميلادي، وأننا يجب أن نعود عامًا إلى الوراء. هو، الحاكم، لا يعرف أن الثورة قادمة لا محالة، وأننا في المرة القادمة لا بد أن نصل إلى الحكم. وصولنا بنجاته هذه المرة. غير ذلك سنشعل البلاد بالنار والدخان. أو سنتركه للثوار يأكلونه. نحن نعمل الآن للوصول إلى رُقى وتعاويذ توقف قدراته في التحكم في الزمان والمكان.

دوى تصفيق حار فابتسم وقال:

- إن غدًا لناظره قريب. وإذا لم تنجح توقعاتنا، لكم أن تحاسبوني وكل أعضاء المكتب الرشيد لجماعتكم «النصيحة والهدى»، وتعزلوننا. أعطونا عامًا واحدًا وسنكون في الحكم. والآن تفضلوا بالأسئلة.

وأشار إلى سيدة منقبة. وقفت وقالت:

- أنا الأخت «أم علي» من مدينة فاروس. الإشاعات المغرضة كثيرة عن كيف باع الإخوة في جماعة النصيحة والهدى الثورة للنظام الحاكم. الآن عرفنا أنه أمام قوة الحاكم الخيالية اخترتم المهادنة حتى تصلوا إلى طريقة توقفونه بها عن هذه القدرات. وسؤالي هو: هل حقًّا أعادت الشباب إلى بيوتهم الممثلة الميتة المدفونة هنا سعاد حسني؟ هي من «مصرايم» وليست من «الاوند» فهل لأنها مدفونة هنا يمكن أن نفعل هذا؟

دوت القاعة بالضحك فاستطردت:

- أنا أسأل بجد. كل مَن كان في الميدان من الشباب عاد صامتًا ذاهلًا وإذا تحدث يقول إن سعاد حسني قبّلتهم قُبلة الحياة بعد أن فقدوا الوعي وأعادتهم بسحرها إلى بيوتهم.

استمر الضحك في الصالة، لكن وقف رجل من بين الحاضرين يطلب منهم عدم الضحك، ثم وقف شاب ودون أن يطلب الكلمة تحدث منفعلًا وقال:

- أنا أضم صوتي إلى الأخت. أنا لم أنفذ التعليمات بالانسحاب. أنا بقيت مع الثوار. خدرونا بالغاز حقًّا ووجدنا أنفسنا في الصحراء. قبّلتنا شابة تشبه سعاد حسني فأيقظتنا، وحين حملتها السحب هطل علينا ورق كثير يطمئننا أننا سنكون على أسطح منازلنا بعد دقائق وقد كان. والورقة موقعة باسمها، وهذه هي الورقة.

عاد الضحك ثم خفت مع بحثه عن الورقة في جيوب بدلته، ولما طال البحث عاد الضحك من جديد يعلو ويملأ القاعة فانفجر الشاب:

- تسخرون مني؟ طيب كان معنا مندوبون من الفضائيات الأجنبية والمحلية. الفضائيات المحلية أنكرت ما حدث. القنوات الخارجية لم تنكر.

قال الشيخ شمعدان:

- يا ولدي هم كاذبون. هكذا وصفناهم في قنواتنا المحلية التي أنكرت حدوث ذلك.

- يا مولانا أنتم علمتم بالتاريخ عامًا كاملًا لتبرئة النظام الحاكم من أي جريمة ارتكبها.

- أرجوك يا ولدي أعطِ الكلمة لغيرك؟

انفعل الشاب قائلًا:

- أنا لا أكذب ولكن آن الأوان للخروج من الجماعة.

ولم ينتظر الشاب. استدار خارجًا. قال الشيخ شمعدان لحراس الباب:

- أعطوه الفرصة ليخرج. سيعود إلى رشده وسنعفو عنه. أي سؤال اخر؟

سأله أحد الشباب:

- هل يمكن حقًّا الوصول إلى رُقى وتعاويذ توقف قدرات الحاكم الأسطورية؟

ابتسم الشيخ شمعدان وقال:

- مَن أعطاه هذه القدرات؟ الله سبحانه وتعالى، وهو قادر كما سخّر له هذا أن يُسخّر لنا ما هو أقوى منه. كل شيء بميعاد. وسأخبركم ببشارة. لقد وصل الشيخ «ألف خان» من «راجستان». هو

أحد أصحاب الكرامات في حركة «راجبان». هو الذي جعل الحركة تستمر حتى الآن رغم بغي فيوتنا واستخدامها لكل أنواع الأسلحة. هو يعمل الآن من أجل إيقاف قدرات الحاكم. إننا نخفيه في مكان غير معلوم. لكنَّ مَن يريد الوصول إليه عليه أن يتصل بنا ونصحبه في السر إليه. قدراته تبدأ من الشفاء من العقم والتعطل عن النكاح إلى دفع السحب في السماء وجعلها تمطر بعيدًا عن البلاد.

هنا قال عضو بالمكتب القيادي للجماعة:

- لقد عرف به الحاكم وقابله.

توقف الشيخ شمعدان في حيرة واضحة وأسف ظاهر. لقد بدا كذابا أمام القيادات الشابة. علت همهمات في الصالة لكنه استدرك وقال:

- لم أكذب عليكم. لكن في الأمر شيء من الخشية من الخروج عن الآداب العامة، لذلك أخفيت الخبر. ما لم يقله أخي في المكتب الرشيد سأقوله. الشيخ ألف خان لا يمشي وحده. معه قرين. قرين يعني نسخة منه في الشبه والجسد. إذا أراد أحد أن يقابله أرسل قرينه حتى إذا حدث مكروه مفاجئ يحدث لقرينه. لقد حضر إلى «لاونده» يوم 4 فبراير بالطائرة حيث كانت الفوضى ولا تزال في المطارات. عرفنا بعد أيام أن الحاكم يعاني من أمر خطير ومحرج للغاية. سامحوني يا أخواتي في الدين. أرجوكم لا تضحكوا يا شباب فقد يحدث لأي منكم. الحاكم هرش مؤخرته مرة فالتصقت يده بها واحتاج إلى

من يجذبها بقوة، أي والله، وهذا من الأسرار. صار كلما فعل ذلك انصقت يده فأصابه الرعب وصار حريصًا على ألا يفعل ذلك لكنه كثيرًا ما ينسى ويفعلها. اتصل بنا مدير «مُز» يسألنا إذا كنا نعرف رُقية أو تعويذة توقف ذلك. حدثناه عن الشيخ ألف خان. كيف وصل وكيف يحتاج تصريحًا منه بإقامته. وافق وأرسلنا إليه القرين وليس الأصل. قرأ التعاويذ على الحاكم وانفصلت يده. حصلنا على تصريح بإقامة الشيخ ألف خان وهم لا يعرفون أن لدينا اثنين. الشيخ وقرينه. هل ترونني كذابًا الآن؟ قلت لكم المسألة محرجة. سامحوني. هل من أسئلة أخرى؟

لم يرد أحد. كانوا يضحكون ويحاولون ضبط أصواتهم. قال:

- ظهرتم في البداية بمنظر الغضب والقلق. لعلكم ارتحتم الآن. دعونا نعمل في صمت حتى نقضي على قدرات الحاكم. ابتعدوا عن السياسة هذا العام حتى إذا قامت الثورة كنتم الأقوى إلا إذا طلبنا منكم ذلك. مَن يشكو منكم من ضعف جنسي رجلًا أو امرأة لا يخجل من الاتصال بالدكتور شعبان محمد أخوكم في المكتب القيادي لجماعتكم، وهو طبيب عالمي كما تعرفون، لكنه سيأخذ الشاكي سرًا إلى ألف خان ليختصر العلاج بالرُّقى. أريدكم أقوياء في النكاح لتملأوا الأرض بالأولاد وتعزّوا الإسلام بين الأديان. لا تنسوا أنكم في زمن قاهر. زمن الكيماويات في الأغذية والتقاوي المسرطنة، كل ذلك يؤثر على الإنجاب. أين أنتم من زمن الأجداد حين كان الواحد منهم يطوف على نسائه بغُسلٍ واحد!

5

اجتمع وزير الأمن والأمان «مَم» مع رجاله مبكرًا في الصباح. كان مساعده رئيس حماية الدولة الذي لم يستطع الجلوس من قبل حاضرًا وكالعادة هو الوحيد الذي يرتدي زيًا مدنيًا. بدا مترددًا قبل أن يجلس على المقعد. مسح بيده عليه قبل أن يجلس. ضحك زملاؤه وابتسم الوزير.

- كان وهمًا يا سرّي بيك ما شعرت به. حتى الدم الذي رأيناه ينزل منك لم نرَه على الأرض.

قال الوزير ذلك فابتسم الآخرون. تحلقوا معه حول منضدة الاجتماعات الكبيرة. بدوا اليوم أكثر راحة من ذي قبل. مضى شهر على اليوم المشئوم الذي ترك فيه رجالهم أسلحتهم وهربوا. صاروا يستحمون في بيوتهم أو في الحمامات الفخيمة الملحقة بمكاتبهم إذا باتوا. بدأت تصل من الخارج عربات مصفحة جديدة وأسلحة وقنابل غاز أكثر تطورًا وتأثيرًا، وقال الوزير:

- ما هي الأخبار اليوم؟

قال سعاد فايز رئيس قوات مكافحة الشغب:

- قواتنا تعاني من الإرهاق. الشباب لا يعطينا فرصة الراحة. اليوم مثلًا في الظهيرة، ستكون هناك وقفات احتجاجية في أكثر من مدينة في وقت واحد.

قال الوزير:

- طيب. وماذا عن حماية الدولة ياسرّي بك؟

- لدينا مشكلة الآن. مقرات التعذيب امتلأت. المقابر السرية لم تعد تسع، ولا بد أن ندفن الضحايا في مقابر عامة. هذا يحتاج تخطيطًا حتى لا يرانا أحد.

هز الوزير رأسه وأشار إلى الثالث، ستقر فايز رئيس المباحث العامة، فتحدث:

- توقفنا عن التعذيب في أقسام البوليس. بين قوات الشرطة جنود وأمناء شرطة يصورون التعذيب سرًا ويصل إلى الصحافة والفضائيات. أقسام البوليس امتلأت. نعطل وصولهم إلى النيابة بقدر الإمكان لأنهم عادة يحصلون على إفراج.

هز الوزير رأسه وأشار إلى الرابع، سامح أبو قرش رئيس مباحث المخدرات، فقال بهدوء:

- كل شيء تمام يا افندم.

هنا انطلقوا في الضحك. لحظات وصمتوا. هز الوزير رأسه ونظر إلى مساعده الخامس سامي أبو عامود مسؤول الإعلام فقال:

- ما زلنا مسيطرين على الصحف والفضائيات.

سكت الوزير لحظات ثم قال لهم:

- بالنسبة لإرهاق قوات مكافحة الشغب فأنا معك يا سعاد بك، لكن ليس أمامنا غير الاستمرار. سأتحدث مع السر عسكر أن يدعمنا بقوات من المجندين الجدد في أسرع وقت. وفيما يخص القتلى من التعذيب يا سرّي بك فيمكن عمل مقبرة جماعية جديدة في الصحراء. يعني اقتلوا أكبر عدد في أقل وقت حتى تكون المهمة واحدة. بعد ذلك مَن يمُت منفردًا يمكن دفنه كالعادة في المقابر السرية تحت مباني حماية الدولة. وفيما يخص النيابة التي تفرج عن المقبوض عليهم فدعوا الأمر لي. سأتحدث مع النائب العام. أما أنت يا سعادة أبو قرش فدعك من تجار المخدرات. منذ أن ضيقنا عليهم وعلى الناس تدخين الحشيش فكروا في السياسة. لا بد أن نعود للسياسة القديمة للرئيس الأمين رحمه الله فيما يخص المخدرات. دعوا البلاد تغرق فيها، هذا العام على الأقل. هل بقي شيء لم أتحدث فيه؟

قال مساعده سامي أبو عامود مسؤول الإعلام:

- لم تعلق حضرتك على كلامي عن الإعلام.

- أجل. هذا أمر أتركه لك. سياستك ناجحة جدًا حتى الآن.

دخل العقيد «مؤثر» مدير مكتب الوزير. انحنى على سرّي بك رئيس حماية الدولة فنظر إلى الوزير واستأذنه للخروج دقائق لتليفون هام.

جلسوا من غيره وقام الوزير إلى دولاب سري في الحائط. أخرج منه خمس علب أنيقة يظهر من مربع صغير شفاف منها أن تحتها ثوبًا من الحرير الناعم. وضعها على المنضدة وقال:

- كل واحد يأخذ علبته بعد الاجتماع. آخر ما وصلني من باريس من قمصان النوم الجديدة.

ابتسموا ثم ضحكوا فقال:

- عيشوا حياتكم في النوبات الليلية، لكن المهم أن تظلوا على نفس قدراتكم في العمل. لن نفشل مرة أخرى.

كانوا ينظرون ناحية سرّي بك الذي عاد شاحب الوجه. بين الحيرة والدهشة يبتسم لكن في قلق. رآهم وزير «مَم» ينظرون ناحية زميلهم فنظر إليه وقال:

- إيه.. ماذا جرى؟ هل قتلتم كل المخطوفين؟

تردد سرّي بك وقال:

- يبدو أن العقيد عريان اتجنن!

العقيد عريان هو مساعده. واستطرد قائلًا:

- يقول لي إن كل المحبوسين في مقرات حماية الدولة اختفوا. لا توجد إلا قطط مكانهم.

نظروا إليه غير مصدقين. ضحكوا. قال الوزير:

- يبدو أنك أنت الذي جُن يا...؟

- يا افندم العقيد عريان قال أيضًا إنه تلقى معلومات من كل المقرات في مصر أنه لا أحد محبوس لديهم غير القطط. كل المقرات فوجئت بالقطط صباح اليوم مكان المعتقلين.

هنا انفعل الوزير وهتف:

- يعني إيه؟ هذا كلام فارغ. ولو صحيح مَن هرَّب المعتقلين ووضع القطط؟

- يا افندم إنه يقول إنها كلها قطط في لون واحد. صفراء وعيونها حمراء. كل المقرات أخبرته أنها بنفس اللون.

- أنت بتهجّص.

- يا افندم أنا ساجن. يقول أيضًا إن القطط كلها تتكلم.

كان بقية مساعدي الوزير في صمت يكتمون ضحكاتهم. لقد تيقنوا أن زميلهم فقد عقله فجأة. استمر الوزير يصرخ:

- تتكلم تقول إيه؟

- يا افندم عريان بيه قال أيضًا إنها تغني. تغني أغنية سعاد حسني يا واد يا تقيل.

هنا وقف الوزير هائجًا وقال:

- أنا لن أنتظر استقالتك. أنت خارج الخدمة..

ونظر إلى رئيس المباحث:

- خذه إلى مستشفى المجانين.

- أرجوك يا افندم صدقني، عريان بيه لا يكذب أبدًا. ممكن يكون اصيب بالجنون فعلًا. أعطني فرصة أتحقق بنفسي.

حط عليهم صمت ونظر إليهم الوزير فرأى ألمًا على وجوههم يزداد فصرخ:

- ماذا جرى لكم؟ ما هذا الألم على وجوهكم؟

وقف رئيس المباحث يتألم فإذا بالمقعد الثقيل لاصق بمؤخرته، وخط من الدم ينزل من المقعد إلى الأرض وهو يقول في ألم:

- هذه المقاعد مسحورة. لقد ظهرت فيها المسامير من جديد.

وقف الأربعة الآخرون يتألمون والمقاعد لاصقة بمؤخراتهم والوزير ينظر في دهشة ويصرخ:

- لماذا أنتم؟ أنا لا يحدث لي شيء. أنتم تتخيلون، وما تتخيلونه يحدث.

سكت فجأة لحظة ثم وقف متوترًا ونظر إلى مقعده فوجد مسمارًا بدأ في الظهور من منتصفه. لم يكن قد طال بعد وإن أحسَّ به يبدأ.

أشاروا إلى مقعده وهم يتألمون فهتف:

- لن أصدق وها هو المسمار.

وضرب سن المسمار يده فلم تصب بشيء واختفى المسمار. تقدم مسرعًا إلى كل منهم وجذب المقعد من مؤخرته فخرج في يده ووضعه على الأرض. لا أثر لدم وهم يقفون منذهلين.

- تفضلوا بالجلوس. كفى عبثًا.

لكنهم لم يعودوا للجلوس. قالوا في يأس:

- يكفي هذا اليوم. لقد عرفنا رأي جنابك فيما قلناه. سنعود إلى مكاتبنا نواصل العمل. أمامنا يوم طويل.

راقته الفكرة وإن تردد لحظات فقال:

- إذن انصرفوا. وأنا أنتظر تقريرًا منك يا سرّي بك عن صحة خبر القطط. أنتظر منك خطابًا بإنهاء عمل عريان بيه وإقالته من الخدمة. مش ناقصة عريانين. أو تستقيل أنت.

بدأوا في الانصراف فهتف الوزير:

- خذوا قمصان النوم.

عادوا وتناول كل منهم علبته في صمت وخرجوا بينما هو يقف حائرًا وسط غرفة المكتب الواسعة. ماذا سيحدث له إذا صح كلام رئيس حماية الدولة. هل سيبقيه الحاكم؟ هل سيكتفي بإقالته أم سيرسله إلى زمن بعيد يكون فيه عاريًا إلا من ورقة التوت يهرب من الأسود والثعابين والوحوش؟ رأى نفسه يقفز بالحبال بين الأشجار ويصرخ

صرخة طرزان. قال: «أستغفر الله العظيم»، وتقدم إلى مكتبه. قبل أن يجلس مسح على المقعد بيده مترددًا. لم يجد أثرًا لأي خازوق. جلس وأشعل سيجاره الكوبي الثمين ونفث منه نفثتين، ثم ثلاثًا، وكور شفتيه وراح يفكر. لن ينقذ لاوند من هذا العبث إلا رجال «النصيحة والهدى» فلديهم قدرات على السحر وطرد السحر. البلد معمول له «عمل» في بلد بعيد، لا يمكن أن تكون فيبوتشا التي يتهمون الثوار بالعمالة لها، بينما هي تجزل لهم العطاء سرًا، وتبيع لهم كل قنابل وأسلحة وعربات ومدرعات القمع. لو أن لديه قدرة الحاكم لألقى بالشعب كله إلى زمن مجهول، ويبدأ البلد على نظافة مع عشيقته الفنانة «هالة أورجازم» كما يسميها. ولو كانت لديه قدرة رئيس «مُز» لجعل ثعابينه تلدغ الشعب كله والحكومة كلها ويبدأ على نظافة مع «هالة أورجازم». هي «هالة أورجازم» التي تستطيع أن تحمل عنه همه الآن. لكن الوقت نهار، ولقد تعودا اللقاء ليلًا. كما أنها تصحو دائمًا متأخرة خاصة أنه لا توجد أفلام ولا مسلسلات تؤدي فيها أي دور، فمنذ نزل الشباب الميدان الكبير توقفت كل الأعمال في البلاد وما زالت. لم يعد يعمل في البلاد غير عصابات سرقة السيارات والمحلات والبيوت وخطف البنات والنساء واغتصابهن وخطف الأطفال وبيعهم أو بيع أعضائهم. يعرف أن كثيرين من رجاله الصغار يقفون وراء هذه العصابات ليكره الناس اليوم الذي خرج فيه الشباب إلى الثورة. وحينما يعودون إليها مرة ثانية لن يجدوا معهم أحدًا بكثافة ما حدث من قبل يوم الجمعة الدامي، جمعة الأمل. لكن أليس الأفضل أن يقابل الحاكم ويقترح

عليه أن يلقي فعلًا بالشعب إلى ما وراء التاريخ؟ سيقول له: «وأحكم مين يا روح أمك؟!»، وقد يلقي به هو، وفي هذه الحالة لن يبحث عنه أحد. إنه يريد أن تعود للبوليس قوته، وأن يصبح هو من جديد ملاذ الحكم وحاميه، لا الجيش ورجاله، وتظل مزايا رجال البوليس كما هي، وتزداد عنًا في رجال الجيش كما كان الوضع دائمًا. كما أنه لن يطلب مساعدة من مدير «مُز» حتى لا يركبه. سيقابل سرًّا مع الشيخ شمعدان للبحث عن فك للسحر المعمول لهذه البلاد الوسخة التي لا تعرف قيمة حكامها!



خرج اللواء سُعاد فايز رئيس قوات مكافحة الشغب من مكتب الوزير وهو أشدهم قلقًا. هل يمكن أن يكون رئيس حماية الدولة قد جُن حقًّا؟ وهل يمكن أن يكون مساعده قد جُن؟ حتى لو كان مساعده قد أصيب بالجنون، ما كان عليه أن يعيد ما قاله له. كيف لا يتثبت أو يتحقق أولًا؟ وابتسم ساخرًا. متى كان هؤلاء يتثبتون ويتحققون. لو فعلوا ذلك ما جرى شيء في البلاد. شاطرين بس يتعالوا علينا ويدونا أوامر ولا يهتمون بما نقول. ضابط برتبة ملازم ثانٍ في سلاح حماية الدولة يوقف لواء من المباحث العامة قدامه، فما بالك لو كان مَن أمامه لواء من قوات فض الشغب. طبعًا لن يعيره أي اهتمام. كم كان يود أن يكون هو مكان رئيس حماية الدولة ويفوز بكل مزاياه. عليه الآن أن يذهب بسرعة إلى مقره، وأن يصدر الأوامر الصارمة بفض أي

مظاهـرة أو وقفة احـتجاجيـة قبل أن تبدأ. لا بد أن يعـرف الوزير قيمته اليوم. وها هي الفرصـة جاءت عنده.

لم ينتظر وصوله إلـى مكتبه بعيدًا عن المدينة في الصحراء. أصدر أوامره أن تتحرك كل قوات مكافحة الشـغـب فـي كل أنحاء البلاد إلى اي مـكان فيـه مظاهـرة أو وقفـة احتجاجيـة لفضها قبل أن تبـدأ، ويتم التركيز على الوقفة التي سـتكون أمام مجلس الوزراء وسط العاصمة. هذه التي أعلن الشباب أمـس في صـفحاتهم على الفيـس بوك وتويتر أنها ستبدأ السـاعة الواحدة ظهرًا وسـتستمر إلى الخامسـة. يعرف جيلهم القديمة. يريدون أن ينضم إليهم الموظفون عند خروجهم من أعمالهم فـي الـوزارات المختلفة حول مجلس الوزراء. مَـن الحمار الذي ركّز كل وزارات البلـد فـي منتصـف العاصمـة لاونـدة؟! رغبـة حمقاء أن تحتـل الـوزارات القصـور القديمة التي بنيت في العهـد الملكي أيام الاسـتعمار. لـم يكـن أحد يفكـر أنها سـتكون عبئًا علـى وزارة الأمن والأمـان رغم كونها قريـبة منها. لماذا لم تتفرق الـوزارات على أنحاء العاصمـة لاوندة؟ بل على أنحاء البلاد فيكون حصار موظفيها أسـهل وبعدد أقل من الجنود البؤساء؟

نظـر في سـاعته فرآها الواحـدة. إذن بدأت الوقفـة الآن. اتركوهم لكن ليـس أكثر من نصف سـاعة. لقد غير رأيه، وكانت هذه أوامره من هاتفه.

كان قـد ابتعد كثيرًا عن منتصـف العاصمة، ولـم يسـمع الشـعارات التي يرددها الشباب.

كانت العربات المصفحة على جانب من الطريق أمام مجلس الوزراء. الشباب اختاروا هذا المكان حتى إذا تم فضهم والاعتداء عليهم تكون سبة في جبين مجلس الوزراء. فعلوا ذلك العام الماضي في نفس الشهر. فبراير. وتم فضهم ولم يشعر أي من الوزراء بالعار أو حتى الخجل.

كان الشباب يرددون:

يا بو العساكر يا جبان

يا عميل الفيبوتشان

***

ثورة ثورة وغيرها ما فيش

لازم نشيل حكام طرايش

***

لو ضربونا بالقناص

شعبنا قال لأ خلاص

واتعلمنا اللاء خلاص

***

يا شهيدنا نام وارتاح

واحنا نكمل الكفاح

لو سحلونا في الشوارع

صوت الشعب حيفضل طالع

لو أخدونا من البيوت

صوتنا أبدًا مش حيموت



شد حيلك يا ولد

دا انت بتحرر بلد

وكان الضباط شبابًا وكبارًا ينظرون إليهم في قرف، ويتمنون انتهاء النصف الساعة التي أنذروهم بها. لن ينتظروا حتى خروج الموظفين، ولن يسمحوا لأحد بدخول الشارع غير هؤلاء الذين لا يزيدون على خمسة. أقل مما كان العام الماضي في المكان نفسه. لا بد أن شبابًا كثيرين لم يستوعبوا عودتهم في الزمن حتى الآن، ولا يزالون حيارى غير قادرين على التكيف مع الوقت.

ارتفع صوت الضابط الكبير. العقيد الذي حوله كل الرتب الأصغر يخاطب المتظاهرين:

- أرجوكم الانصراف. لن أمد لكم في الوقت أكثر من خمس دقائق.

ارتفعت الصيحات:

«الأمن بلطجية. والأمان كان زمان»

لم يعد هناك أي تردد عند العقيد وقواته. قفز من العربات الجنود الملثمون في ملابسهم السوداء المدرعة يحملون البنادق قاذفة قنابل الدخان. وخلفهم يقف آخرون بالرشاشات لاستعمالها وقت الحاجة. هذا العام لن يكون مثل الفائت. سيتم استخدام الرصاص الحي بعد قنابل الدخان إذا قاومها الشباب. صرخ العقيد:

- اضرب.

لكن أحدًا من الجنود لم يطلق قذيفة. نظر إلى جنوده في غيظ.

- اضرب يا جحش منك ليه.

أطلق ثلاثة من الجنود القنابل عالية في الفضاء فسقطت داخل فناء مجلس الوزراء.

- بتعملوا إيه منك ليه يا بهايم؟

الجنود ينظرون إلى بعضهم ويبتسمون تحت أقنعتهم ويعرفون أنهم يبتسمون لبعضهم.

صرخ العقيد وأمر حاملي الرشاشات:

- اضربوا العساكر الخاينة فورًا.

لكن أحد الضباط الشباب جرى إليه وهو يشير إلى حاملي الرشاشات أن ينتظروا. قال وهو يلهث فزعًا:

- يا افندم لا توجد مظاهرة ولا وقفة. يا افندم لا يوجد أحد واقف قدامنا لذلك ضربت العساكر القنابل فوق في الهوا.

- ماذا تقول؟ ارجع مكانك.

- يا افندم أقول ما أراه، مَن يقف أمامنا الآن قطط. مجرد قطط صغيرة.

- انت اتجننت يا حضرة الضابط؟ إذن ماذا أرى أنا؟

صرخ الضابط في زملائه:

- هل يرى أحد شيئًا غير القطط على الرصيف؟

لم يرد الضباط وظهر على وجوههم القرف. جرى العقيد إلى أحد الجنود وأمسك منه الرشاش ونظر إلى الضابط الشاب وصرخ:

- سترى الآن مَن يقف أمامنا يا مجنون. سأقتلهم بنفسي.

ووجَّه الرشاش إلى رصيف مجلس الوزراء وأطلق الرصاص أمامه ثم إلى أعلى وإلى أسفل. لم يسمع سوى صوت ارتطام الرصاص بالسور المنخفض لفناء مجلس الوزراء، وصوت مواء عالٍ وقطط فزعة جرت من أمامه لتملأ الشارع. بعضها يجري إلى ناحية وزارة

الأمن والأمان، وبعضها يجري إلى الشارع العام الذي يؤدي إلى الميدان الكبير.

وقف العقيد في ذهول فتقدم اثنان من الضباط وأخذا منه الرشاش. قال أحدهما:

- استرِح حضرتك يا افندم، حضرتك تعبت جدًا العام الماضي وليتك تروح مستشفى نفسي تعالج فيه قبل أن يستفحل المرض.

صرخ فيه:

- ماذا تقول يا مجنون؟ يا حيوان.

ونزع من جانبه المسدس المعلق فهجم أحدهما على يده لكن طلقة خرجت أصابت الآخر في مقتل. تجمّد العقيد في مكانه وقد اتسعت عيناه بالرعب ممّا فعل. قطط لم تكن قد ابتعدت اقتربت من ساقه وراحت تلمس بأقدامها الأمامية بنطلونه وتموء. نَو نَو نَو.

- قتلت الضابط يا افندم من أجل قطط تريد الطعام؟ كان علاجها شوية رجول فراخ!

ماذا كان العقيد يرى إذن؟ أين ذهب الشباب الذي كان يهتف منذ قليل ضد النظام ووزارة الداخلية وكل اللصوص من الحكام؟ هل فقد عقله إلى هذا الحد؟ صرخ من جديد:

- طيب إذا كان ما رأيته وهمًا لماذا كنتم تنظرون؟

- كنا ننتظر وصول الشباب. لقد غيروا الموعد اليوم على الفيس بوك ليكون الساعة الرابعة.

- كذب. كذب. كذب.

صار العقيد يصرخ ويبتعد إلى الخلف والمسدس في يده والضابط المصاب على الأرض فاقد الحياة وصوت الإسعاف يأتي من بعيد. قبل أن يندهش الجميع صوّب العقيد المسدس إلى رأسه ففجره.

6

ارتفعت ضحكاتهم وهم يتحدثون عمّا جرى نهار هذا اليوم وحتى الثامنة مساء.

كان نزار رزينًا في ضحكه كعادته بينما دوى صوت أحمد خشبة وكان يصفق بيديه، أما مصطفى فلم يزد على ابتسامة. نورهان كانت تفتح عينيها بشعور كبير بالانتصار وتحرك رأسها شمالًا ويمينًا. قال نزار:

- لم أغادر مكتبي. لم أفتح ملف أي قضية لأقرأها. كانت الأخبار تأتيني كل دقيقة على الفيس بوك. آخر النهار ظهرت الصحف المسائية في أوروبا بعنوان واحد «معجزات تحدث في مصر.. الشباب يتحولون إلى قطط في الميادين والشوارع»..

قالت نورهان:

- هناك سباق الآن في حكاية القصص الخرافية.

وقال مصطفى:

- أنا طبيب أسنان وطول النهار أعض على أسناني غير مصدق.

ضحك أحمد خشبة وهو يقول:

- ما حصل في مدينة «طانطورة» منهل. العيال كانوا واقفين قدام سيدي «أبو البدوي». البوليس أتى يفضهم، وجد القطط ترقص وتتطوح كما المتصوفين في الموالد. مدير الأمن استقال.

ضحكوا جميعًا. قال مصطفى:

- لكن للأسف نحن لا دخل لنا بما يحدث. نحن فقط ندعو للتظاهر. مَن الذي يحول الشباب إلى قطط؟ الله أعلم.

قالت نورهان:

- في أبيدوس أيضًا الولاد كانوا واقفين أمام مبنى المحافظة. البوليس وصل، مبنى المحافظة امتلأ بالقطط!

ضحكوا وقالت نورهان:

- شهيرة أبلغتني من هناك أن المحافظ طلع من المحافظة يجري والقطط على كتفه.

استمروا يضحكون:

- عسكري ضرب عليه نار من البندقية لكن الرصاصة راحت بعيد. الضابط سأله لماذا فعلت هذا؟ قال له: يا افندم ما على كتفه بني آدمين وليس قططًا وأنا أصوب عليهم.

قال نزار بهدوء وهو يبتسم:

- طيب هل هناك تقارير أخرى من المحافظات غير ما كتب على الفيس بوك؟

قالت نورهان:

- هي أربع محافظات فقط تظاهرت اليوم. كما حدث العام الماضي في اليوم نفسه. الجديد القطط.

قال نزار:

- المحافظة الرابعة فاروس. تأخر الشباب في الخروج إلى البحر للاحتجاج. كانت أخبار القطط ملأت الدنيا. لم يظهر البوليس. استمرت الوقفة حتى الثامنة مساء.

قالت نورهان:

- ماهيتاب اتصلت بي. قالت لي لم يحدث من قبل أن حيّانا الناس وهم يمرون علينا ويضحكون مثل اليوم. المظاهرة كانت أكثرها بنات. يعني يتحولن أسرع إلى قطط!

ضحكوا من جديد، ثم حطّ عليهم الصمت. تساءل أحمد خشبة:

- لماذا لم تظهر ماما بالقهوة؟

- ماما غير مقتنعة بما يحدث. لا تزال تقول إنها إشاعات واختراعات للنظام ونحن نساهم فيها أيضًا، لم يخرج أحد أصلًا للاحتجاج.

نظروا إلى بعضهم في خجل. قالت نورهان:

- هل يعني هذا أن لا نأتي هنا مرة أخرى؟

ابتسم نزار وقال:

- لا علاقة بين هذا وذاك. أحمد سألني وأنا أجبت. خلاص.

كانت نورهان كثيرًا ما تجد نفسها وقد تركزت عيناها على وجه نزار. تدرك في اللحظة نفسها أن نزار ليس مهيئًا للحب. تبعد بعينيها عنه وتتذكر كيف تركها أول مَن أحبته في أول جريدة عملت بها. عام كامل قضياه في قصة حب كبيرة ثم تركها عند أول منعطف وجد فيه فرصة أن يتزوج من ابنة رئيس التحرير. لقد صار هو أكثر مَن يعترض على موضوعاتها وموقفها من السلطة الحاكمة. كان سبب تركها لأول جريدة عملت فيها كما كان سببًا في أول خفقة حب! نزار الآن بعد ما جرى معه في الحياة ليس مهيئًا لقصص أخرى. لا يميل قلبها إلى مصطفى التي لا ترى فيه غير أخ حقيقي. الأمر نفسه قالته لها شهيرة يومًا، وكذلك قالته ماهيتاب عن مصطفى رغم أنه الأكثر هدوءًا وتفاؤلًا وابتسامة. ربما لذلك لا ينتقل من منطقة الأُخوّة وإلا ما اشتركت هي وماهيتاب وشهيرة في توصيفه. أما أحمد خشبة فهي كالعادة كلما نظرت إليه ضحكت وتقول له ما تقوله ماهيتاب وشهيرة: «لسة يا أحمد ما لقيتش البنت اللي تحبك. أكيد حيكون حجمها صغير أوي علشان تقدر تشيلها ليلة الدخلة!»

قال مصطفى:

- أنا رأيي الأسبوع القادم نتقابل عندي في العيادة في لاوند الجديدة.

ابتسم أحمد خشبة وقال:

- الآن نحن والقطط ع الداخلية.

ضحكوا، ثم وقف نزار يصافحهم. سينصرفون الآن. أحمد لديه مشاركة في برنامج تلفزيوني.



كانت شوارع العاصمة «لاوندة» شبه خالية. الجميع يعرف أن المعتقلين الذين هربوا وتركوا القطط مكانهم لم يهربوا بل كانوا هم أنفسهم القطط. لديهم قدرات خارقة على مسخ أنفسهم كما يشاؤون. اختاروا اليوم أن يكونوا قططًا والله أعلم غدًا ماذا سيختارون! خطأ وزارة الأمن والأمان أنها أطلقت سراح القطط. القطط التي تملأ الشوارع الآن فيها كثير من البشر الهاربين من المعتقل.

شغل الموضوع البرنامج الشهير الذي يُذاع في العاشرة مساءً. المذيعة الجميلة صاحبة الابتسامة الحلوة معها ثلاثة ضيوف. رئيس حماية الدولة السابق، والدكتور العالمي شعبان محمد ممثلًا لجماعة النصيحة والهدى، وأحمد خشبة ممثلًا للثوار. واعتذرت المذيعة عن عدم حضور الناشطة بدارة بدر. اشترك رئيس حماية الدولة السابق في

تأكيد الإشاعة كأنها حقيقة. شاركه الدكتور العالمي ممثل النصيحة والهدى. أحمد خشبة الممثل للثوار قال وهو مبتسم إنه أصلًا لم يكن هناك معتقلون في مباني حماية الدولة. لقد هاجم الثوار هذه المباني فتركها رجالها وهرب المعتقلون في مساء الجمعة الثامن والعشرين من يناير. إذن كل هذه إشاعات ومصدرها الدولة. الدولة اليوم ستصطاد كل قطط الشوارع وأكيد الكلاب أيضًا وتوردها لعملائها من تجار اللحوم و«السوسيس» من أعضاء الحزب الحاكم هدية يصنعون منها السوسيس والهامبورجر الفاسد برضا الدولة.

احتد رئيس حماية الدولة السابق. قال هذا ليس برأي. هذا اتهام واضح ويمكن أن يُجرِّمك عليه القانون إذا لم يكن لديك إثبات. هنا ابتسمت منى البرادعي مقدمة البرنامج وقالت: «يا افندم أحمد خشبة لا يحتاج إلى دليل. كل السوسيس والهامبورجر في لاوند مغشوش. لكن أيضًا حكاية أن الدولة ستفعل هذا لأصحابها زيادة شوية يا أحمد». وابتسمت بسمتها الجميلة.

هنا حاول الدكتور العالمي تخفيف التوتر وقال:

- للأسف كان هناك معتقلون. وللأسف تحولوا لقطط. وللأسف القطط هربت أو تركوها تخرج. لكن أن تسرق القطط الناس والمحلات انتقامًا من الذين تركوا الميدان فهذا صعب. الثوار شرفاء حتى لو كانوا قططًا!

ابتسمت ابتسامة منى البرادعي وبدت عليها البهجة التي لا يعرف أحد كيف تعودت عليها في برنامجها رغم ما تعرضه من قضايا بشعة. كيف لم يصبها أي اكتئاب. أي تدريب يتدربه هؤلاء الإعلاميون ليكونوا تماثيل للجمال الجامد في النساء والبرود في الرجال؟ قالت:

- أرجوكم. معنا اتصال قصير من الخارج. آلو. مين؟ الناشطة بدارة بدر؟ كنا نريدك معنا هنا لكنكِ اعتذرتِ.. تفضلي.

جاء صوت بدارة بدر فقالت:

- حضرتك أنا مش ناشطة. ولا حتى «ماشطة» من بتوع زمان. أنا مش عارفة جبتم تليفوني منين واسمي. فريق الإعداد عند حضرتك فاشل. أيوه يا افندم. فاشل.

ردَّت منى البرادعي:

- طيب حضرتك بتشتغلي إيه؟

دوت ضحكة رقيعة وقالت بدارة:

- قطة. قطة في شارع الآثار اللي ما بقاش فيه ملاهي ليلية. قطعوا عيشنا الله يقطع عيشهم. ويوم الزفت 28 يناير الملهى الليلي الوحيد الباقي اتحرق. أي خدمة.

انقطع الاتصال طبعًا وران صمت على الجالسين فقال أحمد خشبة مبتسمًا:

- واضح إن القطط ستكتر جدًا في مصر.

قالت منى البرادعي:

- فاصل ونعود.



انتشرت في الشوارع الكبيرة الخالية التي تتصل بالميدان الكبير عربات المحافظة لصيد القطط والكلاب. لم يجد العمال كلابًا وكانوا يضحكون ويتساءلون أين ذهبت الكلاب؟ مَن أخبرها بما سيحدث؟ منى ولاد الكلب يدخلون على الفيس بوك ويعرفون ماذا سيحدث!

كانت قطط كثيرة سيئة الحظ يراها العمال فيلقون عليها حبال مصائدهم فيعلقونها من عنقها ثم يلقون بها في صندوق العربة، ويجرون إلى غيرها، بينما كانت قطط أخرى قابعة منكمشة من البرد في مداخل البيوت والعمارات وتحت السلالم لا يصل إليها أحد. كانت عربات أخرى كثيرة في كل أنحاء العاصمة. الأمر نفسه كان في المدن الأخرى التي حدثت بها مظاهرات في الصباح. أذاع الراديو والتلفزيون الحكومة الرسمي بيانًا يطالب فيه كل مَن يرى قطة في الطريق أو يعرف مكانًا للقطط أن يساعد الدولة في صيدها وتسليمها إلى أقرب نقطة بوليس خوفًا من أن تعود القطط إلى حالتها الأولى، وتتحول إلى شباب مأجور من دول أجنبية يُسمون بالثوار والنشطاء، كما أن الأمر فيما بعد يمكن أن يشمل المجرمين الذين كانوا في

الأقسام ومقرات الحجز المختلفة وتحولوا بدورهم إلى قطط، ومن ثم فكل قطة تدخل البيت ستعرف أماكن الأموال والذهب، والدولة غير مسؤولة عن حالات سرقة لن يعرف أحد أصحابها.

أصاب الناس الفزع، وجرى الكثيرون وسط البرد والمطر الخفيف الذي بدأ ينزل على العاصمة، إلى أقسام البوليس، يحملون قططًا كانت قريبة من بيوتهم. حدثت خلافات في بعض الأسر التي تحب القطط وتربيها، والتي تعشقها بناتها وأطفالها. رفضت البنات تسليم قططهن السيامي والحبشي والشيرازي وقط «ماو» المصري الذكي. قالوا لأهاليهن الدولة اتهبلت. كذلك رفض الأطفال وقالوا الدولة حتاكلهم! صارت الأكمنة المرورية على الطرق تفحص السيارات وتفتشها بحثًا عن القطط لا المخدرات ولا السلاح، ولا تعاقب السكارى الذين يقودون سياراتهم. المهم أنهم لا يحملون قططًا. صار جوار كل كمين عربة لها صندوق خشبي لتوضع فيها القطط التي يُعثر عليها في سيارات الناس بعد الاستيلاء عليها. أعلنت الدولة في بيانٍ آخر عن غرامة خمسة جنيه لمَن يحمل قطة في سيارته ولا يسلمها للكمين. صارت المطاعم المكشوفة في المناطق التاريخية حيث أضرحة أولياء الله والصحابة، وغير المكشوفة في ميدان السرايا الخضرا ونص البلد، خالية من القطط التي رأت أصحاب المطاعم يمسكون بها ويضعونها في أجولة ويرسلونها لأقرب قسم بوليس. جرت القطط إلى الجراجات وإلى أسطح البيوت القديمة وإلى

مناورها وتحت سلالمها وصار الناس في أكثر من بيت يسمعون مواءً لا ينقطع. بدأت بعض النساء تسب الدولة التي لا تجد عملًا تفعله غير مطاردة القطط المسكينة. أقسم كثير من الرجال إنهم لن يصطادوا القطط أبدًا ولن يسلموها إلى البوليس بعد أن كانوا متحمسين لصيدها. استمرت عربات المحافظة تطارد القطط في كل مكان حتى الفجر الذي حين أذن خرج الناس إلى الجوامع يسمعون صوت قطط مختبئة في الأركان ويرون قططًا تمشي بلا مبالاة كأنها لم تعرف أو لا تخاف. صار الذين يتضامنون مع حق القطط في الحياة يزدادون مع تقدم الليل وحقق هاشتاج «#سيبوا_القطط_ياعرر» أكبر عدد من التعليقات:

«الدولة الهبلة عاملة حملة ضد القطط #سيبوا_القطط_ياعرر»

«بكدبوا ويصدقوا نفسهم. قال الثوار اتسخطوا قطط قال! #سيبوا_القطط_ياعرر»

«#سيبوا_القطط_ياعرر. تعرفوا إيه عن القطط يا كلاب»

«بُص في عين أي قطة تلاقيها بتقول لك أكّلني مش اصطادني وموتني.. يا جاهل #سيبوا_القطط_ياعرر»

«#سيبوا_القطط_ياعرر. الفراعنة عملوا من القط إله»

«#سيبوا_القطط_ ياعرر. سيدنا محمد قال امرأة دخلت النار في قطة حبستها. لا هي أطعمتها ولا تركتها تأكل من كلأ الأرض. يا فجرة»

«#سيبوا_القطط_ياعرر. عليّ النعمة ربنا بيحب القطط ومراته عندها عشر قطط ميكس أسترالي وباليينيزي وبورميلا من بريطانيا ونسوان ولاده عندهم قطط وبياخدوهم المصيف في حارة الشيخ»

«بكرة يقولوا جمعيات حقوق الإنسان مصدر القطط. بتربيه وتخبيها عندهم #سيبوا_القطط_ياعرر»

«#سيبوا_القطط_ياعرر. أنا شفت فيلم قصير ع اليوتيوب فيه وزيرة خارجية فيبوتشا مجتمعة مع القطط وبتقول لهم حنبعتكم مصر تهرّبوا المعتقلين وتبقوا مكانهم»

«#سيبوا_القطط_ياعرر. عليّ النعمة أنا شفت بتوع حقوق الإنسان بيوزعوا فلوس ع القطط في الشوارع»

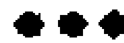
«#سيبوا_القطط_ياعرر. طيب أنا عندي قطة. وأمي عندها قطة وأبويا عنده قطة وحبيبي بيناديني يا قطة. إيه رأيكم يا عرر»

«#سيبوا_القطط_ياعرر. وزير التعليم يصدر قرارًا بإلغاء لفظ قطة من معاجم اللغة العربية واستخدام لفظ هرّ فقط. آه يا هرر!!»

«#سيبوا_القطط_ياعرر. صحافة الإنجليز تقابل القط الهارب بين عجلات الطائرة اللاوندية إلى لندرة ويعترف أنه كان في الأصل ناشط سياسي»

«#سيبوا_القطط_ياعرر. قرر وزير الأوقاف أن يكون موضوع خطبة الجمعة القادمة اللي عنده قط يغيره بكلب»

سهر الشباب حتى الصباح على الإنترنت في «حفلة» رهيبة على الدولة والقطط! والآن بعد أربع سنوات وأنا أكتب هذه الرواية استطعت الرجوع إلى تعليقاتهم وأخذت بعضها هنا. سألت فتاة منهم هل يمكن لي أن أستخدم تعليقها في روايتي. اندهشت جدًا. ذلك أمر قديم ورقتها نقلته فضائيات عربية وأجنبية في متابعتها لما يجري في البلاد. سألتني هل تستخدم شيئًا قديمًا سبق استخدامه؟ ثم قالت: لا أظن أنه مفيد. سألت شابًا آخر فقال تقريبًا نفس الكلام. بدا لي كلاهما حريصًا على أن لا أقول شيئًا معادًا. لكني رغم ذلك أستخدم تعليقاتهم الآن، وسأستخدم تعليقاتهم وتعليقات غيرهم فيما بعد. ولأني لم أحصل على موافقة أحد قمت بإهمال الصورة والاسم، وإذا أعطاني الله العمر والصحة وأنهيت الرواية ثم نشرتها، فإنني أحتفظ لهما بحقوق الملكية الفكرية لتعليقاتهما، وأعد الجميع أن أعطي كل من يقابلني منهم نسخة من الرواية.



بعد أسبوع ممَّا جرى كانت وزارة الأمن والأمان تضج من الشكاوى التي قدمها رجال في زوجاتهم باعتبارهن قططًا ثورية متخفية في زي زوجة، ويطلبون القبض عليهن وقتلهن أو طلاقهن دون أي تعويض من الزوج. أجمعوا على أنهم بعد أن يتصف الليل يرون زوجاتهم يتركن الأسِرَّة على مهلٍ، ثم يقل حجمهن في طريقهن إلى الباب حتى يصرن قططًا تخرج بهدوء، ويعُدن عند الفجر إلى صورهن القديمة بعد أن يكن قابلن الشباب الثوار واتفقن معهم على ما سيفعلن من مظاهرات وإضرابات.

7

طلب الحاكم الاجتماع مع وزير «مَم» ومدير «مُز» والسر عسكر. انتظره الثلاثة في مكتبه حتى ينتهي من تناول إفطاره. كان الهم واضحًا على السر عسكر، وكان الرعب باديًا على وجه وزير الأمن والأمان «مَم»، بينما مدير «مُز» ينظر في يديه سعيدًا ويقلبهما أمامه. ولأن السر عسكر يعرف عنه خروج الثعابين من يديه امتزج همه مع قلقه. لماذا ينظر في يديه الآن؟ ظهر القلق أكثر على وزير الأمن والأمان «مَم» فهو بدوره يعرف ذلك عنه. يقال:

- لماذا تقلب يديك يا سليمان باشا، هل تنوي أن تقتلنا اليوم؟

ضحك مدير «مُز» وقال:

- القتل لا يحتاج إلى الاستعراض. عندما أقتل أقتل. واسأله.

وأشار إلى السر عسكر الذي هزّ رأسه موافقًا في ضيق. قال وزير الأمن والأمان «مَم»:

- طيب. لماذا طلبنا الحاكم اليوم؟

قال مدير «مُز»:

- أنت آخر شخص يسأل هذا السؤال. كل سجونك فاضية من السياسيين. صاروا قططًا يملئون الشوارع. والخطوة القادمة هي تحول الجنائيين أيضًا وفي هذه الحالة ستخرب البلاد.

- أنا لا أعرف كيف حدث هذا. أما الجنائيون فأنا الذي أطلقت سراحهم يوم 28 يناير وأنا الذي أعدتهم إلى السجون. مصيرهم دائمًا في يدي.

قال السر عسكر شاردًا:

- هل صحيح هذا الذي أسمعه. هل حقًا تحول الشباب إلى قطط؟

قال وزير «مَم»:

- للأسف هذا ما حدث. في الأمر سِرٌّ ما. ربما يكون الإخوة في جماعة النصيحة والهدى هم مَن قاموا بذلك. لديهم قدرة على سخط المخلوقات.

قال مدير «مُز»:

- لا تحمّلهم أكثر من قدراتهم. إنهم يتعاونون معنا. هم الآن يحاولون الابتعاد عن الصراع الدائر حتى تعود إليهم ثقة الناس. قل لي أولًا ماذا فعلت في المحاضر التي حررها رجال كثيرون في زوجاتهم باعتبارهن قططًا ضالة.

- قبضنا على النساء والرجال وأرسلناهم إلى السجون جميعًا. مش ناقصة وجع دماغ. ثلاثة أيام وأطلقنا سراحهم. انتهت شكوى الأزواج.

قال السر عسكر فجأة:

- أفضل ما نفعله هو انتخابات رئاسية ويتجح زعيم جماعة النصيحة والهدى ويغرّقوا في البلد. أو بمعنى أصح نغرقهم ونتخلص.

ونظر حوله في قلق فإذا بالحاكم يدخل القاعة ويقول:

- طبعًا نفسك فيها.

ضحك مدير «مُز» وقال:

- سيادة الحاكم يسمع الغرف الأخرى. هذه ميزة له أيضًا لا يعلن عنها.

اراد وزير الأمن والأمان «مَم» أن يشتمه، فهو الذي وضع أجهزة التنصت في كل الغرف. جلس الحاكم وقال للسر عسكر:

- أنا باهزر معاك. وعلى فكرة لما رميتك سنة ورا كنت باهزر معاك برضه. أنا لا أستغني عنك.

وضحك فضحك الجميع. قال الحاكم:

- نتكلم في الموضوع. ما يحدث يجعلني لا أثق في أحد حولي، لكني لن أهتز. فقط أريد أن أعرف كم قطًا تم اصطياده في الأيام الماضية.

تساءل وزير الأمن والأمان «مَم»:

- قط فقط أم قطة أيضًا؟

نظر إليه الحاكم يبتسم في دهشة ثم قال:

- جرى إيه يا روح أمك؟ إحنا حنصنفهم؟ ح «ننام» مع القطط يعني!؟ كله على بعضه.

ضحك مدير «مُز» وضحك السر عسكر لأول مرة.

قال وزير الأمن والأمان «مَم»:

- خمسمئة ألف قط يا مولاي.

ران عليهم الصمت. راح الحاكم ينظر بعيدًا للحظات ثم قال:

- وهل كان في السجون هذا العدد؟

- طبعًا لا. قبضنا على أكثر ما نستطيع من قطط من باب الاحتياط.

- يعني في البلد كل هذه القطط. إذن لماذا وكيف توجد الفئران؟

قال رئيس «مُز»:

- هناك أكثر يا مولاي. القطط والفئران عاملين معاهدة سلام مع بعض.

نظروا إليه في استغراب لكن السر عسكر قال في هدوء:

- حقًا، والرعب الآن يا مولاي من غضب الفئران على موت أصدقائها من القطط.

زعق الحاكم:

- ماذا تقول؟

- يا مولانا أنا أنظر إلى الأمام. لا بد من استراتيجية نهائية للمسألة. لا بد من قتل جميع الفئران قبل أن تثور علينا من أجل القطط.

حطَّ عليهم صمت ودهشة.. وضع مدير «مُز» يده على فمه يخفي ابتسامته، بينما بدا وزير الأمن والأمان «مَم» مرتبكا للغاية، والحاكم يبتسم ويضرب كفيه في بعضهما بحيرة واندهاش ويقول:

- ما الذي جرى في البلاد؟ كنا تركنا الثورة نجحت أحسن وكنت قعدت أنا ومراتي في القصر على جبل الوحوش وخلاص..

وسكت لحظة ثم قال لوزير الأمن والأمان «مَم»:

- وأنت هل مقتدر على الفئران أيضًا؟

- أقدر على أبوهم يا مولاي.

- بالمرة خلصوا على الكلاب. خلّوا تجار اللحمة ينبسطوا. لحمة قطط وكلاب وفئران أيضًا.. الله يخرب بيوتهم.

ضحكوا وقال وزير الأمن والأمان «مَم»:

- قبضنا على كلاب كثير يا مولاي. حوالي مئة ألف كلب أعطيناهم لوزير التموين يوزعهم على الجزارين.

- تمام. هل عند أحدكم حلّ آخر؟

تساءل الحاكم فقال مدير «مُز»:

- جماعة النصيحة والهدى هرّبوا إلى لاوند شيخ مبروك من راجستان اسمه ألف خان. حضرتك عارفه. هو الذي قرأ الرقية التي لا مؤاخذة...

قاطعه الحاكم:

- عارف عارف أكمل.

- نطلب من الإخوة في النصيحة والهدى أن يوقف ألف خان تحول الشباب إلى قطط. هو يستطيع ذلك. في راجستان يحول المجاهدين إلى كلاب بعد أن يقتلهم الفيبوتشان. يلوذون بالكهوف وبعد أيام يخرجون منها حاملين السلاح.

حط الصمت من جديد وقال الحاكم:

- وفيبوتشا، ألم تفطن للأمر؟

- نعم.

- أول مرة أسمع هذا الكلام.

- وأنا أيضًا.

قال ذلك وزير الأمن والأمان فقال السر عسكر:

- وأنا أيضًا.

قال مدير «مُز»:

- وبعد أن نعرف الرُّقية المطلوبة ونجربها نتخلص من ألف خان وقرينه، ومن كل النصيحة والهدى؛ لأننا سنكون قادرين على القضاء على شباب يناير.



جلست «هديل» مع والدها تضحك وتهز رجليها وتصفق بيديها. تخيل الأب أن ابنته صارت طفلة في السادسة من عمرها. رآها بالفعل تصغر أمامه وترق حتى صارت طفلة حقيقية.

- ما الذي يحدث هنا؟

قال ذلك ووقف حائرًا فصفقت بقوة وقالت:

- لا شيء. أنا فقط فرحانة.

قال في فزع:

- مَن أنتِ؟ أنتِ لستِ هديل التي أعرفها. أنتِ طفلة في السادسة أو الخامسة من عمرك. كيف دخلتِ إلى هنا؟

ضحكت وقهقهت. قالت:

- أنا هديل. أنا كما أنا يا والدي الطيب. اقترب مني لتراني على حقيقتي.

ودخلت الأم ضاحكة تقول:

- هي هديل بنتنا. هي أحيانًا تتصرف كالأطفال.

قال في فزع:

- لكن كيف يصغر حجمها. جسمها ووجهها وذراعاها وأصابعها وقدماها.

قالت الأم:

- كل شيء كما هو. تمامًا كما تقول هديل. اقترب منها وحاول أن تحملها ستعرف الحقيقة.

اقترب الأب بهدوء وانحنى يحملها فلما صارت هديل بين يديه ضحكت وحركت ساقيها. ضحك هو ووضعها بهدوء على مقعدها وجلس يقول:

- كل شيء كما هو حقًا فماذا يحدث لي؟

قالت الأم:

- آن الأوان أن تعرف هديل الحقيقة.

نظر إليها مندهشًا وقال:

- أي حقيقة؟

- حقيقتها.

قالت هديل:

- مَن قال لكما إنني لا أعرف؟

نظرا إليها مندهشين فقالت:

- وهل ما أفعله يليق بإنسيَّة حتى لو كنت ابنتكما؟

استمر الأب والأم ينظران إلى بعضهما. قالت هديل:

- لكن ما أريد أن أعرفه، من أين أتيتما بي؟ أو مَن أرسلني إليكما؟

سكت الأب وأطرق برأسه. ابتسمت الأم وقالت:

- وماذا لو قلنا لكِ، هل سيتغير شيء؟ أخشى أن تكون الحقيقة بداية النهاية.

شردت هديل قليلًا وقالت:

- إذن فلنؤجل الحديث الآن. لكن هناك حلم يراودني كثيرًا فهل أجد لديكما تفسيرًا له؟

سكت الأب والأم فاستمرت هديل وقالت:

- أحلم كثيرًا أنني فوق جبل من الجليد أوزع الطعام على آلهة. إنهم يدخلون وأنا نائمة في المعبد الموشوم على ظهري. أشعر بوقع أقدامهم فأستيقظ وحولي أصواتهم وهم يشربون الخمر ويعاشرون النساء.

حطَّ صمت للحظات ثم تساءلت الأم:

- هل يتكرر الحلم كثيرًا؟

- جدًا يا أمي. ولقد رأيت كبيرهم يُقبّلني أكثر من مرة. يقول لي إنها قبلة الخلود وزعها على الموتى المظلومين. قال لي إن الظلم سيزداد بين البشر على الأرض، وإنني أتركك تعالجين الظلم بالقُبَل التي يتمناها أي إله منك فما بالك بالإنسان.

نظر الأب والأم إلى بعضهما. لا شك يتذكران يوم وجداها طفلة على الشاطئ عارية وعلى ظهرها وشم بمعبد قديم وإله في وسطه يرفع كأسًا من الخمر.

لم تكن تعرف لغتهما. لم يعرفا لغتها. كانا في حاجة إلى طفل أو طفلة بعد أن مضت ستة أعوام بلا إنجاب. وحتى لو لم يكونا في حاجة لطفل، فجمالها ووجودها وحدها على الشاطئ يجعل أي شخص يجري بها إلى البيت ليصونها. ثم إن وشمًا بمعبد على ظهرها أمر لا يمكن التفريط فيه.

نمت في عامين اثنين وصارت أنثى مشتهاة يتقدم لها الخُطّاب كل يوم وهي ترفض، وهما لا يشعران بالحيرة من رفضها. يعرفان أنها تنتظر علامة من مكان آخر في السماء. هو الجبل الذي فوقه الإله الذي تتحدث عنه الآن ولا بد فيه ذلك المعبد الموشوم على ظهرها. عندما فكّرا في تعليمها اللغة العربية تعلمتها في أيام قليلة، وكتبت بها رسائل لهما كانت تضعها على سريرهما كل يوم وهما يضحكان. قرر أبوها ذات مرة أن يداهمها بسؤال مصيري فقال لها:

- هل تذكرين أبويكِ؟

قالت:

- لا.

- هل تعرفين شيئًا عن كيف جئتِ إلى الدنيا؟

ابتسمت وبدت تفكر، ثم قالت ضاحكة:

- أبي.

نظر إليها الأب مندهشًا ثم قال:

- إذن كيف لا تعرفين شيئًا عن أبويك؟ ألا تذكرين أمك أيضًا؟

قالت:

- لا أم لي من الإنس أو الجن. أبي صنعني من وردة.

قرر بعد ذلك أن لا يتحدث معها أبدًا في هذا الأمر. بل قرر أن يترك مدينتهم الساحلية في الشام ويعيشون في مدينة صغيرة متاخمة للصحراء، فإذا سأل أحد عنها قال: ابنتي، فلا أحد يعرف هنا أنه لم يكن لديه أبناء من قبل.

وجدها تضحك بقوة وتصفق من جديد فسألها:

- ماذا فعلتِ اليوم؟ هذه السعادة وراءها أمر ما!

سكتت لحظات وقالت:

- حولت الثوار إلى قطط؟

نظر إلى أمها التي بدورها نظرت إليه. قبل أن يتكلم قالت الأم:

- هل حدثت ثورة هنا ولا نعرف؟

- هناك بعيدًا في بلاد النهر الكبير. الشباب الذين أيقظتهم من النوم الاضطراري بعد أن أُلقيت عليهم غازات مخدرة تم القبض على الكثير منهم ووضعوا في السجون والمعتقلات فوق وتحت الأرض. حولتهم إلى قطط أطلقوا سراحها مضطرين، ثم بعد ذلك بدأ رجال الحاكم في قتل كل القطط في البلاد.

- إذن قتلوا الشباب.

- لا. لم يتأخر الشباب في العودة إلى حالتهم الأولى.

نظر الأب إليها لحظات. أحسَّ بشيء من الرعب، ثم اعتبرها تهذي فقال:

- اطمئني. ما دام الحاكم قتل القطط سترعى في البلاد الجرذان.

هنا ضحكت وصفقت وقالت:

- إذن سأذهب إلى هناك لأضحك قليلًا والجرذان تمرح في البلاد.

8

جلس مدير «مُز» مع الشيخ شمعدان وحدهما في المكتب. كان الشيخ شمعدان ينظر حوله إلى الحيطان الخالية من كل صور حتى المُستنسخة، وإلى الأرض الخالية من السجاد، وإلى المكتب الخشبي المتواضع الصغير غير المطعّم بأي شيء من الصدف أو الفضة أو النحاس، وإلى المقاعد الخشبية التي تجدها في المقاهي الشعبية. تساءل:

- هل هذا مكتبك يا سيدي؟ لقد جئت هنا من قبل ولم يكن كذلك، كان في غاية الفخامة!

ابتسم مدير «مُز» وقال:

- لا شيء مضمون في هذا البلد. شحنت كل شيء إلى دولة صديقة في الخارج. هناك يمكن أن أبيعه بالملايين إذا احتجت لذلك.

اندهش الشيخ شمعدان وهو يسمعه يقرّ بتهريب ثروات البلاد، وفكر أنه لا بد يظهر له ثقته فيه، ومن ثم سيطلب منه شيئًا كبيرًا. قال:

- طيب فيمَ طلبتني؟

- أمر بسيط جدًا.

وسكت لحظات ثم نثر ذراعيه أمامه فخرج ثعبانان من أصابعه وسقطا على الأرض يزحفان. انتر الشيخ شمعدان واقفًا في فزع فقال له ضاحكًا:

- لا تخف. لا بد أنك تعرف عني ذلك.

- طبعًا أعرف لكن لم أتصور أنهما يظهران بهذه السهولة. كل مَن رآهما وحضرتك تستخدمهما في التعذيب قال إنك كنت تبكي حتى يخرجان من أصابعك.

- هذا صحيح. في البداية عادة ما كانا يرفضان الظهور. وبالمناسبة أنا تخلصت من كل شيء هنا لأن الثعابين كثيرًا ما تنفث سمها على الأثاث والسجاد ومن ثم يمكن أن أنسى وألمس أي شيء فأموت.

رأى الرعب يزداد على وجه الشيخ شمعدان فابتسم وقال:

- لا تخف. ما تجلس عليه وما أجلس عليه أنا والمكتب الذي بيننا معقمة كلها ضد السموم. إنها أشياء قليلة.

- طيب يا سيدي ما دامت لديك هذه القدرة وما دام الحاكم يستطيع إرسال الناس إلى زمن آخر ما حاجتكما لنا ولماذا تخشياننا؟

- قدراتنا لها حدود ويمكن أن تخذلنا فجأة. أنتم قدرتكم تتجدد مع رجالكم ولديكم شيوخ مبروكين في كل الدنيا وبالذات راجستان.

نظر إليه شمعدان قلقًا وقال:

- نحن لا نعرف من راجستان إلا الشيخ ألف خان، ولقد ساعدكم في فصل يد الحاكم عن مؤخرته.

- نريده أن يعمل على عدم تحول الثوار إلى قطط. جنودنا لا يمكن أن يتصوروا على القطط التي يمكن أن تتواجد في كل عرباتنا المدرعة وتحتها وكل مكاتبنا وبيوتنا وتقتلنا.

- هذا سهل جدًا.

ضم مدير «مُز» ذراعيه إلى جانبيه فتراجع الثعبانان واختفيا في يديه. استطرد الشيخ شمعدان:

- سأطلب من شيخنا أن يفعل ذلك.

- وأنا لن أنسى لكم هذا. بعد أن ننتهي من الثورة والثوار المأجورين سنرده لكم عملًا جميلًا.

- الثورة انتهت يا سيدي والثوار أمرهم سهل.

وقف مدير «مُز» ومد يده يصافح الشيخ شمعدان. تردد الشيخ قليلًا، فقال مدير «مُز» مبتسمًا:

- عندك حق. يمكن أن ألدغك.



خرج الشيخ شمعدان من اللقاء مسرعًا إلى أعضاء المكتب القيادي لجماعة «النصيحة والهدى». كانوا في انتظاره ليقرروا ماذا سيفعلون لو أن مدير «مُز» طلب منهم شيئًا آخر. ما إن جلس بينهم وحكى ما جرى حتى تكلم الطبيب العالمي شعبان محمد دون أن ينتظر الإذن:

- علينا أن نوقف أي صورة من صور التعاون مع هذا الحكم ورجاله. قواعدنا تغلي من الغضب منذ أن وافقناهم على تغيير تاريخ البلاد ودعايتنا من أجل ذلك التاريخ غير الحقيقي.

قال المهندس زكي فاضل الذي عادة ما يكون قليل الكلام:

- ليس ذلك فقط. منذ تسربت الأخبار أن رجلنا الراجستاني أنقذ الحاكم والغضب يشتعل أكثر.

قال ثالث أعضاء المكتب أستاذ الحقوق الدكتور ميسرة عبد الله:

- هناك مئات الشباب يفكرون الآن في الخروج من الجماعة. سنخسر كثيرًا من هذا التعاون العلني.

قال الرابع عماد لبيب تاجر أجهزة الكمبيوتر الشهير:

- تريثوا قليلًا. المسألة الآن أن وزارة الأمن والأمان تعدم كل القطط التي تظهر في البلاد، ومن ثم فالأيام القادمة هي أيام الفئران. ماذا سنفعل؟

هنا ضحك الشيخ شمعدان وقال:

- هـل تشـاركون النظـام الغبي فـي أن القضـاء على القطـط يعني القضـاء على شـباب الثورة؟ من سـخطهم قططًا فـي الزنازين يعيدهم إلـى أصلهـم بمجـرد الخروج من السـجن إلى الشـارع. إنهـم يقتلون القطط الحقيقية الضالة.

تسـاءل المهندس زكي فاضل:

- هـل يعني ذلك أنك سـتجعل ألف خان يوقف هـذا التحول إلى قطط ومن ثم لا يخرج أحد من السـجن. ماذا لو حدث ذلك ثم سجنون نحـن وسـجنوا كل أعضائنا مـن الشـباب؟ لقد صـارت لدينـا فرصة للخلاص من السـجون والضرب والتعذيب والإهانة.

ضحـك الدكتـور ميسـرة عبد اللـه أسـتاذ الحقوق وقـال وهو يهز وسـطه:

- نَو. نَو. نَو.

ضحكوا. قال الطبيـب العالمي شعبان محمد:

- باختصـار لو نفذنـا طلب رئيـس «مُز» سـينهي علينـا. دعونا عند اتفاقنا الأول معه. ننتظر ثورة أخرى ونخذلها فنصل إلى الحكم.

قال الشـيخ شـمعدان:

- معنـا اللـه وألف خـان وقرينه. ألـف خان الآن معتـزل الحديث عـازف عن الطعام يقرأ تراتيل لا أفهمها، وقد قال إنه يحتاج شـهرًا من

العزلة حتى يصل إلى طريقة يرسل بها الحاكم إلى العصور القديمة أو على الأقل يوقف قدرته على ذلك.

حط الصمت على الجميع واستطرد الشيخ شمعدان:

- سأنصاع لكم. سأتلكأ في الرد على رئيس «مُز» لكن لا بد أن نجد طريقة نوقف نشاط الفئران إذا كنتم لا تريدون القضاء على القطط!

قال المهندس زكي فاضل:

- حتى الآن لم تبدأ الفئران بعد. ربما لا تبدأ أبدًا وهذا من فضل الله.

لكن الشيخ شمعدان قرر في نفسه أن يطلب من ألف خان أن يوقف تحول الشباب إلى قطط.



جلس نزار وأحمد خشبة ونورهان ومصطفى في عيادته يضحكون. جلسوا في حجرة الكشف ينظرون إلى الأجهزة المختلفة ومكان استلقاء المرضى وما حوله ويعلوه من أجهزة. لقد انتهى مصطفى من العمل ولم يعد لديه مرضى وكانوا هم قد حضروا متوالين وجلسوا في الخارج كأنهم في انتظار الطبيب. سيغيرون أماكن اجتماعهم كل مرة الآن. المعركة تشتد مع النظام ولا يجب أن يكون لهم مكان ثابت. فليقبضوا عليهم في بيوتهم كما حدث العام الماضي، وكالعام الماضي لن يقبضوا عليهم في ليلة واحدة، وسيكون لدى مَن لم يُقبض

عليه فرصة الاختفاء لبعض الوقت. سيختفون إذن في أماكن مختلفة عن العام الماضي ليتعذر القبض عليهم ولو قليلًا. قال أحمد خشبة ضاحكًا:

- لو قبضوا علينا هنا لن يخرجوا إلا بعد أن يخلعوا ضروسنا.

ضحكوا فقال مصطفى:

- وربما نحن نخلع لهم ضروسهم. البنج موجود والحقن واحد رجالة.

قال نزار مبتسمًا:

- وتطلع الجرائد الصبح بمانشيتات «نشطاء يخلعون للشرطة ضروسها»

ضحكوا من جديد وطال ضحكهم حتى قال أحمد خشبة:

- اللهم اجعله خيرًا. والله لو قبضوا عليّ وتحولت إلى قطة لن أعود لعالم البني آدمين أبدًا.

قالت نورهان ضاحكة:

- طبعًا حتاكل بلاش من مطاعم نص البلد.

ارتفع صوت ضحكهم أكثر هذه المرة. ثم استطرد نزار:

- الدولة الغبية قتلت القطط. الفئران ستتحرك بحرية. سيعتبروننا سبب ذلك وليس هم. أرى أنه من الأفضل أن نترك العاصمة عدة أسابيع، أو حتى شهور.

سكتوا وتبادلوا النظرات ثم قال مصطفى:

- لكن القبض علينا سيتم في أي مكان.

قال نزار:

- سينجحون في القبض علينا لكن لو أن واحدًا منّا نجا منهم سيزداد اعتقادهم أن هذا عام جديد كما قرروا هم.

صفقت نورهان وقالت:

- عبقري من يومك. سنفاجئهم بها.

قال نزار:

- الثورة في «مصرايم» نجحت في خلع رئيس البلاد لكنها لم تصل إلى أهدافها. لقد وقعوا في الخطأ الكبير وتحالفوا مع الإخوة في الله هناك ولا يدري الثوار أن الإخوة في الله سيتخلون عنهم في أول زقاق وينضمون إلى العسكر للوصول إلى الحكم. ثورتنا من الآن لا يجب أن تقع في هذا الخطأ. النصيحة والهدى هم الوجه الآخر للإخوة في الله.

قال الدكتور مصطفى:

- أجل. مهم جدًا أن لا نقع في خطأ «مصرايم»..

تبادلوا النظر مبتسمين سعداء. لم يستطيعوا الجلوس. وقفوا يحتضنون بعضهم. سقطت دموع نورهان وراحت تمسحها براحة يدها. قال مصطفى:

- الثوار لا يكون يا نورهان، وسنلتقي من جديد في الميادين. نحن الآن نقترب من الصيف. الأيام تجري.

قالت نورهان:

- هيأت نفسي للهتاف. ما فيش خوف تاني. ما فيش ظلم تاني. ما فيش قهر تاني. لكن منهم لله هم والنصيحة والهدى أعادوا الزمن ونحن لا نملك هذه الطاقة السحرية.

قال أحمد خشبة:

- آه لو أصل إلى مَن قبّلتنا في الصحراء وأعادتنا إلى الحياة.

قال نزار بهدوء وثقة:

- سنصل.

ولأنه ابتسم قالت نورهان:

- تتحدث بثقة. من أين هذه الثقة؟ نزار صار ساحرًا يا جدعان.

- كل شيء بأوانه يا نورهان. المهم الآن هل سنعيد إنشاء صفحة فاضل سعيد؟

قال مصطفى:

- لقد فكرت في ذلك ووصلت إلى أن أفضل ما نفعله هو أن نعيدها بمناسبة الذكرى الأولى لاغتياله.

صفقت نورهان وقالت:

- لا. ننشنها باعتباره قُتل هذا العام وليس من قبل.

انطلقوا يضحكون ويصفقون. سيجعلون رجال الحاكم يتلفتون حولهم من الارتباك، وقالت نورهان:

- سأذهب غدًا إلى ماهيتاب. إلى فاروس أرى البحر وأحدثها بما وصلنا إليه فيما يخص فاضل سعيد. أيام قليلة تفصلنا عن ذكراه.

قال أحمد خشبة:

- سأذهب إلى «دمينا» أعمل في الأثاث.

ضحكوا. قال مصطفى:

- سأظل في عيادتي كل يوم بالليل أكثر وقت.

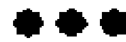
قال نزار:

- وأنا سأذهب إلى شهيرة. في مدينتها أبيدوس فندق جميل رخيص الثمن. سأنزل فيه يومًا أو يومين ثم أقضي وقتي في الجبال القريبة حتى لا يعثر عليّ أحد بسهولة. أجل. سأذهب إلى أبعد مكان ممكن ولا يخطر لهم على بال.

قالت نورهان ضاحكة:

- يا بختك. شهيرة قمر وبلدها حلوة!

ضحكوا ثم انطلقوا خارجين من العيادة ثم تفرقوا في الشوارع.



قبل أن ينتصف الليل كان الناس جميعًا في بيوتهم. لقد أعلنت الإذاعات والقنوات المرئية عن الخوف من خروج الفئران من جحورها ومن ثم طلبت من الناس إحكام إغلاق بيوتهم وشققهم حتى تمر الأزمة وتستطيع الدولة القضاء على الفئران. طلبت الإذاعات المسموعة والمرئية من الناس أن يكثروا من مصائد الفئران أمام أبواب بيوتهم وعلى السلالم وفي المناور وعلى الأسطح قالت إن وزارة التموين ستوفر الآلاف منها بأسعار زهيدة على بطاقة التموين ويستطيع الناس من باكر تسلم المصائد ولا ينتظرون آخر الشهر موعد حصولهم على الزيت والسكر وبقية التموين. أغلقت المطاعم والمقاهي أبوابها مبكرًا خوفًا من ظهور الفئران واستعدادًا لها، ففي الغد ستضع كلها المصائد على أبوابها. وهكذا لم يكن في الشوارع والميادين إلا سيارات مركونة للغد وقليل لا يُذكر تأخر في الطريق ورجال الشرطة. حين أخبر أكثر من كمين مروري رؤساءه أن لا حركة في الشوارع طلبوا من كل الأكمنة العودة إلى ثكناتها. لكن الشرطة الراجلة ظلت في الشوارع وهي أعداد قليلة دائمًا. هكذا رغم بدء نفحات الصيف لم يكن هناك أحد في الشوارع والطرقات. جعلت إضاءة الشوارع الأماكن أكثر اتساعًا لفراغها من البشر والمركبات حتى إن أفراد الشرطة في العاصمة كانوا يندهشون. لم يحدث من قبل أن رأوا مدينتهم بهذا الاتساع.

تقابل شرطيان في الميدان الكبير على الرصيف أمام محل كتاكي.

قال الأول:

- ليلة غريبة. المحلات أغلقت والناس في بيوتها.

- سيحدث هذا كل ليلة حتى تنتهي الغمة.

- أي غمة؟

- الفئران!

- هل تصدق هذا الكلام؟ يا عم هذه إشاعة وزارة الأمن.

ارتبك زميله فاستطرد الأول:

- أجل هي صحيح وزارتنا ونحن عيد فيها لكن أنت تعرف أنها مصدر كل الإشاعات.

قال ذلك وضحك فقال الثاني:

- لكن انظر..

أشار إلى الأرض جوار الرصيف، وقال:

- هذه ثلاثة فئران مرة واحدة.

كانت فئران كبيرة الحجم. قال:

- لم يحدث لي من قبل أن شاهدت مثلها في الطريق. أخشى أن أصدق.

تراجع الشـرطي الأول إلى الخلف ومرت أمامه ثلاثة فئران أخرى خارجة بسرعة من تحت باب كتاكي.

ضحك الشرطي الثاني. كان كلاهما صغير الجسم جدًا حتى إن مَن يراهما يندهش كيف قبلتهما الشرطة، وحين يعرف مَن يراهما أنهما في الأصل مجندان في الجيش تم تحويلهما إلى الشرطة مثل عساكر فض الشغب يندهش أكثر. ربما لذلك جعلوهما في الحراسات الليلية بعيدًا عن معسكرات فض الشغب التي عادة يختارون لها الأطول والأقوى وإن اتفقوا جميعًا في عدم القدرة على القراءة والكتابة، ومن ثم عدم القدرة على النقاش. لا يعرفون غير طاعة الأوامر.

بعد أن تمالك الشـرطي الأول أنفاسه وتوقف الثاني عن الضحك لاحظ الثاني طابورًا من الفئران يأتي من الشارع المجاور. أشار إليها وقال لزميله ضاحكًا:

- طيب شوف وما تخافش.

نظر الثاني فرأى طابور الفئران فبهت وجهه ولم يستطع الكلام. ظلًا يتابعان الطابور الذي يدخل إلى الميدان ويبدو أنه لن ينتهي. قال الأول وهو يسحب من جانبه جهاز الاتصال اللاسلكي:

- لا بد أن أخبر الضابط.

ابتسم الثاني وقال:

- وماذا سيفعل؟ تلاقيه قاعد مع أصحابه في القسم بيضحكوا. سيشتمك.

- إنها مسؤولية. لا بد أن أخبره.

بالفعل اتصل بالضابط وقال:

- يا افندم هناك شيء غريب يحصل في الميدان.

جاءه الصوت:

- هل نزل الشباب بالليل؟

- لا يا افندم.. الفئران. هنا فئران كثيرة جدًا تظهر كل دقيقة.

لم يستطع أن يكمل الحديث. اكفهر وجهه تحت أضواء الميدان فقال الثاني:

- شتمك. صح؟ تعالَ نقعد على الرصيف ونتفرج أحسن.

- نتفرج على الفيران؟ انت مجنون؟

- ربما يتحولون إلى بشر مثل القطط وتكون فيهم بنت حلوة. تعالَ تعالَ.

وجذبه ضاحكًا إلى الدائرة الخرسانية وسط الميدان وجلسا عليها.

قال الثاني:

- من هنا سنرى أكثر.

لم يكن العسكري الأول يحب أن يرى أي شيء. كان يفكر في أن يترك وردية عمله ويعود إلى قسم البوليس متحججًا بأي سبب. مغص

مفاجئ مثلًا، لكن اتصاله بالضابط أفسد عليه ذلك. سيعرف أنه ترك الميدان بسبب الفئران ويعاقبه أشد عقاب.

قال الثاني:

- تصدق بالله؟ القطط والفئران أحقّ علينا من البني آدميين. نحن نعمل خدامين في بيوت الضباط ولا أحد يقول لنا كلمة تبل ريقنا.

- ثلاث سنوات تجنيد وستمر. المهم أنا الآن أخشى أن يمتلئ الميدان بالفئران ونحن وحدنا هنا، ما رأيك أن نبدأ في قتلهم؟

ضحك الثاني وقال:

- بالرصاص؟

- لا طبعًا. معي عشر طلقات فقط لمسدسي وطبعًا أنت كذلك. بالحجارة.

ابتسم الثاني وقال:

- على أي حال يبدو أنها اختفت. كانت قليلة وليس كما تصورنا. خلينا نستمتع بالجو الحلو والنسمة الحلوة هذه. تذكرت جلستي على الترعة في القرية بالليل.

- أنا أيضًا اشتقت جدًا للقرية رغم أن بنت عمي لم تنتظرني وتزوجت.

- أنت أحسن مني. أنا بنت عمي تنتظرني لكن لا أملك أي شيء.

- ألا تعمل؟

- أعمل طبعًا. عند غيري. حارس من حراس بيت العمدة.

سكتا حتى قال الأول:

- سافر الخليج حين تنتهي مدة خدمتك.

- سأفعل ذلك. المهم أجد فرصة. الوقت غير زمان. يقولون إن الآسيويين لهم فرص أحسن منّا. شكلي حاعمل هندي!

ضحكا ثم توقفا عن الضحك فجأة. كان صف من الفئران يقف أمامهما على الأرض. فئران ضخمة أمامها فئران صغيرة وتنظر جميعها إليهما. همس الأول:

- يا ليلة سودا!

- ولا حركة. ستنظر إلينا قليلًا وتمشي.

لكن الفئران بعد أن توقفت قليلًا بدأت تصعد إلى الدائرة الخرسانية وتمشي جوار أقدامهما. رفعا الأقدام فوقفت الفئران تنظر إليهما، ثم عادت لحركتها الدائرية. همس الأول:

- هذه ليست فئران.

- أنا أيضًا يخيل إليَّ ذلك. تبدو كالبني آدمين.

- أخاف أن تتكلم. ألا ترى الطابور القادم من بعيد؟ هيا نجري من هنا.

أطلقا سيقانهما للريح لكنهما سمعا صوت قهقهات ضاحكة رفيعة حادة لا تتوقف. هتف الأول:

- الفئران تضحك علينا. سأعود إلى قسم البوليس وليحدث ما يحدث.

- وأنا أيضًا.

9

قرأ نزار على الفيس بوك ما كتبه أحمد خشبة..

«حدثتني والدة نزار اليوم فقالت لا أعرف أين ذهب نزار ابني. أمس آخر مرة رأيته. اليوم اقتحم زُوَّار الفجر شقتنا للقبض على نزار. وقفت أضحك وهم يبحثون عنه في كل مكان بالشقة. تحت الأسِرَّة وفي الدواليب وفي المطبخ وطبعًا على السطح وفي البلكونة. قلت لهم نزار ليس قطة ولن يكون فأرًا. كنت أعرف أن بينهم مَن يبحثون عن ذهب أو نقود يسرقونها. طبعًا لم يجدوا شيئًا. أخذوا بعض الكتب دليلًا على اتهامه بالشيوعية أو بالعمالة لفيسبوكشا. حسبما يفعلون هذا العام، ومصير الكتب كالعادة سور السوق القديم ويحصّلون ثمنها. قالت لي متى يفهم هذا النظام أن الدنيا تغيرت؟ عرفت أنا الآن من نقابة المحامين أن عدد مَن قُبض عليهم فجر أمس مئة وعشرون وهذه هي أسماؤهم»

راح نزار يقرأ أسماء المقبوض عليهم على هاتفه المحمول وشهيرة تجلس جواره في صالة بيت أسرتها في أبيدوس.

- نفس أسماء العام الماضي. سيكملونها مئة وخمسين في أسرع وقت.

ابتسمت شهيرة فافتر ثغرها الجميل عن نونتين جميلتين في خديها وقالت:

- أنا لم يقبض عليَّ العام الماضي. إذن هناك فرصة أن تظل معنا. لن يأتوا هنا.

- رفضتِ أن أنزل في الفندق يا شهيرة. بت عندكم ليلتين الآن. هذا أمر نادر في الجنوب. دعيني أصعد الجبل.

- مع اللصوص يا نزار!

- أجل.

- لماذا؟ الدار أمان.

- أعرف لكن الجبل أمان أكثر.

- هل أصبحت تخشى القبض عليك إلى هذا الحد؟ المحبوسون يتحولون إلى قطط ويخرجون.

قالت ذلك وهي تضحك والنونتان الجميلتان تخايلان نزار الذي لم يعد قلبه يتعلق بأحد بعد أن فقد زوجته في حادث مروع على الطريق الدائري هي وابنتهما. لقد نجا هو وحده من الحادث لكنه أمضى عامًا في العلاج بالمستشفى وفي العلاج الطبيعي خارجه حتى وقف على

..مه. لم تعد تهمه قضايا قلبه الذي يمتلئ بالحزن. تهمه فقط قضايا مثله الذي يرى وطنًا مسروقًا منذ عشرات السنين. قال:

- لو مرّ هذا الشهر دون أن يصل عدد المقبوض عليهم إلى مئة وخمسين سيصدق الأغبياء أكثر أن هذا عام جديد وليس هو العام الثالث. ومن ثم سيطمئنون أنه لا ثورة قادمة.

نظرت إليه وابتسامتها أكبر ثم قالت:

- أفكارك تذهب بعيدًا جدًا. من أين كل هذه الفلسفة؟! الواد أحمد مثبة لما قابلته في مصر قال الكلام نفسه.

- ابحثي عمّن يأخذني إلى الجبل اليوم قبل الغد.

- أنا رأيي تنتظر معي. بابا يحبك جدًّا. بابا كان صاحب باباك وكانوا من الشباب الذين قاموا بالمظاهرات في السبعينيات. عرفهما السجن معًا. كثيرًا ما كان يحدثني عن والدك الله يرحمه.

- أعرف طبعًا ولذلك وافق على استضافتي.

ثم سكت قليلًا وقال:

- أريد الفضاء الواسع. الجبل يا شهيرة الجبل.

ضحكت شهيرة وقالت:

- إذن سيأتي مَن يصحبك إلى هناك. لكن لا تتأخر.



التقت ماهيتاب مع نورهان في شقتها بشرق مدينة فاروس. الشقة التي خرج بها أبو نورهان من الدنيا. اختارها هنا لأنه يحب هذه المدينة. قالت لها ماهيتاب:

- علينا أن نخرج لنسهر، وفي منتصف الليل أتركك حتى إذا تم القبض عليّ لا تكوني معي.

وضحكت ثم استطردت:

- أحسن حاجة في وزارة الأمن والأمان أنها لا تغير النظام، يقبضون على الناس في الفجر فقط منذ سبعين سنة.

شردت نورهان لحظات ثم انتبهت فقالت مبتسمة ابتسامة شاحبة

- مدينتكم دائمًا تثير الذكريات.

سكتت ماهيتاب لحظات تفكر في أنها لم تعرف من قبل أن لنورهان ذكريات هنا، ثم قالت:

- قصص الحب هنا تطويها أمواج البحر.

ثم ضحكت واستطردت:

- إذا كانت لك قصة حب هنا وضاعت فلاوندة قادرة أن تنسيك أنا التي أحاول أن أنسى وأفشل. قصص الحب الضائع تعود إلينا سحب خريفية.

تأملتها نورهان في دهشة وقالت:

- أنتِ شاعرة يا بنت ولا نعرف؟

ابتسمت ماهيتاب وقالت:

- أحب الشعر لكني قرأت ذلك في رواية عن فاروس زمان.

اتسعت ابتسامة نورهان وقالت:

- الأفضل أن نخرج نتعشى في مطعم ولانقلّب الذكريات.

خرجنا إلى شاطئ البحر. كانت نسمة باردة رغم اقتراب الصيف. لم ندخل في منتصف العام بعد. ما زالت المدينة جميلة. لم يتوافد إلى الشاطئ الغرباء يعكّرون الطرقات.

وقفت نورهان تشم هواء البحر وتتمنى أن تفتح صدرها تلمه كله داخلها. كانت السيارات المارة قليلة وأضواء الكورنيش تنعكس قليلًا على مياه البحر فتظهر الصخور التي تفصلها عن سور الكورنيش ويظهر على السور عدد قليل من المحبين يجلسون اثنين اثنين على مسافات متباعدة يعطون ظهورهم إلى المارة ووجوههم إلى البحر. بعضهم وضع ذراعه على كتف حبيبته. وكان هناك بائع بطاطا يقف بعربته على الرصيف ورائحة البطاطا تصل إليهما، قالت نورهان:

- لولا أني تعودت على لاوندة لعشت هنا. كان أبي يحب أن يأتي في الشتاء أكثر مما يأتي في الصيف.

- هي في الشتاء أجمل خصوصًا لمَن لا يبتعد عن الكورنيش كثيرًا. فاروس القديمة كانت عروس البحر. في الجنوب مدينة أخرى من العشوائيات.

صمتنا لحظات، ثم تساءلت نورهان:

- أين يمكن أن نذهب لنجلس في أمان؟

قالت ماهيتاب:

- ما رأيكِ أن نذهب إلى أحسن مكان عام. النادي الإسبرطي نتصرف عادي واللي يحصل يحصل.

- هذا رأيي أيضًا.

ركبنا أول تاكسي توقف أمامهما. دقائق قليلة راحت فيها نورهان تتطلع إلى الفنادق القديمة والعمارات الأوربية الطراز والنخيل الملكي بين طريقي الكورنيش يهتز مع الهواء الخفيف حتى وصلنا إلى النادي.

كان مشهد الميناء القديم مريحًا لنورهان للغاية. صارت تنظر إلى السفن الواقفة في الماء تتحرك في مكانها صاعدة هابطة في حركة هادئة رتيبة من أثر الموج الحاني، والأضواء تنسكب على الماء من بعيد، من النادي الإسبرطي ومن الكورنيش، والهواء العليل يطل عليها يشيع في جسدها الراحة وفي وجهها البهجة. قالت:

- لماذا لا تكون حياتنا وحياة الشعب كلها سعيدة. إلى متى هذا القمع وهذه السرقة والنهب لثروات البلاد؟

- مضت سبعون عامًا منذ استولى الجنرالات على الحكم وطرد الملك وكل حاكم يتصور أنه الأفضل بين الناس وعلى الناس أن تمشي وراءه تطيعه في كل طريق وكلها للأسف طرق للخراب. هذه هي النتيجة. مدينة مثل مدينتنا أصبحت، بعيدًا عن الكورنيش، مدينة العشوائيات واللصوص والمخدرات والدعارة وكل الموبقات.

- حتى الكورنيش هدموا بعض عماراته القديمة وبنوا ناطحات سحاب قبيحة لا تناسب أبدًا عالمية المدينة.

- عالمية مَن؟ هذه مدينة الآن رجعية متخلفة سلفية متشددة لا ترى الدنيا غير شبشب وجلابية.

وسكتنا لحظات حتى تساءلت نورهان:

- غدًا الذكرى الأولى لمقتل فاضل سعيد.

قالت ماهيتاب:

- لقد كان هو سبب الثورة. ولولا ما جرى من الحاكم كان زمان القتلة في السجون. سنبدأ وسنفعل ما اتفقنا عليه. أي كأنه قُتل هذا العام!

وسكتنا لحظات حتى قالت نورهان مبتسمة:

- المشهيات قادمة وأكيد السمك وراءها.

ضحكت ماهيتاب وقالت:

- سنواصل الحديث فيما بعد.

لفّهما صمت طال وهما تتناولان المشهيات بهدوء، حتى جاء السمك.



في الصباح كان الدكتور مصطفى السيد يمثُل أمام النيابة للتحقيق. لقد حملوه من السجن إلى مقر النيابة أعلى الجبل الذي يحيط بالعاصمة مع غيره من المقبوض عليهم. كانوا عشرين في سيارة واحدة. ولأن الجو لم يدخل في الحر الشديد ولأنهم حُملوا في سيارة الترحيلات في الصباح الباكر كان يمكن تحمل حرارة العربة التي لا يزيد ضلع نافذتها المربعة على ثلاثين سنتيمترًا. كانوا مقيدين في كلابشات كل اثنين مع بعضهما. كان مصطفى يعرف أن عدد المقبوض عليهم من الشباب أكثر من الفتيات، ومن ثم يمكن أن يكون التحقيق مع الفتيات آخر النهار. هكذا لن يرى غير أصدقائه الرجال. كانوا على طول الطريق يهتفون. يسقط يسقط كل حاكم. يسقط يسقط أبو العساكر. هكذا كان اسم الشهرة للحاكم الذي لقبته به الصحافة بعد الحرب التي خاضتها البلاد منذ ستين سنة وكان فيها ضابطًا. لكن ما دام قد وصل إلى الحكم فهو أبو المعارك والمنتصر الأكبر. وتتوالى الهتافات. الشعب يريد إسقاط النظام.. يا مرجع الأيام ورا بكرة عيشنك تبقى خرا.

حين انطلق سامي أصغرهم سنًا بهذا الهتاف لم يتملكوا أنفسهم من الضحك. يا بن الإيه. جبتها منين دي؟ أنت شاعر يا له وما نعرفش. «انت غلبت الواد كمال بتاع السبعينيات اللي بيقولوا عليه ملك الشعارات. قال سامي بهدوء وقد ظهر الخجل على وجهه: «أنا ابنه الصغير».. «إيه؟ معقول؟ ليه ما بتقلش؟»، سكت خجلًا وقالوا له: «طيب قول وحنقول كلنا وراك».

وصارت العربة تسرع والضابط الجالس فيها جوار السائق ومعه أمين الشرطة يهز رأسه في دهشة ولا يمنع نفسه من الابتسام، بينما كان أمين الشرطة والسائق لا يستطيعان أن يُعبِّرا عن ضحكهما من هذا الهتاف.

أمام المحقق جلس مصطفى مبتسمًا. كان هناك محامٍ أرسلته نقابة الأطباء، ومحامٍ أرسلته نقابة الصحفيين، وأكثر من محامٍ آخر يتبادلون على الحضور مع المتهمين. الآن يجلس محامي نقابة الأطباء الذي يعرف مصطفى أن أكثر قضاياه التي حضرها كانت مع المتهمين من جماعة النصيحة والهدى. قال مصطفى في نفسه ليكن، أنا لست في حاجة إلى محامٍ. قال المحقق لكاتب الجلسة: «افتح الدفتر». ثم نظر إلى مصطفى وقال:

- أهلًا بك يا دكتور. أنت مرة ثانية؟

- أنتم السبب. أنا مقتنع تمامًا أن هذا العام ليس هو العام الفائت، لكن أنتم تتعاملون معنا وكأن السنة هي هي لم تتغير.

- ماذا تقصد؟

- حضرتك عارف أن الحاكم أصدر قرارًا بأن هذه السنة ليست 2011، بل 2010، والدنيا كلها مشت وراءه. الإعلام والصحافة والأحزاب وكله وأنا أيضًا. لكنكم تجعلون الأحداث كما هي.

كان الارتباك قد ظهر على وجه محامي النقابة. ابتسم مصطفى لأنه يعرف أن فيما قاله إدانة لجماعة النصيحة والهدى الذين روَّجوا لقرار الحاكم. قال في نفسه: «أحسن. حتى لا يتكلم»، قال المحقق مندهشًا:

- أنا لا أفهم شيئًا مما تقول.

ونظر إلى كاتب التحقيق وقال:

- انتظر يا بني لا تكتب.

ثم خاطب مصطفى:

- كيف تريدني أن أكتب هذا الكلام؟ مَن سيفهمه ولا حتى يصدقه؟ تعاون معي حتى نفرج عنك.

ابتسم مصطفى وقال:

- عارف حضرتك. جاءوا وقبضوا عليَّ في نفس الميعاد وأخذوا مثل العام الماضي سلسلة ذهب من ذهب أمي لم يسعفها الوقت

لنخبئها مع غيرها في صدرها، وحضرتك تسألني نفس السؤال ومعنا نفس المحامين وستقرر حبسي أكثر من مرة ثم أُعرض على المحكمة التي في النهاية ستبرئني من كل التهم. ما حدث العام الماضي بالضبط. حضرتك قرّر استمرار حبسي ولا ترهق نفسك معي ولا ترهق كاتب التحقيق الغلبان ده. السنة التي مضت ترجع الآن مرة ثانية يا افندم وربنا يخليكم!

سكت المحقق في حيرة حقيقية. احمر وجه كاتب التحقيق حين سمع كلمة الغلبان وصفًا له. أطرق المحامي إلى الأرض فوقف المحقق وقال:

- رغم أن في كلامك إهانة للنيابة إلا أني سأتغاضى عنها. قررت النيابة حبس المتهم خمسة عشر يومًا على ذمة التحقيق، وعلى إدارة البحث الجنائي استيفاء كل التحريات اللازمة.

تهلل وجه مصطفى بالفرح وقال:

- إذن يناير قادم يا باشا. بلغ الإخوة اللي تاعبين حضرتك ع الفاضي.



- أشياء غريبة تحدث في البلاد. الشباب يتحولون إلى قطط ثم لا يتحولون إلى قطط.

قال الحاكم ذلك مبتسمًا في دهشة ثم أردف:

- لقد تحدث مدير «مُز» مع الشيخ شمعدان في ذلك. لو كانت جماعة «النصيحة والهدى» هي السبب تكون كارثة؛ لأنهم كما أوقفوا التحول إلى قطط يستطيعون أن يجعلوه يعود. بل يستطيعون أن يحولونا نحن إلى قطط!

كان يتناول إفطاره مع زوجته سناء وكانت هي تقريبًا لا تأكل. بدت في ضيق خفيف. راحت تنظر إلى الملعقة الذهبية المطعمة بالأحجار الكريمة التي تأكل بها ثم قالت:

- لماذا لا تلقي بأعضاء النصيحة والهدى جميعًا إلى زمن بعيد ونريح دماغنا؟ لماذا تحافظون عليهم؟ هم سرُّ كل البلاء. اجمع قادتهم هنا لاجتماع هام. سيأتون. هم يظهرون دائمًا رغبتهم في التعاون حتى يأتي يوم يتمكنون فيه من البلاد. وهوب، في لحظة أثناء الاجتماع أرسلهم إلى إفريقيا وسط الغابات ألف سنة للوراء.

- القضاء عليهم يعني أنه لن يكون لدينا أي سبب لتخويف الناس منهم ومن حكمهم. إنهم الفزّاعة التي عاشت عليها نظمنا العسكرية السابقة.

- يمكن خلق فزّاعة جديدة.

- لا يمكن خلق فزاعة من الليبراليين ولا اليساريين. صحيح أنهم لا يتفقون أبدًا لكنهم يريدون مجتمعًا أفضل وحياة أفضل، ومن ثم يظلون مصدر قلق لنا. النصيحة والهدى هم الحكم البشع عبر التاريخ باسم الله.

نظرت إليه ساخرة وقالت:

- طيب ما انت بتحكم باسم ربنا من غير ما تقول.

- أيوة يا هانم لكن أنتِ مثلًا تعطين فرصة كبيرة لحرية المرأة وتقدمين لها مزايا لم تحلم بها. أنتِ تقدمين الوجه الحلو لنظامنا.

- يعني أنت غير مؤمن بما أفعل؟

- طبعًا. لكن على الأقل لدينا شيء طيب نقوله أمام العالم.

- طيب وابنك الكبير هل سيظل ينتظر؟

- لماذا تريدينه أن يحكم ولماذا يريد هو الحكم؟ هذا بلد مقرف. لماذا لا يعيش حياته وينهَدّ يقعد ساكت.

نظرت إليه بغيظٍ فقال:

- أنتِ السبب. طلّعتي في دماغ الولد أنه يحكم مثلما فعلت زوجة حاكم «مصرايم» وأدّت إلى خلعه. ولولا قدراتي لكان مصيري من مصير حاكم «مصرايم»..

وأمسك بيده قطعة فلافل مما يحب أن تكون في إفطاره وقال:

- الفلافل النهارده وحشة. إنتي اللي عاملاها أكيد مش الطباخ.

سكتت لحظة وأحست بالقرف المعتاد منه حين يأكل الفلافل بيده، ثم قالت:

- ألم تسمع صوت خربشة أول الليل في الدولاب؟

نظر إليها مندهشًا. قال:

- لم أسمع.

قالت:

- لقد وصلوا إلينا.

- مَن هم يا هانم؟ ماذا جرى لكِ؟

- الفئران يا مولاي. الفئران ملأت البلد وتسللت إلى القصر.

قال منزعجًا:

- ماذا تعنين. شفتيهم بنفسك؟

- لا. أنا سمعت خربشة طول الليل. الآن الخدم يقلّبون في الدولاب للبحث عن سبب الخربشة. سوف يكون فأرًا. هل تعرف يا سيادة الحاكم معنى أن يصل فأر إلى بيت الحاكم!؟

10

ألقى وزير الأمن والأمان «مَم» بالتليفون على المكتب بقوة وغيظ فسقط على الأرض. وقف خلف مكتبه ونادى بأعلى صوت:

- يا زفت يا اللي بره.

لم يحدث من قبل أن نادى أحدًا من سكرتاريته بهذه الطريقة. يعاملهم أفضل معاملة فهم في النهاية مستودع أسراره.

دخل العقيد «مُؤثِّر» مسرعًا ووقف أمامه يقول:

- خير يا افندم.

- خير إيه وزفت إيه!

ثم جلس الوزير وأشعل سيجاره وقال للعقيد مؤثر الواقف لا يزال:

- ألم أقل منذ أسبوعين إن مسألة الفئران لازم تنتهي؟

- حصل يا افندم وعملنا حملة قوية عن طريق الحكم المحلي والمحافظات. تقريبًا لا توجد فئران في البلد الآن.

- لكن فأرًا وصل قصر الحُكم.

كاد العقيد مؤثر يضحك لكنه تمالك نفسه وقال:

- يا معالي الباشا هذه ليست مسؤوليتنا. حراسة الحاكم كما تعرف معاليك أمر يخص الجيش.

- أجل. داخل القصر. لكن الفأر لم يظهر من داخله. قطع كل شوارع البلد ووصل هناك. الشوارع مسؤولية مَن؟

ارتبك العقيد مؤثر وسكت فاستطرد الوزير:

- فأر يمشي كل هذه المسافات ولا عسكري يراه فمَن الغلطان؟

ظل العقيد مؤثر لا يرد فقال الوزير:

- ثم إن فأرًا يصل إلى قصر الحُكم بالذات لا بد أنه يعرف أين يذهب.

ارتبك العقيد مؤثر أكثر واستمر الوزير:

- أنا منذ أخذنا قرار قتل القطط وعارف أن البلد ستخرب.

لم يرد العقيد مؤثر:

- ثم إن الأولاد المقبوض عليهم منذ عشرة أيام لم يتحولوا إلى قطط.

هنا رد العقيد مؤثر:

- حضرتك عارف السبب.

- أيوة يا سيدي. مدير «مُز» اتفق مع جماعة النصيحة والهدى يخلّوا الرجل الراجستاني يفعل هذا، رغم أن عندي تقريرًا من واحد منهم يقول إنهم رفضوا الفكرة لكن الشيخ شمعدان الرقاصة عملها من ورائهم.

هنا عاد العقيد مؤثر إلى الصمت فقال الوزير:

- اعمل لي قرارًا جديدًا بإضافة مراقبة الفئران في الشوارع إلى عساكر الدوريات والأكمنة. ضاعف الأكمنة في كل طريق يصل إلى مقر الرئاسة. أعلن أن كل عسكري سيسلم فأرًا كان في طريقه إلى الرئاسة سيحصل على جائزة عشرة جنيهات.

هنا ارتبك العقيد مؤثر وقال:

- في الطرق التي تؤدي إلى الرئاسة فقط يا افندم؟

- خليها في كل الطرق علشان ما حدش يزعل، الشرطة مش حمل الانقسام. إحنا لسة بنلم نفسينا من ساعة شهر زفت يناير. تصدق بالله...

- طبعًا يا افندم. لا إله إلا الله.

- أنا ساعات يهيأ لي أن الحاكم هو مَن عمل الثورة هذه لأنه ما دام يستطيع أن يبعث الناس إلى زمن آخر فلماذا انتظر لليوم الثاني حتى نحترق كل أقسام البوليس؟ لماذا لم يرسلهم من بعد صلاة الجمعة أو حتى أثناء الصلاة؟

لم يرد العقيد مؤثر. أخذ الوزير نفسًا طويلًا وقال:

- انصراف. وادعي لنا شغلنا يجيب أثر يا سيادة العقيد مؤثر!

ابتسم العقيد مؤثر وعاد إلى مكانه. اكتشف الوزير أن السيجار في الطفاية لم يدخنه بينما انطفأ تقريبًا فأشعله مرة أخرى وجلس في صمت.



أخذ نزار طريقه إلى الجبل مع الشاب «مرسال». كانا في سيارة «مرسال» الفيات القديمة. كان نزار مندهشًا جدًّا هل ستستطيع هذه السيارة أن تصعد بهما الجبل. قال له مرسال:

- والله يا دكتور أنا لا أصدق ما قالته ابنة عمي شهيرة. هل معقول أن دكتور مثلك يأتي من الشمال على البحر ليختفي في بلادنا من الثأر؟

لم يرد نزار مندهشًا من مناداته له بالدكتور، كذلك من قوله الشمال على البحر. لا بد أن شهيرة قالت لهم معلومات كثيرة خطأ. استمر مرسال في الحديث:

- طيب ستختفي شهرًا أو شهرين بين القتلة واللصوص، ثم تعود للنور فهل سيتركك طالبو الثأر؟

- شوف يا مرسال يا حبيبي. أنا بلّغت العائلة الأخرى أني لم أقتل أحدًا، وأن القاتل بينهم وعليهم أن يبحثوا عنه قبل أن يقتلوني ثم يندموا أمام الله بعد ذلك.

- وهل أنت تعرفه؟

- طبعًا.

- لماذا لم تخبرهم؟

- الرجل لا يفتن. ثم إن أمامي فرصة للهرب، وأنا على يقين أنهم سيبحثون عن القاتل وسيعرفونه. إنه بينهم. أنا رجل متعلم لا أقتل. ألجأ للقانون.

- معك حق. لكن هل في بلادنا قانون؟

- شوف يا مرسال. أنا ليس لي في السياسة. اسألني سؤالًا آخر، أو قل لي هل تستطيع سيارتك الصعود للجبل؟

- لا طبعًا. سنقف تحته وسينزل مَن يصحبك إلى أعلى. كل شيء مُرتب.

وحط الصمت عليهما. ابتعد مرسال كثيرًا بالعربة شرق البلد حتى انقطع الطريق الأسفلتي. مشى بالسيارة أكثر على مدقات بين الرمال حتى اقترب الليل. قبل أن يحل الظلام كانا عند سفح الجبل. قال مرسال:

- انزل هنا.

نظر نزار حوله. هل كان هذا حلًا له هو الذي أراد الاختفاء حتى نهاية العام؟ هل تسقط حقًّا حسابات النظام ولا يعود شيء مما جرى

في العام السـابق كاملًا فيصدق أنه على صواب وأن العام مختلف عن الأسبق، ومن ثم لن تحدث ثورة؟!

لم يعد أمامه فرصة للتراجع. سأل مرسال بعد أن نزل من السيارة.

- الن تنتظر معي حتى يأتي أحد؟

- أصعب شيء هو العودة من هنا إلى البلد في الظلام. سأتركك ولا تخف. دقائق وسيأتيك مَن يصحبك إلى أعلى. في أمان الله.

لم ينتظر ردًا من نزار. استدار بالسيارة فوق الرمال وأخذ طريق العودة. وقف نزار مرتبكًا حائرًا. ما الذي يمكن أن يحدث لو لم يأتِ أحد لاصطحابه إلى الجبل. هل سيعرف طريق العودة وحده في الظلام الذي خاف منه مرسال؟



في الثامنة صباحًا كان شباب مدينة فاروس الساحلية وشباب العاصمة يقفون يحملون لافتات تندد باستمرار الاعتقالات. وتندد بقتلة فاضل سعيد. في العاصمة «لاوندة» وقفوا على كورنيش النهر الكبير. في المدينة الساحلية وقفوا على كورنيش البحر. لم يكونوا كثيرين. أعداد العام الماضي لم تتغير. خمسون شابًا وشابة في المدينة الساحلية وخمسون في العاصمة. الفتيات يرتدين الملابس السوداء والأولاد في ملابس مختلفة. الكل يرفع اللافتات أمامه. لا يهتفون. الشعارات مكتوبة على لافتات صغيرة رفعوها وبعضها أيضًا باللغة

الإنجليزية. لم يكن عدد المحتجين مزعجًا أبدًا للنظام ولا وزارته للأمن والأمان. كان المزعج هو تكرار الاحتجاجات بشكل مثير. الفضائيات تقترب وتصور الشباب في كل مرة. مواقع التواصل الاجتماعي تصور وترسل عشرات الصور إلى اليوتيوب والفضائيات العربية والأجنبية. كان الشباب ينظرون إلى موبايلاتهم ليروا التعليقات على وقفتهم في المدينتين فيروا نفس التعليقات التي جرت في العام الماضي. إذن صحيح ما قاله النظام عن أنه جرى خطأ في حساب السنين! ولا يجب أن ينتظروا أن يكون الأمر غير ذلك!

كانت ماهيتاب بينهم ونورهان جوارها. ماهيتاب التي فقدت عينًا لها في حادثة من قبل تخرج عن الصف، تتقدم خطوتين إلى الأمام وتهتف:

عمر القهر ما أخر بكرة

عمر السجن ما غير فكرة

ثورة ثورة حتى النصر

ثم تدخل إلى الصف وتخرج نورهان. بعد نورهان يخرج شاب يردد نفس الشعارات أو غيرها. أحيانًا تجلس واحدة أو واحد منهم على سور الكورنيش العريض الإيطالي الحجر الذي بُني في العصر الملكي، وأحيانًا تقف ماهيتاب وتردد الشعارات من فوق السور. لا بوليس جاء حتى الآن والساعة تقترب من الثانية عشرة ظهرًا. قرر

الشباب المشي قليلًا إلى الأمام في اتجاه نصف المدينة. ابتسمت ماهيتاب وقالت نورهان:

- لماذا لم يظهر البوليس حتى الآن؟

قالت ماهيتاب:

- لم يظهر العام الماضي إلا في الساعة الخامسة.

سكتت نورهان لحظات فاستطردت ماهيتاب:

- لم تكوني هنا العام الماضي يا نورهان، ومن ثم لو قبضوا عليكِ سيكون هذا عامًا جديدًا رغم أنه يحمل رقم 2010.

- ليكن. ساعتها سيصدقون أنهم على حق وأن شيئًا لن يحدث فتفاجئهم الثورة. وإذا لم يقبضوا عليّ سيتأكد لنا أننا على حق إذ يفعلون الشيء نفسه، فالعام هو العام وستحدث الثورة!

- مخك جبار طول عمرك يا نورهان.

- صايعة يا بنت.

ضحكتا. كان الجميع قد وقفوا وارتفعت الصيحات. شردت ماهيتاب لحظات ثم قالت:

- بصراحة عندي أمل هذه المرة لما يقبض عليّ أبقى قطة! نفسي أرجع البيت أنونو على الباب ويطلعولي أكل قدام الباب باعتباري قطة غريبة فأقول لهم أنا ماهيتاب سيبوني أدخل وأرى انفعالهم.

ضحكتا من جديد ثم قالت نورهان:

- هذه المرة لن يتحول المعتقلون إلى قطط. فكوا السحر الذي لا نعرف مَن أصلًا فعله. جماعة الهدى والنصيحة جابو لهم واحد مبروك من راجستان فك العمل!

- كيف عرفتِ ذلك يا نورهان؟

- لا شيء يخفى الآن.

ابتسمت ماهيتاب ثم قالت:

- طيب انتبهي للهتافات. نحن نتحدث أكثر مما نهتف الآن.

لكن عشر سيارات شرطة للترحيلات ظهرت من بعيد قادمة بسرعة ناحيتهم. وقف الناس على الرصيف الآخر يشاهدون ما سيحدث وامتلأت البلكونات بالسكان. همست ماهيتاب:

- تمامًا مثل العام الماضي.

نزل أكثر من ضابط شاب برتبة ملازم وأكثر من ضابط برتبة مقدم وعقيد واحد. صرخ فيهم العقيد:

- لا أحد يتحرك من مكانه. التعليمات عندنا أن لا نقبض عليكم لكن إذا لم تتصرفوا الآن سنقبض عليكم جميعًا. سأنتظر دقيقة واحدة تخلوا فيها الشوارع الجانبية على الناحية الأخرى وتختفوا.

لكن صوت امرأة من بلكونة مقابلة علا وهي تهتف: «مسيركم برة. لاوند حرة. مسيركم برة. لاوند حرة».

همست ماهيتاب لنورهان في دهشة وفرح:

- إكرام!! المرأة نفسها التي هتفت في العام الماضي. لقد رأيتها في «الميدان الفرنساوي» وهي تناقش أحد الضباط فأقنعته أن يأخذ جنوده ويبتعد قبل أن يهرب الجنود آخر النهار. لعلمك فيه ناس في الشرطة كويسة بس مش باينين. فاكرة الضابط اللي كان مدور وش ويبعبط والعساكر بتهاجم المتظاهرين؟

- فاكراه طبعًا. للأسف دي حالات فردية.

- مَن يعرف؟ ربما يأتي يوم وتكثر هذه الحالات.

- أحلامك كتير يا ماهي

قالت نورهان ذلك مبتسمة فقالت ماهيتاب:

- المهم كان نفسي أشوف هذه السيدة مرة تانية. الحمد لله أن الدولة الهبلة رجعت الزمن ورأيتها.

وقبل أن ترد نورهان كان الجنود قد بدأوا يمسكون بالشباب ويجرّون الفتيات اللاتي كن يصرخن وينهرن الجنود معلنات أنهن سيمشين معهم بهدوء. ارتفعت أكثر من مرة صيحة «يا ولاد الكلب». وكان ثلاثة ضباط قد صعدوا إلى الدور الذي صرخت منه المرأة ونزلوا بها في جلبابها المنزلي وروب أخضر جميل حوله. لقد أخذوا نورهان معهم أيضًا. نورهان التي لم تكن هنا في العام الماضي.

11

استيقظ الناس في الميدان الكبير للعاصمة «لاوندة» على صوت صراخ جبار يملأ الفضاء ويصل إلى النوافذ المفتوحة فيطيّر هواؤه التحف واللوحات المعلقة في الصالات والغرف بالعمارات التي حول الميدان، ويحرك الأثاث الرابض على الأرض منذ سنين يصطدم بالجدران. أكثر من شخص وزوجته أو عشيقته أو المرأة التي التقطها من الشارع تحرك بهما السرير بقوة أصدرت صريرًا على الأرض اختلط بصراخ النساء.

زلزال! هكذا كانت الصيحات في كل البيوت. جرت النساء بملابس النوم تحمل أطفالها والرجال كذلك والغريبات نزلن بسرعة قبل أن يمتن فيعرف أهلهن ماذا كُنّ يفعلن في حياتهن بعيدًا عنهم، لكن صوت الزئير لم ينقطع. ازداد ومعه يهتز الفضاء وتُسمع أصوات ارتطامات جبارة بالأرض حتى ظن الجميع أن العمارات تقع.

مَن نزلوا ومَن تأخروا وكانت لديهم الجرأة على النظر من النوافذ المهشمة، رأوا حيوانًا، وحشًا يقف على قدميه. هتفت فتاة «كينج كونج». كان الحيوان يدور على السيارات الواقفة يرفعها ويلقي بها

بعيدًا فتحطم وبعضها يحترق والناس في رعب. الجميع الآن وقد فارقوا كل العمارات وقفوا أمامها متخشبين تكاد أكفهم تتجمد على أيدي أطفالهم الذين منذ فتحت الأبواب يبكون رعبًا. من أين جاء هذا الحيوان الذي انقرض ولم يره أحد منهم إلا في السينما وكيف وصل إلى الميدان الكبير. وماذا يثيره ليفعل هذا كله؟

استيقظ كل المسؤولين الكبار على مكالمات تليفونية مرعوبة ومرعبة. وزير الأمن والأمان «مَم» ومدير «مُز» على رأس مَن أيقظتهم مكالمات الدهشة والاستغاثة. انقطع الإرسال التلفزيوني والإرسال الإذاعي ولا أحد يعرف السبب ولا يتصور أحد أن زفير الحيوان الغاضب يوقف عمل أبراج شبكات الإذاعة والتلفزيون والإنترنت. ملأ الرعب وزارة الأمن والأمان القريبة وكان العقيد مؤثر النائم هناك تلك الليلة يكلم وزيره مرعوبًا.

- يا افندم كما أقول لمعاليك، كينج كونج ظهر في الميدان يحطم السيارات ويزأر. ينفث هواءً يحطم النوافذ والأثاث ولو تحرك ناحيتنا ستخرب الوزارة بما فيها.

- انت بتهزر يا حيوان؟

- يا افندم أنا مش باهزر. أنا أعطيت أوامر لكل السيارات أمام الوزارة أن تبتعد إلى الأحياء الشعبية القريبة لتختفي، وأعطيت أوامر للمرور بغلق الشوارع التي تصل إلى الميدان. لا أحد يعرف كم

السيارات التي يمكن أن يحطمها هذا الحيوان ولا كم الناس الذين من الممكن أن يأكلهم.

لم يكمل الوزير المكالمة معه واتصل بمدير «مُز» فوجده يقول له:

- يبدو أن الحاكم أخطأ في الحساب. قال سنة واحدة لكن من أين أتى هذا الوحش الذي ينتسب لعصور الجليد.

- وماذا يمكن أن نفعل الآن؟

- لا بد من قتله؟

سكت وزير الأمن والأمان وهو يسترجع فيلم كينج كونج الأمريكي حيث فشلت كل الأسلحة واضطروا لاستخدام الطائرات سمع صوت مدير «مُز»:

- أين ذهبت؟

- أفكر هل ستصلح أسلحتنا. أرجو أن توقظ السر عسكر يرسل إلى الميدان الدبابات للتخلص من الوحش. لا حل غير ذلك.

- سأفعل. لكن هل أخبرت أحدًا غيري؟

- لا طبعًا. لا أستطيع أن أوقظ الحاكم من النوم الآن. مش ناقص يقول لي عايز إيه يا روح أمك ع الصبح.

- بذمتك بيقول لك يا روح أمك والا حاجة تانية خاصة بأمك؟

- مش فارقة.

- أصل روح أمك دي بيقولها لي أنا. أنا درجة أعلى رغم إني مش وزير.

- يا افندم ليس وقت الجدل الآن؟ أيقظ أنت الحاكم وأخبره بكل شيء. أنا سأرسل من جانبي عربات مدرعة تحاصر الميدان حتى لا يهرب. سيصوبون إليه الرصاص دائمًا فيرتد إلى منتصف الميدان حتى تأتي الدبابات.

- وهو كذلك.

كانت زوجة الحاكم تلكزه في صدره وتقرصه في ذراعه وهو نائم جوارها بالبيجامة الصيفي الحرير حتى استيقظ فقالت شبه حائرة:

- يا أخي قم لترى المصائب التي فعلتها.

نظر إليها مندهشًا وسألها:

- ماذا جرى يا ولية. تصحيني بدري ليه؟ هو أنا شغال عند أبوكِ؟

زجرته قائلة:

- ليس هذا وقت الكلام. هناك مصيبة في الميدان الكبير.

لم يتحرك من رقدته وقال:

- أي مصيبة؟ العيال المتأجرين من فيبوتشا رجعوا للثورة؟ سأرميهم من جديد سنة ورا. ألف سنة هذه المرة حتى نتخلص منهم.

- والنبي قم.

اعتدل جالسًا من رقدته واتكأ بظهره على ظهر السرير وسألها غاضبًا:

- فسري كلامك يا ولية. أي مصيبة توقظيني بدري بسببها؟!

ضربت كفيها ببعضهما وقالت:

- الديناصورات.

شخط فيها:

- ديناصورات! هل جُننتِ؟

- في الميدان الكبير ديناصور يحطم السيارات ويصرخ والهواء الخارج مع صراخه حطم النوافذ وطير الأثاث داخل البيوت.

قال ساخرًا:

- هذا حلم. كابوس جاءك وأنتِ نائمة كي توقظيني.

- أنت عارف أن بنت عمي ساكنة هناك. أيقظتني وكلمتني في التليفون الأرضي. الشبكات الهوائية مقطوعة.

- كمان! طيب ليه؟

- لا أحد يعرف. أكيد الهواء الذي يخرج مع أنفاسه أثر عليها.

ترك السرير وجلس على مقعد قريب. دق جرس التليفون فقالت:

- أكيد وزير الأمن سيكلمك أو مدير «مُز».

ثم قالت ساخرة:

- قذفت الشباب سنة ورا. أنت رجعتنا آلاف السنين ولا تدري، لذلك ظهرت الديناصورات.

تركته وخرجت. أمسك بالتليفون فوجد مَن يحدثه هو مدير «مُز» ردَّ عليه ساخرًا:

- أنت أيضًا؟! يوم أغبر من أوله.



لم تستطع العربات المسلحة للبوليس أن تطلق رصاصة على الحيوان - الديناصور أو كينج كونج كما يقولون. وقف الجنود جميعًا ينظرون إليه وهو يدور في الميدان الكبير صارخًا والهواء الخارج مع صراخه يكاد يطيرهم ويحرك عرباتهم فوق الأرض. كان من بينهم الشرطي الذي رأى الفئران بالليل وزميله. قال الأول:

- ما هذا أيضًا؟ أنا فكرت الفئران حلم ونسيت الموضوع.

- حلم ولا الضابط ضربك على قفاك فوّقك.

قال الثاني ضاحكًا، فرد الأول:

- كنت معي وشفت. لكن ما هذا الوحش؟ إنه يقترب منَّا.

كاد يجري لولا أن زميله أمسك به.

- الله يخرب بيتك قف. هذا هروب من الخدمة. سجن لن تخلص منه.

قال الأول وهو يحاول الإفلات منه:

- اسجن وأرفد أحسن من الموت. اتركني.

لكن أحد الضباط الشباب ظهر أمامهما وهتف فيهما:

- اثبت مكانك يا عسكري. لما يقرب اضرب رصاص.

لكن نفحة هواء قوية وصلت إليهم فطاروا وغيرهم إلى الوراء وسقطوا بعيدًا فوق الأرض على مؤخراتهم. من فرط الألم صاروا ينظرون إلى بعضهم في دهشة لا نهائية.

كان كينج كونج قد عاد إلى منتصف الميدان. لدهشة الجميع بدأ يضحك. اتسعت ابتسامته أمامهم وسمعوا صوت ضحكاته تختلف عن صراخه الأول. ثم رأوه ينظر إلى أعلى سقف إحدى العمارات. كانت عصافير كثيرة تقف فوق خزان المياه أعلى السطح. وبينها تقف فتاة لا يتبينون ملامحها تشير إليه بذراعها إشارات سريعة كأنها تحييه أو تخبره أنها هنا.

صرخت إحدى الفتيات أمام إحدى العمارات في الواقفين وهي تشير إلى أعلى:

- ما يحدث هنا فيلم. وربما فيلم كينج كونج نفسه. كان فيه بنت حلوة كهذه.

رفع الكثيرون أعينهم إلى حيث ينظر كينج كونج وبدت الدهشة والخوف على وجوههم. هل هم حقًّا في الدنيا التي عرفوها أم في فضاء افتراضي؟ في فيلم سينما حقيقي؟

كان شاب ينظر إلى تابلت صغير يعمل في يده بعد أن استطاع اختراق شبكة الأقمار الصناعية، ويبحث عن شيء يُقال في التلفزيونات فوجد مذيعًا يقول:

- إليكم بعد قليل بيان هام من حاكم البلاد.

قال لمَن حوله:

- أليس الإرسال التلفزيوني والإذاعي مقطوعين بسبب كينج كونج هذا؟ لماذا رجع الإرسال من أجل بيان الرئاسة؟

قالت له الفتاة التي تجاوره:

- صدّقت يا محمد؟ عرفت أن ثورة قامت هنا؟ عرفت أن الدولة كذابة؟

كان محمد مجندًا في الجيش وقت قيام الثورة. كان في وحدة بعيدة في صحراء الجنوب. لا راديو لديهم ولا تلفزيون ولا صحف تصل إليهم، وإحكامًا في العزلة يأخذون منهم الموبايلات أثناء وجودهم حتى لا ينشغلوا بشيء آخر غير حراسة الحدود. الموبايل مسموح به للضباط فقط. قامت حركات الشباب يوم 25 يناير ولم يعرفوا شيئًا. شهدت المدن كلها عمليات قتل للمتظاهرين في اليومين التاليين ولم

يعرفوا شيئًا. حدث انفجار الشعب بعد صلاة الجمعة في 28 يناير ولم يعرفوا شيئًا. كانت إجازته في اليوم نفسه. وصل «لاوندة» في منتصف الليل. بصعوبة حيث لا توجد سيارات ولا قطارات. أكثر من سيارة مالية هي التي نقلته. عرف ما جرى لذهب إلى الميدان الكبير قبل أن يذهب إلى بيته. وجد الشباب يهتفون في وجهه «الجيش والشعب يد واحدة». ويحتضنونه ويرفعونه عاليًا. وصل إلى بيت أسرته عند الفجر فرحًا. كان متعبًا جدًا. ذهب إلى الميدان بعد يومين فلم يجد أحدًا. عاش ما جرى بعد ذلك. صار إذا ظهر بين الناس ينظرون إليه في ضيق. هل فعل الجيش بهم أي شر؟ ما يسمعه هو من فعل رئيس البلاد. أراح نفسه وقرر أن يعتبر نفسه في بلد غير بلده، وطلب من رئيسه في الوحدة في أقصى البلاد أن لا يعطيه أي إجازة مهما يطلب، أن يساعده أن يمضي العام الباقي له في الخدمة العسكرية كله هناك بعيدًا عن الدنيا، وحين يخرج سيعرف أين هو وفي أي زمان.

لكنه لم يستطع. ورئيسه في الوحدة أشفق عليه بعد شهور فأعطاه إجازة إجبارية حتى يستطيع بعد ذلك مواصلة الخدمة. وصل منذ يومين وأمس بات هنا في غرفة يستأجرها صديقه إسلام على سطح إحدى العمارات. سهرا سهرة جميلة ومعهما أصدقاء آخرون. كانت معهم هذه الفتاة التي تسكن مع زميلتها في شقة صغيرة في نفس العمارة وتعرف صديقه إسلام. كانت السهرة في شقة فايزة هذه وصديقتها وصديقتهم وسيمة، وعند الفجر انصرف الشباب. صديقه

إسلام صعد غرفته وهو معه. ما يجمع بينهم هو الفن. كلهم فنانون تشكيليون صاعدون بقوة وهو كاتب قصة لم ينشر قصصه بعد. هم جميعًا من رواد مقاهي نصف البلد ومنها تصادقوا.

كان محمد حائرًا يفكر. ما الذي جعله ينزل إجازة؟ ألم يكن الأفضل أن يقاوم رئيس وحدته ويظل حتى نهاية العام؟ لماذا جاء من صحراء نائمة إلى بلد خرافات كالتي يراها أمامه؟

قال لفايزة:

- اسمعي البيان. يا جماعة اسمعوا بيان الحاكم.

انتبه الواقفون على الأبواب من الداخل في العمارة واقتربوا منه.

«بسم الله الرحمن الرحيم. شعبي العظيم. لقد انتقلت لاوند إلى حرب جديدة هي حرب الفضاء الافتراضي. الدول الكبرى التي جعلت شبابنا على الإنترنت غاضبين منا ويخرجون مظاهرات ويتحدثون عن الثورة، الآن حين رأت هذه الدول أن شبابنا العظيم يعرف قيمة بلاده وحكامها الذين يحبون هذه الأرض ويقدمون مَن عليها. وبعد أن هزمنا الطاغوت الخارجي يشنون علينا حربًا إلكترونية. يطلقون علينا أفلام الرعب التي أخرجوها في شركاتهم متصورين أننا سنتصور أن ما يحدث حقيقي. انزلوا إلى الميدان الكبير فلا شيء هنا يدعو للرعب ولا الخوف، وما ترونه من وحوش يحاول خبراؤنا الآن الوصول لكلمة سر إطلاقها من الأفلام القديمة والقضاء عليها. عاشت بلدنا حرة مستقلة».

قهقهت فايزة وقالت بصوتٍ عالٍ:

- مجنون. وربنا مجنون.

بهت الواقفون جميعًا فقال محمد وهو ينظر في اللاب توب:

- المذيع يتعثر وهو يعتذر عن قطع الإرسال مرة ثانية والصورة اهتزت وتشوهت وراحت وراح الصوت.

- هم إذن يفعلون كل هذا الخرف. أنا ذاهبة للوحش. هم مَن أرسلوه.

وجرت إلى الوحش قبل أن يوقفها أحد، لكن الوحش كان يرفع يديه إلى أعلى ناحية هديل التي لا تزال أعلى العمارة القديمة الجميلة، ودوت في الفضاء موسيقى سريعة الإيقاع لا يُعرف مصدرها. صاروا ينظرون إلى بعضهم لكنْ شابًا قال مندهشًا كأنه يحدث نفسه: «السمفونية الخامسة لبيتهوفن. القدر. من أين تأتي؟»

تجمّد الجميع في أماكنهم. تراجع كينج كونج إلى الخلف ودوى صوت من إحدى المركبات البولية:

- البنت اللي بتقرب من الوحش ترجع. إحنا غير مسؤولين عنها.

لكن فايزة اقتربت أكثر بينما كان كينج كونج معنيًا بالنظر إلى هديل أعلى العمارة ولا يهتم بها ولا يلتفت إليها. لما اقتربت فايزة منه أكثر وصارت أمام قدميه لا تشغل إلا مساحة قصيرة جدًا من ساقيه دوت الرصاصات من كل المركبات فزأر كينج كونج وطار الهواء من

لمه ناحية المركبات والجنود فطار الجنود وسقطوا في النهر الكبير خلفهم. ازداد زئيره جاريًا أمام المركبات فسقطت كلها في النهر الكبير وعاد بهدوء إلى قلب الميدان. رأى فايزة فوقف ينفث بهدوء أمامها وانحنى إليها فسقطت دمعة من عينه، ثم رفع رأسه عنها وتركها وهي وقفت متجمدة في ذهول.

- ما عملهاش حاجة. دا بيحبها. زي الفيلم بالضبط. كلام الحاكم صح يا جماعة.

هكذا هتف رجل، لكن محمد الذي رأى كينج كونج يتركها وينجه إلى الأمام يقف يلوّح إلى هديل وجد في نفسه الجرأة ليجري إليها يحتضنها ويدفعها أمامه. صرخت فيه:

- اتركني يا محمد. نحن في أمان.

تركها ووقف أمامها. رأى دمعًا في عينيها فقال:

- تبكين يا فايزة؟

- هو أبكاني. بكى حين اقترب مني.

- إذن هو حقيقي؟

- مثل كل شيء فعلوه وخرج من أيديهم يا محمد.

- إذن دعينا نعود إلى الناس.. نكتفي بالفرجة.

انتهت الموسيقى ودوت بعدها موسيقى أخرى جميلة في إيقاعات تتصاعد لكن على مهل. همس الشاب الذي همس من قبل مرة ثانية وقال: «البوليرو لرافاييل»، ثم هتف من جديد:

- يا جماعة من أين تأتي هذه الموسيقى؟

صار الجميع أمام البيوت في وجوم وفي البلكونات. صار الهواء رقيقًا جميلًا رغم الحر وبدأت سحب بيضاء تأتي من بعيد. وقف الشاب متأثرًا بالموسيقى يكاد يبكي. يقول لنفسه: «بعد ما نزلت الميدان يوم ثمانية وعشرين يناير وبدأت أعزف ع الجيتار لقيت نفسي في الصحرا من غير الجيتار بتاعي. كان نفسي أبقى ملحن الثورة. خدرونا ورمونا بين الجبال».

ورأى الجميع كينج كونج أمام العمارة العالية يرفع ذراعيه فتسقط بينهما هديل، وكانت الدبابات قد أقبلت وأحاطت بالميدان الكبير. قال الواقفون: «ربنا يستر الدبابات ما تضربش الوحش. حيهدوا بيوتنا الله يخرب بيوتهم»، لكن السحابة البيضاء كانت قد اقتربت وهتف الشاب الموسيقار الذي اسمه إسماعيل:

- أنا رأيت هذا المشهد بعد أن أفقت من التخدير في الصحراء. السحابة البيضا أخذت البنت الحلوة التي من الشام لكنها كانت على ظهر الحصان المجنح. بيجاسوس.

كانت السحابة البيضاء تنخفض تملأ نصف الميدان وترتفع بهما لايظهر لهما بينها أثر ولا لون فهتف:

- هذه البنت هي التي أفاقتنا من الغيبوبة. هي التي قبّلتنا جميعًا قبلة الحياة.

كان مَن حوله يسمعونه ولا ينتبهون من فرط دهشتهم وخوفهم مما يرونه. ومشت في الفضاء موسيقى حزينة. مشت بهدوء تتسلل إلى الأرواح. مشت بهدوء تحرك الدموع في مآقيها. وأتت غيمة سوداء من بعيد. وبدأ الناس يشعرون بالذكريات الضائعة تتداعى عليهم. كان محمد قد عاد بفايزة التي راحت تبكي أمام البيت وهو يحتضنها ويربت ظهرها وقال الشاب الموسيقي إسماعيل:

- يا أرحم الراحمين. أداجيو الحزينة لألبينوني تنزل علينا من السماء. هل ستسع الأرض لبكاء هذه البلاد.

لكنه عاد فصرخ:

- لا بد يومًا أن نعزف معزوفة النصر كما عزفها أندريه ريو. لا بد أن أعزفها يومًا في الميدان وستكون عندي فرقة كاملة من أعظم الموسيقيين يا بلد.

12

لم يطُل انتظار نزار ذلك المساء ورأى رجلًا قادمًا بسرعة يمتطي جوادًا ويقف أمامه مثيرًا بعض الأتربة.

- اركب خلفي.

اقترب منه نزار دون كلام. مَدَّ له الرجل يده فأمسك بها وقفز خلفه.

- تمام. واضح أنك محترف ركوب الخيل.

ابتسم نزار الذي أُعجب من كونه فعل ذلك بسرعة حقًّا. أسرع الرجل ودار أكثر من دورة جعلت نزار يفقد الاتجاهات ومعناها. انتهى به الأمر أمام جماعة يجلسون على حصر ممتدة فوق التراب في صفين يتصدرهما رجل بدا له، من زيه الفخيم النظيف ووجهه الأسمر قوي الملامح وعينيه الثاقبتين، أنه زعيمهم. كان حوله عشرة رجال، بينهم الطعام في أوانٍ كبيرة. فتة وخروف صغير مشوي. من الذي يفعل ذلك وليس بينهم نساء؟ لا بد أن وحدتهم في الجبل علمتهم كل شيء.

- اجلس.

قال الزعيم فجلس.

- كُل. لا تقُل إنك شبعان.

ضحك بقية الرجال وقال أحدهم:

- لا أحد يقول للزعيم لا.

كانوا يأكلون بأيديهم على عادة أهل الصحراء. لم يرَ ملاعق أمامه. راح يأكل مثلهم. لقد أحسَّ بجوع حقيقي. قال الزعيم:

- هل أنت دكتور؟

ارتبك. كان «مرسال» يناديه بالدكتور. هل قال لهم ذلك؟ بِمَ يجيب الآن؟ فكر قليلًا وقال:

- أجل دكتور في القانون والحقوق.

نظر إليه الجميع في دهشة. أدرك على الفور خطأه. هؤلاء لصوص في النهاية هاربون من القانون. كيف يقول ذلك حقًّا؟ وهل سيأمنون إليه؟ ابتلع ريقه وقال في نفسه ما جرى قد جرى ولا يمكن التراجع فيه، لكن أحد الرجال قال:

- يعني دكتور. ما لنا والقانون. المهم أنك دكتور.

ولم يجد فرصة للتعليق إذ قال الزعيم:

- زوجتي مريضة. ودِّي تعالجها.

أُسقط في يده تمامًا. هنا ستكون نهايته هو الذي جاء للاختفاء حتى يمر وقت اعتقاله الذي جرى من قبل. قال الزعيم:

- الحمد لله.

وتوقف عن الأكل فتوقفوا جميعًا. قام أحدهم بسرعة وأحضر دلوًا به ماء وكوزًا صغيرًا وراح يسكب الماء على يدي الزعيم بعد أن قدم له أحدهم صابونة صغيرة.

حين جاء دور نزار ليغسل يديه لم يكن الزعيم موجودًا. كان القمر يضيء الصحراء ويأكلون على ضوئه. ماذا يفعلون حين يغيب القمر أو يكون هلالًا أو صغيرًا إذ إنه الليلة في اكتمال. النجوم وحدها لا تكفي. لا بد أن لديهم مولدًا للكهرباء يعرفون كيف يديرونه. بعد أن انتهى انتظر مَن يخبره بمكان نومه أو يأخذه إليه. توقع أن يكون في مغارة في بطن جبل من الجبال الصغيرة التي تحيط بالوادي فوق الهضبة التي صعدها. لم يكن جبلًا الذي صعده وإلا ما هذه الجبال الصغيرة حوله؟ فوجئ بمَن يأخذه من ذراعه قائلًا:

- الزعيم في انتظارك.

مشى معه قليلًا ثم دخل به مغارة واسعة قليلًا بها سرير نظيف ومقاعد مختلفة الأنواع وصناديق مغلقة والمفتوح منها تظهر منه ملابس. وعلى أحد الجدران كليم طويل منسوج عليه صورة ليونس المصرايمي خلف قضبان السجن وعزيزة الزانانية تقف أمامه في يدها

مفتاح. هذه الأسطورة التي شاعت في الدنيا وكيف أحبت عزيزة يونس فخلصته من الأسر.

- اجلس.

هتف الزعيم فجلس على أحد المقاعد مرتبكًا. ماذا يريد منه الزعيم هنا وأين هي حقًا زوجته؟ باب صغير في المغارة انفتح وهلّ منه وسط ضوء لمبة الغاز الكبيرة. هناك غرفة أخرى إذن. كانت سيدة صغيرة منقبة تُنذر عيناها أن وراء النقاب جمالًا فتانًا. انجذب إلى جسمها وكاد يتطلع إليه لكن نظرة الزعيم مرعبة فأمسك عن أن يضعف أمام رغبته. قال الزعيم:

- هذه زوجتي. تستطيع أن تعرف مرضها أمامي وتستطيع أن تعالجها.

كانت هي تنظر إليه نظرة لا تخلو من عطف. نزار شاب يرتدي بدلة أنيقة ويبدو شعره مغسولًا ومدرجًا بعناية ورائحة برفان تأتي منه ووجهه يميل إلى الاحمرار وعيناه خضراوان. قالت وهي ترى نزار مرتبكًا جدًا:

- أنا بخير الليلة. يستطيع الدكتور أن يراني غدًا في النهار إذا أحسست بالتعب.

تنفس نزار بهدوء وتراجع خارجًا بعد أن تمنى لهما ليلة سعيدة. ما كاد يخرج من المغارة حتى تنفس الصعداء مرة وبعدها مرة لا يصدق

ما جرى ويفكر كيف يهرب من المكان. السجن أفضل له من أن يكون نائبًا هنا.

لم يجد أحدًا في الخارج يخبره أين ينام فمشى قليلًا حتى جلس على صخرة تحت ضوء القمر.

لقد أصبح الآن مقطوعًا عن الاتصال بالبشر كما أن شبكة الإنترنت لا تعمل هنا. لا بد أن اللصوص وقُطّاع الطرق اختاروا هذا المكان لذلك. أحسّ بالنسمة حوله رائعة تتسلل إلى جسمه بالراحة والانتعاش فتساءل ما الذي حدث اليوم في البلاد. هل لا يزال القبض على الشباب مستمرًا. وهل ما زال البوليس معنيًا بقتل القطط والفئران. هل سيستطيع البقاء هنا حقًا؟

أسئلة كثيرة راحت تراوده. لقد حذرته شهيرة من أنه لن يقدر على الوحدة هناك كما لن يقدر على حياة قطاع الطرق. الآن يتساءل هل يختلف القبض عليه عن عدم القبض عليه. لقد قالت الدولة العبيطة إنه لا ثورة حدثت ولا عام 2011 بدأ. إذن ستعيد كل ما جرى في 2010 وسيقبض عليه. هو يرى أنهم لن يقدروا على القبض عليه في كل الأحوال الآن. حقًا سيتأكد للدولة العبيطة أنها على حق وستنسى كذبتها البلهاء وهذا يعني أيضًا التفاؤل بما سيأتي، لكن ألم يكن من الأولى به البقاء والمساهمة في الاحتجاجات أكثر من ذي قبل؟ على أي حال هو لم يفعل شيئًا لم يوافق عليه زملاؤه، سيحاول أن يمضي شهرين هنا بين الجبال. ستضاف له خبرات من عالم قطاع الطرق قد

يكتبها يومًا حكاية هو الذي توقف عن كتابة الشعر من أجل السياسة. هو الذي رأى أن مواهب كثير من الشعراء أفضل من موهبته فقرر أن لا يخوض معارك طائشة. ميله للقانون والعمل القانوني أكبر، لكن هذا لا يمنع أن يحكي حكاية!

راح ينظر حوله إلى الصمت الذي شمل الدنيا. الاتساع الذي نزل على المكان. رعشة خفيفة من برد خفيف غير متظر هنا في الجنوب. أحس أنه وحده في الكون، كيف حقًّا لا يسمع صوت ذئاب شاردة ولا كلاب. لا يظن أن القطط تعيش هنا. ستكون فريسة لكل الحيوانات. هذا الصمت يعيد عليه ما مضى كله. كيف أسس صفحته على الفيس بوك وكيف أسست نورهان صفحتها وأحمد خشبة وكيف كان مصطفى ممّن يديرون صفحة كلنا فاضل سعيد. كيف أسست ماهيتاب وشهيرة وكثيرون لم يكونوا يعرفون بعضهم صفحاتهم فكانت هذه الصفحات هي مفتاح التعاون بينهم. كيف صار لهم معجبون ازدادوا حتى تجاوزوا الملايين. لم يعد الوطن في حاجة إلى أحزابه القديمة من اليسار والليراليين التي حاربها النظام كثيرًا وصادر صحفها كثيرًا وقبض على أعضائها وقياداتها كثيرًا حتى أرهقها وصارت في النهاية خاضعة له على الأقل في زعمائها، وصار وجودها لمعادلة جماعة «النصيحة والهدى» شكلًا لا حقيقة، هؤلاء الذين اتفق معهم النظام الحاكم أن يطلق أيديهم وسط الشعب ليأخذوا الناس إلى الآخرة وينهب أبو العساكر ورجاله الدنيا. أربعون عامًا وأكثر ورجال النصيحة

والهدى ينادون بعذاب الآخرة وشاركهم الذين تمسكوا بالماضي باعتباره السلف الصالح فاعتبروا أن أزياء الصحراء هي أزياء الإسلام وأن المرأة شيطان وبنوا المساجد تحت البيوت ذريعة لمخالفة قوانين البناء فامتلأت البلاد بالعشوائيات وطفحت مجاريها واقتصر هواؤها على الشواطئ فقط وصارت الجلابيب هي زي الرجال والإسدال والنقاب والحجاب أزياء النساء وأهملت الدولة التعليم ليذهب الناس يتعلمون في مدارس «النصيحة والهدى» الخاصة وفصول تقويتهم فلا يتعلمون، وأهملت الصحة ليذهب الناس يستشفون في مستوصفات «النصيحة والهدى» فلم يشفوا، وصار البلد قبل الأخير في التصنيف العالمي للتعليم والأول في التصنيف العالمي لمرضى الكبد والسرطان والفقر. تاريخ طويل لا يريد أن يسرده أكثر، فلينعم بالهواء البارد ويقول لأبيه المتوفى وللآباء الأحياء جميعًا نحن الجيل الجديد نقدر تعبكم في تربيتنا وإرهاقكم في معارضة النظام واستسلامكم في النهاية. افتقدتم الفضاء الافتراضي. تويتر والفيس بوك الذي صار هو حزبنا الحقيقي فلا حاجة لنا حتى للأحزاب السرية. المهم أن تستطيع الدولة العبيطة أن تتابعنا. لقد صرنا مثل النمل ولا بأس فشباب الوطن أكثر من ستين في المائة من الشعب، ولا سبيل لمحونا إلا بمحو الوطن ذاته.

انتبه إلى أن أحدًا حقًا لم يخبره بمكان نومه. كان قد نسي ذلك. لكنه رأى رجلًا يقبل على فرس من بعيد وسط الظلام. ظل في مكانه حتى وصل إليه الرجل الذي ترجّل عن حصانه وقال:

- لماذا تجلس وحدك حتى الآن؟

وقف يرد:

- أنا ضيف هنا لم يخبرني أحد بمكان نومي ولم أحب أن أزعج أحدًا بالسؤال. كلهم ناموا تقريبًا.

- تعالَ معي.

وأخذه إلى مغارة صغيرة وقال:

- هذه مغارة الضيوف. أول مرة تأتي إلينا؟

- أجل.

- إذن ادخل وغير ثيابك ونم. في الداخل جلابيب. ملابس هذه البلدة فكن مثلنا.

دخل إلى المغارة فوجد مصباحًا غازيًا صغيرًا مضيئًا، وصندوقًا به جلابيب متعددة الألوان. خلع ثيابه واختار واحدة منها لرتداها وتمدد على السرير ينظر في السقف الحجري القريب ويفكر فجأة.. ماذا سيحدث غدًا حين يطلب منه الزعيم معالجة زوجته؟ هل يمكن أن يهرب الآن؟ لن يستطيع. لن يعرف الطريق وسيكون مصيره للثعالب والذئاب تأكله.

في الصباح تناولوا إفطارهم على الحصر المفروشة على الأرض كالعادة. جبن وعسل أسود وعسل نحل للزعيم، وخبز جاف صنعوه في فرن لديهم. شربوا الشاي وتجشأوا وقال الزعيم:

- اليوم موعد سيارة البريد.

وأشار إلى ثلاثة منهم وقال:

- أنتم تنتظرونها على الطريق الساعة السابعة. تأتون بها دون السائق.

كان يسمع الكلام ولا يُبدي أي دهشة. سيعرف كل شيء دون مشقة ما دام سيبقى هنا. لكن هل سيبقى هنا حقًّا؟ ماذا لو هرب بنهار اليوم؟ قد يكون الطريق أسهل. لكن أيضًا قد يعتبرون الهروب خيانة ويطاردونه فيجدونه بسرعة ثم يطلقون عليه النار. لن يعرف أحد أبدًا انه قُتل هنا. ولا حتى شهيرة ستعرف، وإن عرفت لن تجرؤ أن تعلن هذا. قريبها مرسال سيكون الضحية إن لم تكن هي. لماذا طاوعتني يا شهيرة؟ أما كنتِ قادرة على إقناعي بعكس ذلك؟ أما كنتِ قادرة على شرح كيف أنه يمكن أن تكون في المغامرة نهايتي؟ وفوجئ بالزعيم يقف ويقول له:

- معي. الآن موعد مناسب تسمع شكوى زوجتي من المرض ونكتب لها الدواء المناسب لنشتريه من البلد.

اصفر وجهه ووقف حائرًا لكن الزعيم كان يمشي أمامه بسرعة فمشى خلفه. دخل إلى مغارته. رآها الآن أوسع مما رآها أمس.

كانت الزوجة الشابة جالسة في ركن على مقعد صغير. ما إن رأتهما حتى وقفت.

- ها هو الطبيب. قولي له ما يتعبك. سنرسل مَن يأتي بالدواء.

وقفت ساكتة. لاحظ نزار أن ألق عينيها الذي ظهر له بالليل أمس قد انطفأ قليلًا.

سمع الزعيم مَن يناديه بصوتٍ عالٍ من الخارج. دخل صاحب الصوت بسرعة دون استئذان وبدا عليه التوتر. قال:

- يا زعيم الحق. الجمل هرب.

صرخ فيه الزعيم:

- أنتم كلاب. كيف يهرب منكم جمل؟ سأطارده أنا يا بهايم واقتله.

وخرج مسرعًا وخلفه معاونه بينما وجد نزار نفسه وحده مع زوجة الزعيم فبدأ يرتبك. قال لها:

- أستأذن حضرتك. سأخرج.

قالت وقد تألقت عيناها فجأة:

- ألن تعالجني يا دكتور؟

كان يعرف أن بقاءه وحده معها مغامرة قد تكون عاقبتها القتل. قال:

- يمكن أن تتبعيني نتحدث في الخارج.

واستدار ليعود خارجًا فقالت:

- انتظر يا نزار.

وقف مذهولًا. كيف عرفت اسمه؟ هل أخبرها به زوجها؟ استدار وقال:

- هل أخبرك الزعيم باسمي؟

قالت باسمة من خلف النقاب:

- الصحف يا نزار. صورتك في الصحف أيام الثورة تكفي.

أخذه الصمت من المفاجأة، فقالت وهي تُنزل النقاب عن وجهها:

- ما الذي أتى بك إلى هنا؟ هل خطفوك؟

كان ينظر إلى وجهها الأبيض وإلى جمال ملامحها واكتناز شفتيها. لم يرد فقالت:

- أقصد هل خطفوك كما خطفوني؟

قال في حيرة:

- ألستِ زوجة الزعيم؟

- لا. هو يحاول لكني لم أخضع له حتى الآن. هل تريد أن تعرف القصة؟ سأرويها لك.

وأعادت النقاب بسرعة إلى مكانه إذ سمعت صوت أقدام تقترب منهما.

13

اكتشف الشباب أن صفحة الدكتور مصطفى على الفيس بوك تعمل رغم أنه انقطع عنها منذ أُلقي القبض عليه، وأن صفحة «كلنا فاضل سعيد» التي شارك في إدارتها من قبل قد عادت رغم أنه لم يتم الإفراج عنه وجدد له المحقق الحبس مرتين حتى الآن. بعد انقضاء أول شهر كان لا بد أن يُعرَض على المحكمة وفقًا للقانون، فجدد له القاضي دون أن يستمع إليه، ولا إلى أحد من الشباب الذين معه.

قرأ الشباب على صفحته:

«الناس شافت كينج كونج في الميدان الكبير لكن الدولة العبيطة تقول إنها مؤامرة من الخارج وإنه ليس حقيقة، بل خرج من الفيلم ليعود إليه»..

وهنا توالت التعليقات:

«المصيبة أن حاكم البلاد بنفسه هو مَن أعلن ذلك. كلنا نعرف أنه قليل الكلام، وفي المرات القليلة التي تحدث فيها أكد هَبَل الدولة»

«هناك إشاعات تقول إن أجهزة البوليس ألقت على سكان الميدان الكبير نوعًا من المخدر يجعلهم يدخلون في منطقة الهلاوس، وأنا

أصدق منه الإشـاعات؛ لأن حاكمنا كان نائمًـا تلك الليلة في الميـدان بعيدًا عن زوجته»

«أنـا أؤيد هـذا الكلام لأني كنـت على باب الإذاعة للمشـاركة في تسـجيل مسلسل إذاعي، ورأيت الحاكم بنفسه يأتي إلى الباب دون أن ينتظره أحـد ولما نظـر رجال الأمن إليـه قال قبل أن يتكلمـوا أيوة أنا الحاكم يا بهايم دخّلوني أقول البيان»

«أنـا أيضًا أؤيد هـذا الكلام فأنا مذيعة ورأيت كيف حدث هرج في كل الأدوار بسبب دخول الحاكم الإذاعة دون أن يُخطَر بذلك أحد من قبل. لقد منعوا دخول الناس بعد دخول الحاكم»

«قريـب لي يعمل موظفًا في أمن الإذاعة أكد لي أن الحاكم شـرب فنجاني قهوة قبل أن يظهر في التلفزيون لأنه كان يتطوح. ولما سـألوه عن صـيغة البيان قال اكتبوها أنتم، ولما كتبوها قطّع الورقة واتكلم من دماغه»

«بعيـدًا عـن الحاكم وما قـال فهو الوحيـد اللي كلامـه بخلي اللي حصـل حقيقـة، إلا إذا ثبت فعلًا أنه كان بايت عند صاحبه في الميدان الكبير بعيدًا عن الهانم»

«يا جماعة خلونا في الأهم. الدكتور مصطفى بقاله خمسـة وأربعين يوم في السـجن. خلونا نتضامن معاه ونطالـب بالإفراج عنه وعن كل المعتقلين»

«أنا أحمد خشبة أحب أقول لكم إن مصطفى لن يخرج إلا بعد شهرين ونصف كما حدث العام الماضي. الحاكم رمانا في الصحرا ورجعنا سنة لورا علشان ما نصدقش أن كان فيه ثورة وخدروا أعضاءها والأحداث بتعيد نفسها. سنة 2010 استمر حبس الدكتور مصطفى شهرين ونص وأنا منتظر القبض عليا النهارده بالليل بعد ما اكتب البوست دا بشوية. فاكرين السنة اللي فاتت لما قلت لكم أنا حاسس حيقبض عليَّ في الوقت دا واتقبض عليَّ فعلًا؟ سوف يحدث مرة أخرى بنفس الصورة لأن الدولة العبيطة رجعتنا سنة لورا»

«أنا مش معاكم في الثورة والاحتجاجات والكلام الفارغ دا لأنكم دمرتم عقول ولادي، واتنين منهم في السجن دلوقت بسبب وقفاتكم على الكورنيش. بس عايز اقول لكم يا أولادي اهدوا شوية خلوا الراجل يشتغل. الحاكم بتاعنا والله كويس بس اللي حواليه ولاد جزمة»

«يا حاج علشان ولادك في السجن بس حنحترمك. الحاكم هو اللي يختار اللي حواليه ولو عايز يغيرهم حيغيرهم. من ساعة ما الانقلاب القديم حصل ع الملك من سبعين سنة واحنا نازلين في الحضيض لأن كلام سيادتك أوامر هو الشعار وإلا السجن أو المعتقل»

«يا جماعة حكاية إن إحنا رجعنا سنة ورا في الزمن دي مش ممكن. الحاكم طلب ولقي الخدامين اللي يِخَدّموا عليه. النصيحة والهدى. أنا مثلًا أبويا مات سنة 2010 وما ماتش تاني السنة دي رغم إنها 2010»

«ههههههه يا عم يا جميل البقية في حياتك. اللي بيموت ما بيرجعش»

«أنا حبيبتي رجعت ليا سنة 2010 بعد ما كنا متخاصمين ورجعت ليا تاني السنة دي، يعني ممكن تكون صح. يعني بصراحة تلاقي أبوك هو اللي رافض يرجع. ههههههه»

«السلام عليكم يا رايقين. الحاجة الوحشة هي اللي بتتكرر والحلوة لأ. طيب أنا والله العظيم اتصلت يا حبيبتي أول ما فقت في الصحرا من الإغماء واتعاملت معايا كأنها ما سابتنيش وامبارح سابتني. نفس ميعاد الفراق السنة اللي فاتت. شوفوا أد إيه الألم»

«سيبكوا من الكلام ده. سنة جديدة سنة قديمة المهم توقّعوا على بيان للتضامن مع الدكتور مصطفى، وبكرة حنعمل بيان تضامن تاني مع نورهان وماهيتاب لأنه اتقبض عليهم وأحمد خشبة لأنه حيتقبض عليه الليلة دي زي ما بيقول. وبعدين إحنا مش أقل من مصرايم اللي خلعت حاكمها بعد زناتة ما خلعت حاكمها. زناتة، مصرايم، ثم لاوند».

«يا جماعة أنا حاتجنن. أحمد خشبة اتقبض عليه السنة اللي فاتت في داميتا، متى يتقبض عليه هناك ليه؟ ما يجي هنا العاصمة يمكن ينسوه وتبقى سنة جديدة. والله أنتم غارين منظرة»

«أشكرك يا جميل يا اللي اتهمتني بالمنظرة بس أحب أفكرك إني اتقبض عليا وأنا مسافر بالليل زي ما أنا مسافر دلوقت من داميتا إلى

لاوندة فـي العربية الميكروباص. يا نهار أســود. حافظ الموبايل. ف لجنة شكلها كابوس زي السـنة اللي فاتت. واضـح أنهم مـتـنـيـني»

....

....

....

«ياجماعـة أحمد خشـبة اتقبض عليه فعلًا. خـرج من الصفحة وما رجعـش. عادي. وقّعوا على البيان وسـيبوكوا مـن اللي حصـل وكلام الحاكـم فـي الإذاعـة. لا بد من الإفراج عـن المحبوسـين وإقالة وزير الأمن والأمان ومحاكمة القتلة من رجال البوليـس»



انتصـف ليل العاصمة. مرت سـاعة وتوافد الشـباب إلـى الميدان الكبيـر يحملـون لافتـات كثيـرة تنـادي بإسـقاط النظـام. كان الجـو حـارًا، فالوقـت يقترب من يوليـو ورغم ذلك لا سـهرانين في الميدان ولا سـيارات تمر عليه. أقبل الشباب من كل الشوارع الجانبية، وكانت الأضــواء الصـادرة من أعمـدة الإنارة العالية تصنع لهـم خيالات فوق الأرض تجعلهم أكثر عددًا في عيني مَن ينظر إليهم.

لـم يكن فـي المنطقة غيـر جنود حراسـة الفنادق التـي على طرف الميـدان وعلـى النهر الكبير والتي كانت بعض السـيارات أمامها. كان من الممكن لهم أن يروا ما يحدث في الميـدان الخالي. بسـرعة اتصل الجنود بوزارة الداخلية.

- بيهتفوا يقولوا إيه؟

- كلام كل مرة. الشعب يريد إسقاط النظام.

هكذا سأل العقيد مؤثر السهران بالوزارة، وهكذا أُجيب. وقف خلف مكتبه يفكر «هذا الهتاف لم يحدث إلا بعد الثورة في زناتة. الثورة في زناتة لن تعود فهناك يمضي كل شيء إلى الأمام. هذا ما جعلني أصدق أن العام لن يعود، وأننا كنا على خطأ فعلًا في حساب السنين. لم أصدق أبدًا أنها لعبة لعبها الحاكم ورجاله والإخوة في جماعة النصيحة والهدى ورجالنا في الإعلام. لكن هذا هتاف العام 2011 فكيف به يرجع إلى عام 2010؟ ثم نحن ما زلنا في الصيف. على أعتاب يوليو. فهل حدث تقدم في الشهر جديد. هل هناك قوة أكبر من قوة الحاكم تستطيع أن تأتي بالشهور مبكرا كما يستطيع هو أن يعيد الشهور الفائتة. الله يخرب بيت شغلتنا في البوليس. كله على دماغنا في النهاية ويشتمونا ولاد الأفاعي المأجورين لتورتيلا فلات».

ووقف يفكر ويسأل نفسه: «مين تورتيللا فلات ده؟». ضحك ثم وضع يده على فمه حتى لا ترتفع ضحكته: «اسم الرواية اللي بتقراها بنتي اليومين دول. مش عارف إيه اللي دخلها قسم إنجليزي في كلية الآداب. ما فيش مشكلة ما دام عمالة تضحك طول ما بتقرا في الرواية. يا بنتي اسكتي عيب الضحك دا كله. الرواية حلوة أوي يا بابا. وأعود من غرفتها كالعادة حائرًا. هي رواية صغيرة على أي حال. مسكتها

بيدي فوجدتها صغيرة جدًا وبالتالي ستنتهي من قراءتها غدًا أو بعد غد. يا لهوي أنا نسيت أبعث فرقة مكافحة الشغب».

لكن دق التليفون ووجد الوزير على الناحية الأخرى يقول له:

- لا ترسل أي قوات. دع الشباب في مكانه. المعلومات التي لدينا تقول إنهم ليسوا بشرًا حقيقيين، وإنهم بمجرد صعود النهار سيختفون.

وقف في مكانه غير مصدق لما يسمع. ما الذي يقوله السيد الوزير. هل وصلت الأمور إلى هذه الدرجة من الخلل. هل صار الوزير يؤمن بالسحر والشعوذة. يعرف عنه أنه يحضر أحيانًا «حضرة» من حضرات الصوفية يعدها له مسؤول العلاقات العامة مع صفوة من الجماعة الصوفية، وصفوة من الممثلات الجميلات وتعن في أسر الحضرة والغياب عن الوعي. لكنه يحضر لهذا السبب، وتقام الحضرة له بعيدًا على طريق الأثار في فيللا محاطة بالحراسة الشديدة. ما الذي جرى إذن للوزير؟ هل ينصب له فخًا ليعود بعد قليل يؤنبه، وقد ينقله من عمله إلى عمل أقل قيمة؟ لكنه لا يستطيع أن يكسر كلام الوزير. إذن فليهنأ هو بليلته. لقد أهداه الوزير قميص نوم جديدًا كما أهدى زملاءه من قبل. فليستخدمه الآن. لكن مَن يمكن أن يتصل بها؟

دقَّ جرس الباب فأمر الطارق بالدخول. هذا الضابط الذي يعمل سكرتيرًا له يدق الباب دائمًا في الوقت غير المناسب. لكن الضابط لم يدخل. دخلت صافيناز عيسى مبتسمة وقالت:

- سعيدة إنك أمرت بدخولي مباشرة.

أدرك أنه بالفعل أعطى الضابط أوامر بذلك وقال وهو يلوم نفسه لماذا نسي أنه رتب ليلة رائعة:

- أهلًا صافي.

ووقف يُقبّلها ويضحك، ثم سألها:

- كيف وصلتِ إلى هنا؟ وما أخبار المظاهرات في الميدان الكبير؟

- لا توجد أي مظاهرات في الميدان. الميدان خالٍ تمامًا بشكل مثير.

- طيب الحمد لله.

قال ذلك وهو يفكر فيمَن أرسل يقول إن المظاهرات في الميدان. أرجأ حسابه للغد. لكن الوزير أيضًا كان يعرف وقال له أن لا يفعل أي شيء. إذن كانت هناك مظاهرات حتى لو كانت أشباحًا كما قال الوزير.

- ما لك؟

سألته وهي تخرج سيجارة من علبة السجائر وتشعلها وتنفث في وجهه دخانها المعتّق بالحشيش.

- هيًا إلى الداخل ندخن براحتنا يا قمر.

أخذها من يدها ودلفا إلى حجرة خفية بين الجدران. دون أن يصام أوامر لأحد كان يعرف أن الضابط سكرتيره ومَن معه لن يتغصوا عل الوقت. الوزير يعرف فكيف سيتغصون هم عليه ذلك. احتاج عمرًا طويلًا ليصل إلى هذه المكانة. خمس وخمسون سنة الآن. ابتسم وهو يقول: «وهل تريد للضباط الصغار أن يفعلوا ذلك في مكاتبهم؟ كانت البلاد خربت رغم أنهم يفعلون والله العظيم»!



توالت التعليقات على الفيس بوك:

«الثوار في ميدان التحرير. أعداد قليلة لكنها تزداد»

«يا جماعة أنا مش مصدق نفسي. البوليس لم يأتِ حتى الآن مضت ساعة كاملة»

«ههههههه أكبر هتاف يتم ترديده يا مرجّع الأيام ورا بكرة عيشتك تبقى خرا»

«أنا واقف في البلكونة وشايف قطط بتيجي من كل الشوارع وبعدين تختفي والشباب بيزيد»

«الحكومة يئست يا جدعان. عارفة أنها مش حتقدر تقبض على حد لأن كله حيتحول لقطط ويهرب»

«هي مش حكاية القطط دي كانت خلصت والفيران ملت البلد؟»

«أنا ما بقتش عارفة حاجة في البلد دي. قطة بتونو على الباب عايزة افتح لها»

«بكرة وزير الأمن والأمان يقول إنه رفض يفض المظاهرات بالليل علشان التظاهر حق طبيعي للشعب واحنا بلد ديموقراطي»

«طبعًا ما دا شغلهم. عجزهم بحولوه لفضل علينا»

«طيب وبتوع النصيحة والهدى اللي وقفوا موضوع القطط دا راحوا فين وروضعهم إيه دلوقت»

«اللي بيسأل عن بتوع النصيحة والهدى أحب أقول له إنهم مشغولين بالاستعداد لانتخابات مجلس الأمة، يا ترى حيتفقوا على إيه المرة دي مع الحكومة»

«أنا لو من الحاكم ما اعملش انتخابات تاني. صحيح السنة هي هي مس انتخابات تاني وتزوير الدنيا حتولع فعلًا»

«يا عم بلا ش نصايح للحاكم لياخد بكلامك. إحنا متراقبين. خليه يولعها وخليه يدي الإخوة في النصيحة والهدى على قفاهم تاني»

«يا جماعة ما دام احنا في 2010 ليه ما سمعناش حاجة عن كاس العالم في كرة القدم بجنوب أفريقيا. مش كانت زي دلوقت؟»

«والله عندك حق. دا زي دلوقت يبقى فات عليها أسبوعين. حتى شاكيرا ما فيش عنها أي أخبار رغم إنها رقصت وغنت في الافتتاح».



وهكذا بلا انقطاع امتلأ تويتر والفيس بوك بالتعليقات التي أزعجت سرّي باشا رئيس حماية الدولة ومدير «مُز» الذي أيقظه مساعدوه من نومه يبلغونه بما يحدث. مدير «مُز» بدأ يفكر أنه من الممكن أن يكون الثوار قد اكتسبوا صفات جديدة هي أن لا يراهم أحد من السلطة ولا يسمعهم وإلا ما سِرّ تأخر وزارة الأمن والأمان عن فض هذه المظاهرة حتى الآن. لكنه سرعان ما عاد لمفكرة العام الماضي وأهم أحداثه الداخلية فاكتشف أنه في مثل هذه الليلة لم تحدث مظاهرات. هل يريد الحاكم بحق أن يقنعنا بأن العام غير العام الفائت، وإذا كان ذلك صحيحًا فهل يساهم الثوار في هذا الإقناع فلا نراهم؟ ارتبك واختلطت عليه الأمور فأمسك بالتليفون وحدث وزير الأمن والأمان «مَم»:

- ما الذي يحدث في الميدان؟

- كما بلغك من تقارير. أنا أيضًا أبلغني رئيس حماية الدولة أن كل التعليقات على تويتر والفيس بوك تؤكد وجود مظاهرات.

- طيب لماذا تركها؟

- لأننا لا نراها. حتى الضابط الذي أبلغنا بها من قبل قال إنها صارت غير موجودة فهو لا يرى شيئًا ولا يسمع شيئًا.

- وما تفسيرك للأمر؟

- يا سيادة اللواء هذه البلاد صارت خارج حدود العقل. كان على الحاكم من البداية أن يرسل الشباب ألف سنة إلى الخلف. كنا ارتحنا نحن وأحفادنا في الشرطة.

- كلامك معقول. ولكن ماذا كان يمكن أن يحدث في البلاد حين لا تجد أكثر من مليون أسرة أبناءها. هل كانت الثورة ستنتهي؟ كان الشعب خوزقنا على الجبال.

- والعمل الآن؟

- أنا لا أصدق كل ما يُقال. انزل من البيت ومرّ على الميدان بنفسك لترى الحقيقة.

كان وزير الأمن والأمان «مَم» يفكر في ذلك بالفعل. ارتدى ملابسه المدنية بسرعة وقاد سيارته بنفسه. كانت الشوارع خالية كأنما يعرفون بمروره. الوقت متأخر الآن بالليل حقًّا والسيارات والمارة قليلون. هذه هي المسألة ولا شيء آخر. سيصل إلى الميدان بسرعة. وبالفعل وصل في دقائق من بيته القريب من الميدان. رأى الميدان خاليًا تمامًا إلا من سيارات قليلة متوقفة وسيارات قليلة تمر بسرعة وأكثر من لافتة ورقية معلقة على عواميد النور تقول: «لا تركن سيارتك في الميدان فلا أحد يعرف متى سيعود كينج كونج»

ضحك وأُعجب بالشعب خفيف الظل، لكنه رأى خيالات بشرية تظهر فجأة وتملأ أرض الميدان. من أين تأتي ولا أحد على الأرض ليعكس خياله. هل يغامر ويقف بالسيارة التي يقودها بنفسه وينظر

لعله يصل إلى مصدرها. فليغامر ويفعلها. بالفعل أوقف السيارة جوار المبنى الإداري القديم الضخم ونزل منها يمشي على مهل إلى الميدان. بعد قليل وجد نفسه يمشي فوق الأخيلة. والأخيلة تتراقص تحت قدميه كأنها تتألم. تجمّد واقفًا ينظر إليها ثم أسرع يبتعد لينظر إلى أعلى العمارات علّه يرى أحدًا فوقها ويكون ذلك سبب الأخيلة لم يرَ أحدًا. أسرع إلى سيارته وأخذ طريقه إلى وزارته القريبة، لكنه حين ابتعد عن الميدان سمع أصواتًا كالرعد خلفه. نظر في مرآة سيارته أمامه خشية أن يكونوا تحركوا وراءه فلم يرَ شيئًا. إذن من أين تأتي هذه الأصوات أيضًا. استدار بسيارته وعاد إلى الميدان فلم يرَ أخيلة ولا سمع صوتًا. أسرع من جديد إلى وزارته وهو خائف أن يكون قد أصابه العته. يرى ولا يسمع ثم يسمع ولا يرى ثم لا يسمع ولا يرى!

حين دخل الوزارة راح كل مَن يراه ينتفض ويحييه وهو في طريقه إلى مكتبه. ما إن جلس حتى صرخ: «يا مؤثر»، إذ لم يره خلف مكتبه عند دخوله.

احتاج مؤثر وقتًا قليلًا حتى يرتدي ملابسه. كان يسرع وصافي تضحك وتسأله مش حتستحمى؟ وكانت تفكر في اليوم الذي تتنقل فيه من «المؤثر» إلى الوزير الأكثر تأثيرًا!

ما إن دخل مؤثر وقدم التحية للوزير الذي أدرك ارتباكه إذ رأى سوستة بنطلونه مفتوحة حتى قال:

- اتصل بزفت هالة أورجازم وابعت لها عربية تجيبها.

14

التقى الحاكم أمير أبو العساكر مع السر عسكر ومدير «مُز» ووزير الأمن والأمان «مَم». كانت هذه رغبة مدير «مُز». قال إن لديه معلومات خطيرة ولا بد أن يناقشها الحاكم مع أصحاب القرار.

جلسوا حول منضدة الاجتماعات الخاصة التي يتصدرها الحاكم الذي قال باسمًا بلا مبالاة لمدير «مُز»:

- قول يا سيدي ما هي المعلومات الخطيرة التي عندك.

سكت رئيس «مُز» لحظة ثم قال:

- أرجو أن يفهم سيادة الحاكم ما أقول بصدر رحب.

- اتفضل يا أخويا. الثورة وخلصناها في يومين. اوعى تقول لي هناك ثورة تانية.

من جديد سكت مدير «مُز» لحظات بينما راح الجميع ينظرون إليه ثم قال:

- نحن في مأزق كبير سببه أننا أرجعنا الأيام عامًا إلى الخلف.

صارت نظراتهم أشد دهشة واستطرد:

- الآن وقد انتهينا من أكثر من نصف عام 2010 كل شيء حدث مرة أخرى بحذافيره حتى حكاية فاضل سعيد. وهكذا فالشباب مصممون أن يعيدوا كل شيء كما كان. إنهم يقولون للناس إننا أعدنا الزمن عامًا إلى الخلف لم تتغير فيه الأحداث ومن ثم ينتظرون شهر يناير لتحدث ثورة أخرى. فلنشجعهم على ذلك وخاصة أننا مستعدون كما قلت لكن نغير منها قليلًا لنخيب سعيهم من ناحية ونوفر جهدنا رغم استعداداتنا. ما أقصده هو انتخابات مجلس الأمة. إننا أعدنا الانتخابات وتكون النتيجة أفضل من العام الماضي ولا نزوّرها كثيرًا نكسر تطلعاتهم. لقد كانت الانتخابات المُزَوَّرة أكبر عامل من عوامل الثورة.

قال الحاكم:

- عندنا وزير الأمن والأمان يقدر يمنع أي ثورة خصوصًا بعد ما استوردنا له عربات جديدة وأسلحة أشد فتكًا مما كان لدينا من قبل.

ثم وجَّه حديثه لوزير الأمن والأمان «مَم»:

- إيه رأيك يا أستاذ يا بتاع هالة أورجازم أنت؟

ارتبك الوزير فقال الحاكم:

- لا تزعل. كلنا نعرف. لست وحدك. كل واحد هنا عنده أورجازمه.

ضحكوا فنظر حوله وقال:

- الهانم قد تسمعنا تبقى مصيبة.

ثم سكت لحظة وتساءل:

- قل لنا يا وزير الأمن. هل ستعجز عن صد أي شيء يفعله الشبن؟

قال الوزير:

- في البداية أريد أن أعيد التأكيد أننا لم نقتل فاضل سعيد. هو شاب حشاش وأنتم تعرفون القصة لكن جهات أجنبية لعبت في الحكاية. كما أني لم أزوّر الانتخابات إلا بتعليمات من ابن فخامتك، وكان رأيي أن يتجمع بعض المعارضة كديكور يعني.

قال الحاكم:

- خلاص يا سيدي. عارفين القصة. أجب عن سؤالي.

قال وزير الأمن والأمان «مَم» بعد أن ابتلع ريقه:

- أسهل شيء الآن يا مولاي هو إيقاف أي ثورة. وكما تقول معاليك لدينا أسلحة جبارة. حتى الغاز المسيل للدموع صار لدينا من النوع المحرم استخدامه دوليًا.

قال مدير «مُز» للحاكم:

- اسمح لي أقول لفخامتك واسمحوا لي أقول لحضراتكم إن كل ما يحدث مقدور عليه، لكن الأحداث تعود لأن التاريخ عاد بشهوره، وأيامه وساعاته. فلنجرب أن نفشلها بحدث غير متوقع منًا.

قال الحاكم:

- طيب. دعنا من الكلام الكثير. ماذا تريد بالضبط؟

- بعد ثلاثة أشهر سيحل موعد انتخابات مجلس الأمة التي جرت في 2010، وفكروا.. في رأيي أن نعيدها بنتيجة أفضل.

قال وزير الأمن والأمان «مَم»:

- أنا غير مقتنع بهذا الكلام. الأشياء التي عادت من 2010 هي أشياء صغيرة. أن نعيد الانتخابات سنخلق عدوًا جديدًا هم نواب المجلس الحالي.

لكن وضح أن الحاكم كان يفكر بذهنه بعيدًا حتى قال:

- هناك حل أحسن.

سكتوا ينتظرون فقال:

- أن نعلن للناس أننا أخطأنا في الحساب وأننا سنعود إلى التاريخ الذي استبعدناه. بعد أربعة أشهر سنكون في عام 2012 ويتحقق لنا تمامًا أن الثورة راحت على العيال.

قال السر عسكر:

- وهل يمكن أن نقنع الشعب بتغيير التاريخ مرة أخرى؟ أظن سيكون الأمر صعبًا يا سيدي الحاكم.

قال الحاكم بانفعال:

- طيب ماذا أفعل لكم؟ لا كده نافع ولا كده نافع. أنا لن أقدر أرمي الشعب كله لا قدام ولا ورا. شوفوا نحن لن نأخذ قرارًا الآن. ننهي الاجتماع ونتقابل فيما بعد نكون فكرنا بشكل أفضل.

انصرفوا في ارتباك وحيرة وعاد الحاكم إلى زوجته يضحك. دخل معها غرفة النوم وقال:

- محتاج أمدد شوية وافكر. مدير «مُزه» قلب دماغي.

راح يخلع ثيابه ويرتدي بيجامته الجديدة التي وصلت مع عشرات غيرها أمس من باريس خصيصًا له كالعادة، ثم تمدد فوق السرير.

كانت هي قد ارتدت ثيابًا للخروج إلى اجتماع هام في مجلس المرأة والأطفال الذي تتبناه فقال لها:

- انتظري. أريدك أن تفكري معي.

- مستعجلة يا حاج!

قالت ذلك وهي تضحك ثم خلعت حذاءها وتمددت بملابسها الأنيقة جواره. سألته:

- ما الحكاية؟

- مدير «مُز» يقول إن كل شيء حدث في 2010 يحدث الآن في البلد.

سكتت قليلًا ثم ضحكت وقالت:

- ليس كل شيء، لكن صدفه وخلاص.

- ماذا تعنين؟ هل تعرفين شيئًا حدث في 2010 لم يحدث بعد أن عدنا إليها.

ضحكت من جديد وقالت:

- اسأل السرير اللي ما بقاش يتهز.

- أنا باتكلم في إيه وانتي في إيه؟

- ألم تسألني؟ ها أنا أجيبك. في 2010 كنت تنام معي مرة كل شهر. هذه السنة ولا مرة.

سكت يهز رأسه. لكزته في صدره وقالت:

- أنت الذي يعيد الناس والأيام إلى الوراء. لماذا لا تعيدنا شبابًا يا أخي؟

سكت قليلًا وقال:

- هذا ما لا أستطيعه. مَن أقنعه يرجع على حالته.

- على فكرة أنا قرأت أن هناك أبحاثًا تطيل العمر إلى الأبد في سويسرا.

- ماذا تعنين؟

- يعني سيطرة على الجينات تمنع الوفاة والمرض.

- طيب لازم نرسل لهم نحجز مكان في الدواء.

- أنا توليت الموضوع وهم على اتصال بي. لم يصلوا إلى التجارب النهائية بعد.

- يا بنت الإيه!

- شفت مراتك بتعمل إيه؟ يعني تخيل نفسك تخطب في الشعب بعد 300 سنة من الحكم وتقول لهم حين انتخبني أجدادكم منذ 300 سنة وعدتهم أن أهتم بأحفاد أحفاد أحفاد أحفادهم الذين هم أنتم.

استدار وأخذها في حضنه وقال:

- طيب ما الشعب نفسه سيطول عمره؟

- لا تخف. أنا مع زوجات الرؤساء والملوك في إفريقيا وآسيا نحاول إقناع الشركة التي تقوم بالأبحاث أن يكون بيع الدواء للرؤساء والملوك فقط.

- أنتِ جبارة!

وابتعد عنها قليلًا ينظر إليها مندهشًا وقال:

- لكنك لم تقولي لي سببًا أقنع به رئيس «مُز» بأن هذه السنة رغم أنها 2010 غير الزفتة التي يتحدث عنها.

سكتت قليلًا تفكر وتساءلت:

- هل 2010 التي مضت كان فيها ديناصور؟

- لا طبعًا.

- خلاص. إذن هذه سنة جديدة غير الزفتة التي عملتم اجتماع من أجلها. أقوم لأن فستاني تكسّر ولازم أغيره. والله حرام الناس تنتظرني كل هذا الوقت من أجل موضوع تافه مثل هذا، وحرام أيضًا أرمي الفستان دون أن أخرج به، أنا التي تعودت أن أخرج بالفستان مرة قبل أن أرميه!

15

لـم يعد أمام نزار إلا أن يطيع شـيماء التي قالـوا إنها زوجة الزعيم. قالـت له خلاصًـا من الأمر إنها سـتخبر الزعيـم بشـفائها فلا حاجة لها بطبيـب. لقد ادعت المرض حتى لا يمسـها بسـوء، وستعرف الآن كيف نواجهه. قال نزار:

- سـيقتلك.

قالت:

- لا. هو يحتاج إليّ ويتمناني وسـيتظر. سـأخلق له كل يوم عذرًا، ونحن النسـاء نعرف كيف نختلق الأعذار.

وأشارت إلى الكليم المعلق على الحائط وقالت:

- عزيـزة هرّبت يونـس من السـجن في زناتة. الغبـي لا يفهم معنى الرسـم الـذي علـى الكليـم. أنا متفائلـة به وأنـا التي سـأساعدك على الهروب.

هز نزار رأسـه وقال:

- كانت هذه كلمتي يوم قامت الثورة في زناتة. كل المثقفين تقريبً قالـوا في الفضـائيات والصحف «لاوند ليسـت زناتـة»، أنا قلت عزيزة فتحت باب السـجن ويونس سـيخرج من السـجن في لاوند كما فعل في مصرايم ومن قبلها في زناتة.

لقد أدهش نزار من قبل أنها كانت تعرفه وأنها كانت تتابع الثورة. بل هي من الثوار في بلدهم. طالبة في السـنة النهائية من كلية الهندسـة في جامعة أبيدوس. صديقتها للأسف سقطت من الشرفة حين حبسها أهلها حتى لا تخرج إلى الشـارع. قفزت فماتت. لم تسـتطع أن تنتظر ولم تقدر المسـافة بين الشرفة والأرض. صار الهتاف في الشارع يناديها كأنها تنتظره منذ عشرات السنين هي التي لم تبلغ العشرين من عمرها. أما هي فقد اسـتطاعت الهـروب من أهلها. لقد مر اليوم بسـلام عليها وحين عرفت في مساء اليوم التالي مع زملائها أن الثوار تركوا الميدان الكبير عادوا هم إلى بيوتهم مقهورين. سألها نزار:

- وهل صدقتم أننا تركنا الميدان الكبير؟

- في البداية نعم وشعرنا بالقهر لكن بعد ذلك عرفنا كل شيء.

- عرفتـم أنهـم خدرونا بغـاز من الطائـرات وألقى بنـا الحاكم في العام القائت.

- عرفنا كل شيء.

- يعني تعرفون أن هذا العام ليس 2010 وأنها لعبة مقيتة من النظام.

- كل شيء. حتى هروبك هنا نعرف أسبابه. تريد أن تثبت للنظام أنه على حق وأن هذا العام ليس 2010 الذي مضى حين يرى أن المقبوض عليهم ليسوا كلهم من سبق القبض عليهم فيطمئن أن العام القادم لن يحمل ملامح 2011.

- من قال لك هذا كله؟

- شهيرة.

- إذن شهيرة تعرف أنك هنا؟

- لا. ولا أهلي. أنا هنا منذ يومين فقط. قلت لأهلي سأسافر إلى العاصمة، خطفوني في الطريق. ربما غدا يقلق أهلي حين لا يجدوني أتصل بهم بالموبايل. ستكون مرت ثلاثة أيام بلا اتصال.

- إذن لا بد أن تهربي غدًا على الأكثر.

- لا تقلق. دعني أتأخر معك حتى نهرب معًا. ولو تأخرنا أكثر يكون أفضل، نحقق فكرتك.

- لم تعد فكرتي تروقني الآن يا شيماء.

سكتت لحظات ثم قالت:

- أنا سعيدة هنا.

ابتسم وقال:

- هل هذا معقول؟

قالت:

- أفضل من السجن.

- لكنك مخطوفة وهم عصابة فظيعة.

- لم يخطفوني بمزاجهم. تعليمات مدير الأمن في المحافظة لهم: إخفوا هذه البنت بعض الوقت.

كان هذا الحوار بينهما يوم التقى بها وغاب زوجها وراء الجَمَل. لم يجد فرصة مرة أخرى ليتحدث معها. اكتفى بأن يلقي عليها تحية الصباح إذا ظهرت خارج المغارة. ترك لحيته تطول وهو يرتدي الجلابية، وكان يدعو الله كل يوم أن لا يمرض أحد آخر ويطلبون منه العلاج.

منذ ساعات حضر لقاء الزعيم مع رجاله. قال الزعيم:

- لم تسرقوا عربة البريد في الموعد الذي أخبرتكم به. قلتم لم تأتِ في الموعد، لكن أحدًا منكم لم يعرف الموعد بعد.

قال أحدهم:

- ولماذا البريد؟ هناك عربة نقل أموال ضخمة تتحرك من البنوك كل أسبوع. لماذا لا نخطفها فتكون ضربة واحدة وإلى الأبد.

وقال آخر:

- ومدير الأمن لن يطلب الكثير.

سأل الأول الزعيم:

- أفضل شيء أن نعرف منه موعدها.

أجاب الزعيم:

- أنا لا. لا أسأله في شيء من هذا ولا يراني إلا نادرًا. ثم إني أريد ان اتزوج شيماء على سنة الله ورسوله.

نظر إليه نزار ثم غض الطرف بسرعة. لقد أخطأ الزعيم وأعلن امامه أنها ليست زوجته. لم يندهش أحد من الرجال. هم يعرفون طبعًا. المهم أن الزعيم لم يلحظ نظرته إليه.

قال نزار:

- أفضل شيء أن تنتظروا عربة البريد يومًا كاملًا. نهارًا وليلًا. ولا بد أن تمر في ساعة معينة من اليوم.

نظروا إليه معجبين. كيف فاتهم هذا؟ قال الزعيم:

- والله يا دكتور تنفع زعيم بدلًا مني.

ضحكوا كلهم وابتسم نزار فقال الزعيم:

- خلاص. من صباح باكر تنتظرونها حتى صباح اليوم التالي.

قسموا أنفسكم على ساعات اليوم. لا أريد أن يكون هنا غيري وغير الدكتور ومَن يعود منكم في موعده.



تمددت ماهيتاب ونورهان على الأرض. كل منهما على مرتبة لا يزيد ارتفاعها على خمسة سنتيمترات. كانت لكل منهما بطانية واحدة. الجو حار ولا يستخدمانها كثيرًا. لا هما ولا بقية بنات ونساء العنبر اللاتي كان عددهن عشر سجينات من المدينة الساحلية فاروس فقط. لم تكن بينهن السيدة إكرام التي هتفت من البلكونة. كن يعرفن أنها في حبس انفرادي.

كانت ماهيتاب تنشد بصوت هادئ ما ظلت تحفظه من قصيدة تعشقها:

ومشيت في الليل

خجلان مكسوف

إكمن الليل عريان مكشوف

أفراح الناس

وجراح الناس

على صدر الليل عناقيد وصفوف

وعيون الليل والضلمة جبال

فاردين على وش السما غربال

ألماظ مبدور

في كاسات بنور

بفرش للنورع الأرض خيال.

وسكتت ماهيتاب قليلًا ثم عادت تنشد في شجن وتأمل عميق:

الشارع نايم تحت جناح الليل همدان

وعيون النور

تعبانه بتنعس ع العمدان

والكون ملفوف

بعباية

نسجها الليل بالخوف

وف بحر الضلمة رأيت على بعد

شبح

خلقت بعيني

لقتها يمامة وكاسرة الطوق

وسكتت مرة أخرى لحظات أغلقت فيها عينيها لتعود:

مشيت

ورميت ع الحلو سلام

قالت سلامين

أنا قلت لوحدك ليه يا حمام

وولیفك فين

مالك بالليل وجبال الرعب

خليك يا حمام

عايش للحب

شالت بجناح

حطت بجناح

ورتني جراح

تحت الجناحين

وقالت لي

زمان الحب ما راح

وبقى لنا سنين في الليل ضايعين

وصمتت من جديد وظهر في عينيها حزن سرعان ما تحول إلى عزم، ثم تابعت الإنشاد ونورهان تتأملها في دهشة وتأثر:

وقالتها وطارت في ثواني

وانا شارد وخيالي يصور

وغمزني الفجر وصحاني

ولقيت الكون بادي ينور

وصحيت من غفوة سرحاني

على صوت بيقول

الله أكبر

وسكتت ماهيتاب لحظات طالت فقالت نورهان:

- هذه القصيدة عظيمة جدًا.

كانت دموع تترقرق في عينيها. أما ماهيتاب فقد جففت دموعها براحة يدها وقالت:

- أنا آسفة. المفروض نكون أقوى من كده. معلش.

قالت نورهان:

- لكن الدنيا فعلًا هسُ هسُ كأنه لم يوجد قبلنا بشر ولا حياة.

ودخلنا في صمت مفاجئ حتى تساءلت نورهان:

- هل حقًا ذكّرك الصمت الذي حولنا بالقصيدة؟ يخيل لي أنك تعيشين قصة حب.

سكتت ماهيتاب لحظات ثم قالت:

- لماذا والحياة ممتلئة بالشباب يتعلق القلب بشاب واحد لا جدوى من حبه؟

ابتسمت نورهان. تألقت عيناها ثم سألتها:

- إذن كما توقعت. هل الأمر سر؟

سكتت ماهيتاب فقالت نورهان:

- نزار؟

- مصطفى.

ركزت نورهان عليها النظر في دهشة وتساءلت:

- مصطفى الذي نقول عنه جميعًا إنه أخونا أكثر من أي شيء آخر؟

- ربطت بيننا صفحة كلنا فاضل سعيد والتقيت به مرة وحدي في لاوندة. قال لي إنه يحبني.

- قال لك ذلك فعلًا؟

- هذا ما جرى. وأمضينا يومين من أجمل أيام عمري. شفنا سينما وشفنا مسرح وأكلنا في مركب على النهر وحسيت أني طايرة من الفرح. ولما عدت لفاروس أرسل لي على الخاص في الفيس بوك يعتذر عمّا جرى. قال لي لقد كان ما جرى اندفاعًا وعندما عاد إلى

البيت فكر أنه مرهون للاوند. للثورة. بعد أن تنجح الثورة يمكن أن ينجح الحب!

كان العنبر ممتدًا أمامهما طويلًا عريضًا يمكن أن يسع ثلاثين فردًا لكنهن عشر فقط وعلى الأرض يبدون منسيات منذ أزمان، ولا توجد نوافذ غير نافذتين أعلى الجدار المقابل، هما عبارة عن مستطيلين يرتفع كل منهما عشرين سنتيمترًا خاليًا إلا من خوابير معدنية متفرقة على طوله الممتد مع طول الجدار. قالت نورهان شاردة تفكر في ماهيتاب:

- الحمد لله أننا ما زلنا في الصيف. في الشتاء هذه الفتحة رغم ضيقها يدخل منها برد شديد. لكن هل تعرفين الشاعر أحمد فؤاد نجم؟

- لا. قرأت له فقط.

- هل تعرفين متى كتب هذه القصيدة؟

أجابت ماهيتاب:

- لا.

قالت نورهان:

- كان مرة هربان من البوليس في بلدهم مصرايم. زهق من حبسته في البيت. بيت بعيد في منطقة خالية تقريبًا من السكان. هل تعرفين من خبأه هناك؟ سعاد حسني قبل أن تأتي من «مصرايم» لتعيش في

بلدنا. في ليلة زهق من الوحدة، ترك البيت وجاء إلى نصف العاصمة. عاصمة بلدهم مصرايم. وقف في ميدانها الكبير عند الفجر والدنيا هس هس ولا أحد في الطرقات ووجد نفسه يردد هذه القصيدة. هي أطول مما قلتِ.

- أعرف. هذا ما أحفظه منها لكن كيف عرفتِ هذه الحكاية؟

- قابلته مرة عند ناس في سهرة. كان يزور لاوندة بعدما كان ممنوعًا من السفر في مصرايم. جاء يزور مقبرة سعاد حسني بعد ما ماتت! كنت قرأت القصيدة قبل أن ألقاه. قلت له قصيدة الليل من أجمل الشعر الذي قرأته لكنها غير مشهورة مثل أشعارك في الثورة. سألته كيف كتبتها. حكى لي الحكاية.

سكتت نورهان قليلًا وابتسمت ابتسامة سعيدة ثم قالت:

- ظل طول السهرة واخدني إلى جواره وذراعه على كتفي.

- للأسف لم أقابله، نحن في فاروس محرومين من كثير مما في لاوندة. العاصمة تختلف طبعًا وأنا دائمًا أحسدكم رغم أن مدينتنا كانت عاصمة العالم في يوم من الأيام.

وسكتت ماهيتاب قليلًا ثم قالت:

- ورغم أني قلت شعر من قصيدة الليل أعرف أن كلها عدة أيام ونخرج كلنا. لكن هل تعرفين ما يشغلني؟

- لا؟

- أنكِ لم تكوني معنا العام الماضي ومن ثم يمكن أن ينسوك هنا.

- لا. ما دُمت عُرضت على النيابة إذن سأعرض على المحكمة معكم.

- صح.

قالت ماهيتاب ضاحكة ثم أردفت وهي تضحك أيضًا:

- العام الماضي حين قبض عليّ لم يكن أحد من البنات يسهر معي مثلك. في ليلة شعرت بأنها لن تنتهي ناديت على الحارسة وطرقت الباب من الداخل بقوة. الغريب أن لا أحد من النائمين استيقظ. وصلت الحارسة تسألني في فزع من شرّاعة الباب الصغيرة: «فيه إيه يا بنت الكلب». قلت لها: «خلي عندك أمك دم واقفي اتكلمي معايا شوية».

ضحكت نورهان واستطردت ماهيتاب:

- السجن خبرة كبيرة جدًا خصوصًا عالم الجنائيات. شيء يفوق العقل من العذاب.

- لا تحكي لي أنا أعرف كل شيء. هل نسيتي يا بنت إني رد سجون؟

ضحكنا من جديد. ساد صمت لحظات ثم تساءلت نورهان:

- لقد قبض على جميع زملائنا ما عدا نزار حتى الآن.

- ألم تريه قبل اختفائه؟

- قال إنه سيذهب إلى شهيرة في الجنوب. وآخر خبر وصلنا في زيارة اليوم أن شهيرة قبض عليها في الصباح.

- كانت زيارة مهيبة. جابوا لنا الخبر المهبب معاهم.

- الغريب أن شهيرة لم يقبض عليها العام الماضي. لم يقبض عليها أبدًا من قبل.

- يا بتي الدولة عايزة تفهمنا أن ما نعيشه أيام جديدة وأن ما مضى لن يعاد لكنها وقعت في شر أعمالها.

ضحكت نورهان وقالت:

- المدهش أن نزار يريدهم أن يعتقدوا ذلك أيضًا حتى يطمئنوا أنه لن توجد يناير جديدة. يعني هم يحفرون قبرهم كالعادة بأيديهم.

- لو يفهمون كانوا جعلوها 2012.

ردت نورهان:

- تريدين أن تزيدي في عمرنا سنة بالمجان!

ضحكتا ثم سكتتا قليلًا. قالت ماهيتاب:

- تعرفي أنه كان يمكن أن لا تكون لنا مشكلة مع الشرطة لو ابتعدت الشرطة عن السياسة.

سكتت نورهان قليلًا وقالت:

- هذه هي المشكلة. لقد تابعت الصفحة التي أنشأها بعض الضباط على الفيس بوك.

- صفحة «مالناش في السياسة»؟

- أجل. وفكرت أننا لا بد نشجعها.

- أنا كمان فكرت في هذا. بعد أن نخرج لا بد أن نشجعها.

- ممكن. المهم أن لا تغلقها وزارة «مَم».

ضحكتا. ثم عادتا إلى الصمت قليلًا حتى قالت ماهيتاب:

- لا أدري كيف حدثتك بما جرى بيني وبين مصطفى. رجائي منك أن يظل الأمر سرًّا بيننا. لقد انتهت القصة.

عاد الصمت من جديد. أخذت نورهان رأس ماهيتاب في صدرها ثم تركتها وتثاءبت. ضحكت ماهيتاب ثم قالت:

- وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت نورهان:

- أفهم من هذا أننا سنتكلم في غير المباح.

ضحكتا والتفت كل منهما ببطانيتها ونامت.

***

جاء أمر عاجل من النيابة بالإفراج عن أحمد خشبة والدكتور مصطفى. فتح جندي الحراسة باب العنبر ونادى عليهما وقال: إفراج. نظر إليهما بقية زملائهما مندهشين ثم ضحكوا وصفقوا ووقفوا يزفونهما قبل الخروج:

- واحد يا ورد. اتنين يا فل. تلاتة يا ياسمين. أربعة يا أجدع ناس طيبين. خمسة بلدنا لينا مهما حاولوا الصاخيط...

وارتفعت الضحكات عالية والجندي واقف والسخرية في عينيه يقول:

- أهو كل ما واحد ياخد إفراج أسمع العبط دا وبعدين ترجعوا تاني. يا أولاد العبيطة كفاية بهدلة ليكم ولأهاليكم.

ضحك الجميع وانصرف الجندي بعد أن أغلق باب العنبر ومشي ومعه أحمد ومصطفى إلى مكتب المأمور الذي استدعوه من منزله وسط الليل. ما إن رآهما حتى قال:

- أيضًا مثل العام الماضي صحوني في نص الليل لأخرجكما.

16

صار وزير الأمن والأمان «تم» مهمومًا. ليس بما يحدث في البلاد لكن لأن سؤالًا أرّق عليه ذهنه وهو لماذا لا تكون له ميزات مدير «مُز» فتخرج الثعابين من بين يديه وتخرج أيضًا من عينيه قذائف من لهب. ولماذا لا يكون هو وليس الحاكم سيئ الألفاظ، مَن يستطيع أن يلقي بالناس في أي زمن يريد؟ فكر كيف لم يكن يعرف هذه الميزة في الحاكم إلا هذا العام بعد أربعين سنة له في الحكم معه. وكيف كان يسمع ذلك عن مدير «مُز» لكنه لا يصدق لأنه لم يرَ بعينيه. هو الذي يعمل على استقرار البلاد لينعم الحاكم بالحكم وليتفرغ الجيش لمراقبة الحدود، فلماذا لا تكون له هذه الصفات وأحسن منها أيضًا؟

كان في الغرفة الخاصة به في مبنى حماية الدولة ممددًا على السرير الواسع وأمامه هالة أورجازم تغير قميص نوم بعد آخر لتستقر على واحد منها. لم يكن منتبهًا إليها لأنه في لحظة فكر أنه آن الأوان أن يتخلص منها. غيرها كثيرات ينتظرن في الطرقات. وحين سألته: «لم تقل لي أي قميص نوم تفضّل اليوم؟»، قال لها أن ترتدي ما تشاء فليس لديه الرغبة الآن، كما أن الفياجرا الخاصة به، والتي تُصنع له وللحاكم

ورجاله الكبار خصيصًا في مصانع الدواء الكبرى في سويسرا، لم يصل منها شيء جديد. لقد نفد ما لديهم إلا قليلًا جدًا عند الحاكم نفسه الذي يخفي عنهم أنه لا يمارس الجنس بعد زوال البروستاتا، وهو لا يستطيع أن يطلب ذلك منه، ليس لأنه سيرفض بل لأنه سيفكر كيف حقًا يقوم وزيره بممارسة الجنس أكثر منه هو الذي لا يمارس الجنس أصلًا، وستكون مصيبة!

قال لها:

- تعالي إلى جواري على السرير لكن لا تفكري في شيء سنفعله اليوم.

تمددت جواره ضاحكة ومالت عليه تحضنه فتركها تقترب بجسدها المشرق من جسده. قالت:

- طيب اخلع بيجامتك علشان يكون الكلام حلو.

- قلت لك لا تفكري في جنس اليوم.

قبّلته وقالت:

- طيب. ما الذي يشغلك إلى هذه الدرجة؟

- أريد أن أكون مثل أبو العساكر.

نظرت إليه بدهشة:

- تحكم بدلًا منه؟ تعمل عليه انقلابًا؟

- لا. نحن لا نعمل انقلابات. الانقلابات تعملها الجيوش.

- إذن ماذا تقصد؟

- أريد أن يكون لدي القدرة أن ألقي بالناس إلى زمن بعيد. أو حتى إلى المستقبل.

نظرت إليه في دهشة أكبر فقال:

- هناك ما هو أخطر. مدير «مُز» تخرج من بين أصابعه الثعابين تمشي على الأرض تفتك بأي معارض له لو أراد.

- ثعابين؟!

- أجل وهذا سر نجاحه في عمله وتمسك الحاكم به.

اعتدلت وجلست فوق السرير مربعة ساقيها وقالت:

- أنا في ذهول.

- لا بد أن أكون مثلهم. عندي شكوك أن الديناصور الذي ظهر في الميدان من أعمالهما.

- لإرهاب الثوار؟

- لا طبعًا. الديناصور حطم عرباتنا وألقى بجنودي إلى النهر.

- شوف يا حبيبي. لو الحاكم يريد التخلص منك سيلقي بك بعيدًا أو يرأف بك ويقيلك من منصبك. لن يحضر إليك ديناصورًا لأن جنودك وعرباتك حماية له.

- تقصدين أنه مدير «مُز»؟

- ولا هذا أيضًا. هي البلد كلها فيها سحر. لكن.

- ماذا؟

- أنت لا تشم برفاني الجديد.

- أنا مشغول بما قلته لك، لكنه على أي حال جميل.

- طيب تحب تشوف أنا عملت إيه في حبيك؟

- أي حبيب؟

أشارت بين ساقيها وقالت:

- هذا. هات إيدك هات.

ومدت يدها تسحب يده فجذبها وقال:

- قلت ألف مرة النهارده لا. فكّري معي أو اتركيني.

- طيب. خلاص. سأفكر معك. أمامك طريقان. إما أن نلجأ لأصحابك المتصوفين فلا بد أن لديهم معرفة بالكرامات. أجل. ما يفعله الحاكم ومدير «مُز» كرامات.

- شايفة كده؟

- طبعًا.

- كرامات لأذى الناس؟

- سمِّها كما تشاء.

- والطريق الآخر.

- أو تصل إلى البنت الشامية التي تشبه سعاد حسني. ومَن يدري ربما تكون سعاد حسني نفسها عادت إلى الحياة. لا تنسَ أنها ضحيتكم.

- هي ضحية المخابرات في بلدها ولسنا نحن.

- يعني أنت عارف أنهم قتلوها!

- غير متأكد. لكن أقصد قبل ذلك. في بداية حياتها الفنية استخدموها كثيرًا. وممكن تكون فعلًا انتحرت لما تعبت وتخنت وتغير شكلها. لكن كيف أصل إلى البنت الشامية؟

نزلت هالة من فوق السرير وراحت تخلع قميص النوم وترتدي ثيابها وتقول:

- ابدأ بسعاد حسني. اذهب إلى قبرها وطلّع فلوس كثير لله واذبح ذبيحة واثنين واطلب منها تعطيك كرامات الحاكم ومدير المخابرات.

نظر إليها بدهشة شديدة فقالت:

- باي باي يا جدو.

نظر إليها في غيظ فقالت:

- حاقول لك إيه غير كده النهارده. دا اللي صرفته على «حبيك» يسد عجز الموازنة في البلد! عليه العوض.

ضحك وارتفع صوت ضحكه وقام يخلع بيجامته ويرتدي ملابس ويقول:

- أريد أن أسألك: كيف حقًا لم تلعبي دورًا كبيرًا حتى الآن؟ كيف لم تكوني نجمة التمثيل؟

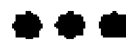
- كنت فاكرة أن شكلي وجسمي سيفتحان لي الطريق. لأن الحكاية موهبة وياما ممثلات وحشة صارت نجمات.

- أول مرة أعرف أن النجومية موهبة.

- كلهم مثلك. كل اللي نام معايا قال لي النوم حاجة والفن حاجة. لذلك جئت لك. كنت فاكراك ستساعدني لأنك مش زيهم. تأخذ اللي نفسك فيه وتنسى.

ضحك وقال:

- انتظري حتى يأتي الضابط ينقلك بسيارتي إلى بيتك.



في صباح اليوم التالي كان العقيد مؤثر يقف أمام وزير الأمن والأمان «مَم». سأله الوزير:

- هل تعرف أين توجد مقبرة سعاد حسني؟

اندهش العقيد مؤثر للحظة ثم قال:

- المثلة يا افندم؟

- طبعًا. هل هناك غيرها؟

- معروفة يا افندم.

سكت الوزير لحظات ثم تنهد وقال:

- طيب غدًا تشتري ثورًا معتبرًا وتذبحه هناك وتوزعه على الغلابة.

- لكن ما المناسبة؟

- ما فيش مناسبة. مزاجي كده.

تردد العقيد مؤثر ثم قال:

- المسألة تحتاج إلى احتياطات يا افندم. يعني مثلًا أنا لا يمكن أعمل هنا وأنا بالزي الرسمي. أي شخص معه موبايل يمكن أن يصورني دون أن أشعر وينشر الصورة على الفيس بوك والناس تسأل ما علاقة وزارة الأمن والأمان بسعاد حسني.

قال الوزير:

- تصرف كما ترى. المهم تذبح الثور غدًا عند القبر وتوزعه بأي طريقة. تفعل ذلك ثلاثة أيام متوالية تبدأ من الغد. انصراف.

تحـرك العقيـد مؤثر خارجًا ثم توقف واسـتدار وقبل أن يتكلم قال الوزير:

- ثمن الثيران والعملية كلها من صندوق خدمات الشـرطة..

وابتسـم وقال:

- بضاعة أتلفها الهوى!

خـرج العقيد مؤثر بينما قال الوزير لنفسـه: «أنا عارف أن هذا كلام فارغ لكن أنا كنت أحب سـعاد حسـني وكنت أتمنى دائمًا لو كنت في بوليس بلدها أيام الشـباب».

لكن العقيـد مؤثر ما لبث أن عاد بعد دقائق متوترًا وقال:

- مظاهـرات كبيرة يا افنـدم في الميدان لشـباب النصيحة والهدى رافعين المصاحف ورافعين يُفط وشعارات دينية.

انتبه الوزير. نظر إليه لحظات لا يتكلم ثم قال:

- اطلب لي زفت الشـيخ شـمعدان. وشـرف أمي لأجعله يرقص بالشمعدان في الكباريهات.



نصـف ساعة وكان الشـيخ شـمعدان في مكتـب سـرّي بك فايز رئيس حمايـة الدولة الذي اسـتقبله واقفًا ثم جلس الاثنان. سـرّي بك خلف مكتبه والشـيخ شـمعدان أمامه. قال سرّي بك:

- الوزير كلمك بنفسه لكن طلب مني أن أجلس معك. أمامك شيء من اثنين. إما أن تصدر أوامرك من هنا لرجالك أن يتركوا الميدان، وإما لن نعود إليهم وستقوم قوات فض الشغب بفضهم بمنتهى القسوة. أرواح رجالك في عنقك.

ابتسم الشيخ شمعدان الذي حرص على أن تكون المسبحة الكهرمان معه. راح يُسبِّح بصوت غير مسموع ثم قال:

- ألم يعرف الوزير أني صرفتهم بالفعل قبل أن أتحرك من البيت؟

نظر إليه سرّي بك مندهشًا يفكر وما معنى اللقاء بهذا الرجل الآن، ولماذا كلفه الوزير بذلك؟ قال:

- هل ممكن أعرف لماذا نزلتم إلى الميدان؟

قال الشيخ شمعدان:

- إذن استعنَّا بالله. المسألة ببساطة أنه في مثل هذا الشهر عام 2010..

قاطعه سرّي بك:

- هل هناك 2010 أخرى غير هذه؟

ابتسم الشيخ شمعدان وقال:

- دعك من هذا الحديث. كلنا نعرف الحقيقة.

حملق فيه سرّي بك فاستطرد الشيخ شمعدان:

- في مثل هذا الشهر اتفقتم معنا على مئة مقعد في مجلس الأمة. ثم خذلتمونا وزورتم الانتخابات ولم نحصل على مقعد واحد. لا تتضايق مني. هذه حقائق.

- ماذا تعني بهذا الكلام؟

- ما دمنا لعبنا معًا ورجعنا بالتاريخ سنة ورا إذن ضروري نعيد الانتخابات وننفذ اتفاقنا السابق الذي لم ينفذ.

ضحك سرّي بك وعلا صوته:

- حضرتك عايز الحاكم يحل المجلس الحالي ويدعو لانتخابات جديدة وتنجحوا فيها؟ حضرتك طيب جدًا. اللي راح راح يا معلم.

سكتا لحظات أطرق فيها الشيخ شمعدان إلى الأرض ثم قال:

- ارفع طلبي للوزير يرفعه للحاكم.

- أنا أقول كلامًا أعرفه. هذا موضوع تمت مناقشته في دائرة مغلقة بين الحاكم ورجاله. كان اقتراحًا من مدير «مُز» ورفضه الحاكم في النهاية. لاحظ كلامي. مدير «مُز» وليس شخصًا عاديًا.

- والله ما دام الأمر كذلك فلن أستطيع منع الشبان من النزول إلى الميدان مرة أخرى. هذه رغبة كل قواعدنا. أنت تعرف أننا ديموقراطيون.

ضحك سرّي بك وقال:

- طبعًا. ديموقراطيون جدًا! اسمع. أنا سأتركك تعود إلى قواعدك وسأخبر الوزير بكل ما قلت، لكن عليك أن تعرف أن هذا لن يتم. والميدان مفتوح وخلّي شبابكم ينزل يرفع المصاحف. نحن بحاجة إلى مصاحف كثيرة نوزعها على الناس في الجوامع. تفضّل.

وأشار إليه بالخروج فخرج الشيخ شمعدان مسرعًا.

17

صرخ الشيخ شمعدان في أعضاء هيئة مكتب «النصيحة والهدى»:

- قلت لكم هذه مغامرة فاشلة. قلت لكم لن يستمعوا إلينا، وأن هذا الحاكم عنيد لن يتراجع في قراره.

قال الدكتور شعبان محمد الطيب العالمي:

- كان يمكن بقليل من الضغط. أنت الذي طلبت أن يترك الشباب الميدان متصورًا أن الوزير سيستمع إليك.

قال المهندس زكي فاضل:

- لو استجابوا إلينا كنا سنكسب الانتخابات ونقول للناس إن رئيسنا مجنون يلعب كما يشاء في الأيام والشهور وإننا وافقناه لنكسب حقنا الذي أضاعوه علينا.

قال الشيخ شمعدان ساخرًا:

- وما دام قد عاد إلى التاريخ الخطأ وجدناها فرصة أن نعيد الأمور إلى نصابها ونخوض الانتخابات وننجح. نحن انتهازيون جدًا. أليس كذلك؟

قال أستاذ الحقوق الدكتور ميسرة عبد الله بهدوء:

- لا داعي للتوتر. ما جرى قد جرى. المهم الآن هل ستوقف أم ستأمر الشباب مرة أخرى بالنزول إلى الميدان؟

قال الشيخ شمعدان:

- الآن لا بد من الميدان. هم أجبن من أن يهاجمونا لأنهم يحتاجون إلينا.

ابتسم شعبان محمد الطيب العالمي ساخرًا:

- انزلوا الميدان يا شباب. اتركوا الميدان يا شباب. انزلوا مرة أخرى يا شباب. هذا ليس سمعًا ولا طاعة. شبابنا ليسوا عبيدًا وبدأوا يتسربون منا.

فكر الشيخ شمعدان قليلًا ثم قال:

- دعك من العاصمة وشبابها الآن. لدينا عشرون محافظة. ابدأوا بمدن الجنوب بعد غدٍ ثم مدن الشمال في اليوم التالي وهكذا كل يوم حتى يستجيب هذا النظام لنا.

حطَّ عليهم الصمت. كانوا يفكرون في صحة ما يقول. اعتبروه كلامًا مقنعًا ويمكن تنفيذه. لكن شعبان محمد الطيب العالمي قال:

- مسألة تحول الشباب المقبوض عليهم إلى قطط انتهت. إنهم يتصورون أننا الذين فعلنا ذلك. سيكتشفون عندما يتم القبض على

شبابنا أنهم لم يتحولوا إلى قطط ومن ثم سيكتشفون كذبنا وسيكون اعتقالهم لنا كثيفا جدًا.

قال الشيخ شمعدان:

- مَن قال لك إن توقف تحول الشباب إلى قطط لم يكن لنا فيه يد. وماذا فعل ألف خان إذن؟

نظروا إلى بعضهم جميعًا في حيرة فقال شعبان محمد الطيب العالمي في استسلام وقد أدرك أن الشيخ شمعدان قد خدعهم وجعل ألف خان يوقف تحول الشباب إلى قطط:

- إذن دعه يعيد الأمر إلى حالته مرة أخرى وبسرعة.

قال الشيخ شمعدان مبتسمًا:

- رتبت معه كل شيء.

نظروا إليه بإعجاب فقال:

- وأخفيته في مكان جديد لن يصلوا إليه فيه أبدًا، ولن أظهر فرنه لهم مهما طلبوا مني. من الآن ترك ألف خان البلاد وعاد إلى راجستان لا بد أن يعرف الجميع ذلك.



كان الزعيم حمدان منفعلًا وسط الظلام وحوله رجاله بين الجبال وهو يسب فيهم بينما كان نزار يبتسم ولا يظهر ابتسامته.

- كم يومًا تنتظرون عربة البريد الآن وفي النهاية تأتون لي بعربة يقودها طبيب أطفال.

قال أحدهم:

- يا معلم هي نفس الماركة ونفس النوع. هل كنا نتركها؟

- طبعًا لا. لكن عرفتم أنه طبيب أطفال لماذا لم تتركوه في الطريق؟

قال الثاني:

- لقد كممنا وجهه ومنعناه عن النطق ولم نعرف مَن هو وأسرعنا بالسيارة إلى الجبل. لم يكن لدينا وقت للحديث معه ولا لتركه في الطريق لأن الصدفة جعلت موكبًا لمدير الأمن يمر من نفس الطريق. عليك تشكرنا أننا استطعنا أن نهرب به دون أن يلحظ ذلك أحد.

- طبعًا. لماذا لا أشكركم؟! الآن أصبح لدينا اثنان لا حاجة لنا بهما.

ارتبك نزار ثم قال:

- الطبيب لم يرَ أحدًا حتى الآن يا زعيم، ومن ثم يمكن أن تأخذوه في وسط الليل أو في الصباح كما هو مكممًا لا يرى ولا يتكلم إلى بطن الجبل وتتركوه هناك قريبًا من الأسفلت.

- هذا ما سأفعله. الصباح رباح. كله يذهب لينام.

قال الزعيم حمدان ذلك فقال نزار:

- وإن كنت أفضل أن يبقى.

نظر إليه الجميع في دهشة وسأله الزعيم حمدان:

- ولماذا؟ ما فائدته؟ لا أطفال لدينا وشكله مسكين أهله في انتظاره.

قال نزار:

- طبيب الأطفال يفهم أكثر في أمراض النساء. على الأقل لم كشف على امرأة لا تستحي منه.

قال الزعيم حمدان بانفعال:

- إيش يعني يكشف عليها. يسألها وتجاوب ويكتب لنا اسم الدواء.

قال نزار:

- أنا قلت لحضرتك رأيي كطبيب للكبار والأمر لك.

- خلاص. ناموا والصباح ليها ألف حل.

ونادى الزعيم رجلًا من رجاله:

- أنت يا جبّور. خذ دكتور الصغار هذا في مغارة وحده. لا يعرف اسمك ولا شكلك.

انتهت الجلسة وأحس نزار أن حيلته لم تنفع. كان يود أن يبقى طبيب الأطفال لأن اختفاءه قد يصبح قضية في الصحف. وقد يثير شهية البوليس في البحث عنه والوصول إلى الخاطفين ومن ثم سيقبض البوليس على الجميع وهو معهم وكذلك شيماء ويكون ذلك طريق الخروج من هنا. سيقولون عثرنا عند قطاع الطرق على أكبر ناشط سياسي ومعه ناشطة من الجنوب اسمها شيماء وسيحكي هو القصة للمحقق الذي سيصدقه. طبعًا لن يذكر له أن شهيرة هي التي أوصلته إلى قطاع الطرق. سيقول إنه هو الذي عبر النهر إلى البر الشرقي حيث توجد جبال وهضاب درسها في المدرسة وقرأ عنها وكيف تأوي الآلاف من قطاع الطرق، وإنه فعل ذلك ليختبئ من البوليس الذي يقبض على النشطاء بلا سبب، وإنه كان يود أن يعيش وحده يزرع ويربي الدجاج ويبتعد عن السياسة. فكرة مجنونة سيطرت عليه لكنه وقع في يد قطاع الطرق. ولن يجرؤ الزعيم حمدان أن يقول إن أحدًا طلب منه أن يخفيه عنده لأن ذلك يعني أنه يعمل في السياسة وهذه مسألة لم يمارسها. إذن عليه الآن أن يجد طريقة للوصول إلى الطبيب بعد أن يناموا. كيف سيخدع الحارس الذي يسهر بين المغارات والثاني الذي يجلس فوق أعلى جبل. هل يستطيع؟

في منتصف الليل خرج من مغارته. لا يعرف لماذا نظر في المرآة قبل أن يخرج. هل أراد أن يلقي على نفسه النظرة الأخيرة. مَن هنا

الـذي في المرآة؟ هنا رجل ترك ذقنـه فطالـت، ولم يعد يعتني بنظافته. جلبابه الأسود جعله مثل شبح.

خـرج حافيًا يفكر كيـف يهرب مع شـيماء ويـسـاعد الطبيـب على الهرب. لكنه راح يتنشـق هواء الليل البارد. وقف يتنفـس فاتحًا الطريق إلى صـدره يمتلئ بالهواء. هذه الصحراء التي امتلأت باللصوص. التي أهملت من كل الأنظمة الـسياسـية بينمـا كانت جديرة بالعمران. والتي كان يمكـن أن تـأوي الآلاف مـن أهل البلـد الفقراء، هـؤلاء الذين إذا اشـتد عودهم نزحـوا إلى العاصـمة فملأوها بالعـادات القبلية والريفية التي لـم تعلمهـم الأنظمـة الحاكمـة تغييرها إلى الأفضـل. مثل هذه الصحـراء كثير يحيـط بمجرى النهـر الكبير كان يمكـن أن يتفرق فيها النـاس فيخف الزحام عن المدن الكبرى ويـسـود العمران. هذا الوطن المُبتَلى بحكامه. ماذا كان يمكن أن يحدث أيضًا لو ألقى بهم الحاكم الشـيطان إلى العصور القديمة؟ كيف كان سيكون حاله؟ عاريًا إلا من ورقة شجر!

وجد نفـسـه يضع يديه بين سـاقيه كأنـه يخفي عورته. ابتـسـم وقرر أن يخـرج مـن أفكاره التي لـم تعد بنات فائـدة الآن، خاصـة وهو يرى الحارس جالسًا بين المغارات على مقعد قديم وجواره سـلاحه الآلي تقدم إليه وألقى عليه التحية ثم جلس على الأرض. سـأله الحارس:

- سهران ليه يا نزار أفندي؟

- لم يأتني النوم. أشعر بقلق.

- ليه؟

- لا أعرف. هل ستضايق من وجودي بعض الوقت؟

- لا طبعًا، تشرفني والله يا دكتور.

ثم ضحك الحارس وقال:

- صار لدينا دكتوران الآن. خير ربنا كثير.

وضحك. فكر نزار هل يمكن أن يخطف منه السلاح الآلي ويصوبه إليه يرعبه، ويجعله يفتح باب مغارة الدكتور، ثم ينتقل إلى مغارة الريس حمدان يأخذ شيماء ويهربون جميعًا. ابتسم. أي صوت من هذا الحارس سينبه الحارس الآخر فوق الجبل الذي سيوقظ الجميع ويقتلونهم. ليس أمامهم إلا الصبر، لكن حتى يأتي ذلك اليوم ألا يكون الزعيم حمدان قد اغتصب شيماء. آخر ما كان يخطر بباله أن مدير الأمن على علاقة برجال الجبل. هؤلاء الذين لا يصل إليهم أحد.

قال نزار:

- هل فتشتم سيارة الطبيب جيدًا؟

- طبعًا. كنا نبحث عن الأموال. لم نصدقه في البداية.

- وكيف صدقتموه؟ ألا يمكن أن يكون كذب عليكم؟

- طبعًا يمكن أن يكذب علينا، لكننا لم نجد أموالًا. وجدنا أدوية كثيرة في السيارة، وأدوية تعني أنه دكتور.

سكت نزار قليلًا يفكر ثم قال:

- وأين هي الأدوية؟ هل مازالت في السيارة؟

- مكانها. قال إنها لا تصلح إلا للأطفال.

سكت نزار من جديد ثم قال:

- ألا يمكن أن أراها؟

ابتسم الحارس وقال:

- ليه. عيّل أنت؟

- لديّ صداع شديد وربما يكون فيها دواء للصداع نسيه الدكتور.

- والله أنا كمان دماغي مصدعة شوية. تعالَ معي.

لم تكن السيارة بعيدة. كانت في انحناء الطريق بين الجبال. أخذه الحارس إليها. كانت حقيبتها الخلفية مفتوحة. فيها أدوية كثيرة مبعثرة. راح نزار يقلب فيها ويقرّبها من عينيه تحت ضوء النجوم ويقرأ. ينطق بعض أسمائها بالإنجليزية فيتم الحارس ويتأكد له أنه طبيب بارع! وجد أيضًا بعض الحقن. مط شفتيه وقال:

- ليس من بينها أدوية للصداع.

- إذن هيا نعود.

عـادا إلى مكانهما الأول. كان نزار قد وجـد بينها زجاجة «مُخَدِّر» صـغيـرة عرفها من اسـمها الذي ذكره الدكتور مصطفى أمامه أكثر من مـرة. أخفى الزجاجة عن الحارس الـذي لم ينتبه إلى نزار وهو يضعها في جيـب جلبابه. ما فائدتها له حقًا، وهل فكر في تخدير العصابة التي أوتـه وحققت له الاختفاء الذي يريده؟ لـم يتردد. إن لم يكن من أجل الدكتـور فمن أجل شيماء. يـستطيع حقًا الآن أن يطلـب منهم العودة إلى البلـدة. لقد مضـى أكثر من شـهر ونصف الشـهر. لا يعرف كيف استطاعت شيماء خداع الزعيـم كل هذا الوقت فلـم يغتصـبها. مضى أكثر من شـهر ونصف سيشـفعان له في طلب الرحيل. سـيحملونه في سـيارتهم ويـدورون به بحيث لا يعرف الطريق إليهـم أبدًا. ويمكن أن ينفع المخدر شيماء والطبيب بعد أن ينصرف هو. هكذا لن يشـعروا بخيانتـه ومن ثم لا خطر على شـهيرة ومرسـال الذي أتـى به هنا. صار سـعيدًا. لقد أرسل له الله حلًا من الحلول، وليتم قرير العين الآن.

ودع الحارس مبتسمًا وأسرع إلى مغارته.

18

في منزل نزار التقى مصطفى ونورهان وماهيتاب وأحمد خشبة وشهيرة التي أُفرج عنها أيضًا. كانت الفكرة أن اللقاء في عيادة مصطفى بعد خروجهم من الحبس سيكون مرصودًا ومن ثم طلب مصطفى من والدة نزار أن تعطيهم فرصة الاجتماع لديها فنزار غائب والبوليس قد لا يتوقع ذهابهم إلى هناك كما ستكون معهم شهيرة لتعرف منها شخصيًا أن نزار في أمان.

جلست معهم السيدة كريمة والدة نزار تسمع إلى ما قالته شهيرة والكل صامتون حتى انتهت شهيرة فقالت السيدة كريمة:

- رهان نزار خاطئ. قلت له ذلك منذ البداية. ليس معنى بقائه بعيدًا عن الحبس أن النظام سيصدق أكثر أنه لا ثورة قادمة. النظام أعد نفسه للقضاء على أي ثورة أخرى.

- لكن هذا ما حدث يا أمي ولا حيلة لنا في رجوع نزار إلا بإرادته.

هكذا قال مصطفى فقالت نورهان:

- المهم أنك اطمأننتِ عليه وشهيرة ضامنة قطاع الطرق.

ضحكوا جميعًا إلا الست كريمة التي قالت:

- طمنوني أنتم ماذا ستفعلون؟ هل يمكن أن أبقى معكم في الاجتماع أستعيد ذكريات زمان؟

قالوا وهم يضحكون:

- طبعًا يا أمي. تنورينا.

فتحت عينيها على اتساعهما، وهيأت أذنيها للسمع. هؤلاء الشباب كيف حقًا لا ينهزمون.

قال أحمد خشبة:

- مهمتنا الآن هي التركيز على الفيس بوك أكثر من أي وقت مضى.

قالت نورهان:

- بالضبط. مثل العام الماضي. لن يقبضوا علينا جميعًا مرة أخرى. انت فقط يا أحمد ناقص لك مرة.

ضحكوا فقال أحمد:

- أنا على طول رايح جاي على المعتقلات. شكلي لن أنهي تعليمي الجامعي أبدًا.

ضحكوا وقالت ماهيتاب:

- في مدينتنا أمامنا عمل كبير. لن نتوقف قبل أن تتم محاكمة قتلة قاضل سعيد، رغم أن فاضل لم يبعث ليُقتل مرة ثانية، الصفحة الجديدة تجمع الملايين حولها. أكثر من العام الماضي، لكن القتلة لا يزالون أحرارًا، وما دام الحاكم أعادنا إلى الوراء فسنأتي له بكل ما يكرهه منا.

قال مصطفى:

- طبعًا مثل العام الماضي، وكالعام الماضي خليكي أنتِ على تويتر أكثر.

قالت شهيرة:

- أنا على الاثنين. لن أغير ما فعلته العام الماضي أيضًا.

هنا قالت الست كريمة:

- هل تثقون إلى هذا الحد في الفيس بوك وتويتر. أنا لا أصدق أنهما سبب الثورة. كيف تأتي الثورة من فضاء افتراضي.

تبادلوا النظر. لن يرد عليها أحد ردًا قد يشعرها بفارق الزمن بينها وبينهم ولن يذكروها بما حدث أول العام. قال أحمد خشبة:

- بالمناسبة يا ماما فيه صفحة على الفيس عاملينها ضباط شرطة اسمها «مالناش في السياسة» ولولا الفيس بوك لم نكن نعرف عنهم شيئًا.

تحيرت ماما كريمة لحظات ثم أدركت معنى ما يقول وقالت:

- إذن لا بد أن تشجعوهم. آفة الشرطة السياسة. لكن هل سيستمرون؟ ربنا يستر عليهم.

قالت شهيرة ضاحكة:

- يا ريت يا ماما تعملي لحضرتك صفحة على الفيس بوك.

قالت نورهان:

- يا سلام لو فعلتِ ذلك ستتغير الدنيا حولك.

قالت الست كريمة:

- لماذا تويتر لا؟

قالت شهيرة:

- التويتة مائة وأربعين حرفًا فقط. على الفيس تكتبي براحتك.

- إيه التويتة دي؟

- التغريدة يعني. هو معمول للتغريد حتى شعاره عصفورة لكن نحن قلبناه ثورة.

ضحك الشباب بينما هي راحت تنظر إليهم في حيرة ودهشة وقالت ماهيتاب:

- على الأقل ترسلي رسائل لنزار.

نظرت إليها شهيرة معاتبة. رأت الست كريمة نظرتها فقالت:

- ما لك يا شهيرة تغيرتِ هكذا، ما له نزار؟

- لا شيء بها ماما. فقط المنطقة التي بها نزار ربما لا توجد بها شبكات اتصال. حتى لا تقلقي يعني من عدم الرد عليكِ.

قالت الست كريمة:

- طيب نزار لم يأخذ اللاب توب معه. اعملولي صفحة وعلموني.

صفقوا وهتفوا «هيه» وقال مصطفى:

- الليلة حفلة في تويتر على «النصيحة والهدى» والدولة العبيطة.

قالت الست كريمة:

- لي طلب واحد. أن تتركوا شهيرة تنام عندي الليلة. شهيرة حلوة جدًّا ومن زمان لم أرَ الغمازات الحلوة هذه عند أحد وأنا أمي كانت هكذا ولذلك أحبها أبي ووقع في دباديبها.

ضحكوا وقالت شهيرة:

- وأنا سأكون سعيدة جدًّا يا أمي.



#النصيحة_والهدى_عايزين_ينونوا. أيوة كانوا فاكرين حيبقوا قطط ويهربوا من السجون.

#النصيحة_والهدى _عايزين_ينونوا. قال إيه ويقول لك هم اللي منعوا الثوار تتحول لقطط. طيب كنتم نفعتم نفسكم.

#النصيحة_والهدى_عايزين_ينونوا. يقول لك واحد قابل الشيخ شمعدان قال له «هو» طلع بجري.

#النصيحة_والهدى_عايزين_ينونوا. مش غيرتم تواريخ أيامنا مع الدولة العبيطة. إن شاء الله حيبعتكم لقوم لوط تتحولوا العواميد ملح.

#النصيحة_والهدى_عايزين_ينونوا. كمان حكاية الراجل الراجستاني اللي جابوه في السر طلع اتفاق مع الحكومة.

#النصيحة_والهدى_عايزين_ينونوا.. عمركم ما بتفهموا درس التاريخ. طول عمركم ضد الدولة العبيطة وتجروا عليها في أول ندا.

#النصيحة_والهدى_عايزين_ينونوا. رغم أن الثورة فشلت بس الحمد لله كنتم حتركبوها وتمسكوا البلد وترجعوها تاني للعسكر.

#النصيحة_والهدى_عايزين_ينونوا. أيوة خلاص خدنا الدرس وعمركم ما حتطولوها لما نعمل ثورة تاني.

#النصيحة_والهدى_عايزين_ينونوا. يا جماعة كفاية كده تريقة. ثورتنا ما كملتش ولازم يبقوا معانا تاني. دول برضه فصيل وطني.

#النصيحة_والهدى_عايزين_ينونوا. وطني إيه يا بتاع الليبرالية الواسعة انت. حتعمل زي بتوع مصرايم. عليّ النعمة لو مسكوا الحكم ليرجعوه لأبو العساكر.

#النصيحة_والهدى_عايزين_ينونوا. صحيح ما فيش فرق بين السمع والطاعة والأمر والطاعة.

#النصيحة_والهدى_عايزين_ينونوا. شوفوا احنا لازم ندافع عن المسجونين منهم لأن التظاهر حق لكل مواطن لكن تعاون معاهم لا.

#النصيحة_والهدى_عايزين_ينونوا. طيب السؤال هم بعد ما ساعدوا النظام في كل حاجة ضد الثورة بيتظاهروا ليه؟ حد عارف؟

#النصيحة_والهدى_عايزين_ينونوا. يقول لك عايزين يعملوا انتخابات مجلس أمة تاني ما دام السنة هي 2010.

#النصيحة_والهدى_عايزين_ينونوا. طيب مش هما اتفقوا مع النظام ساعتها والنظام ضحك عليهم. ما بيحرموش. ولا الانبطاح غية.

#النصيحة_والهدى_عايزين_ينونوا. عايزين حقهم بعد مازوّروا التاريخ مع الدولة العبيطة.

#النصيحة_والهدى_عايزين_ينونوا. آخر المعلومات يا شباب أن فيه في مدن الساحل والعاصمة شباب قرر الخروج عن التنظيم دا.

#النصيحة_والهدى_عايزين_ينونوا. بصراحة النظام هو سبب وجودهم. فقر البلد وهما لقوا التربة صالحة للضحك ع العقول. معركتنا مع النظام.

#النصيحة_والهدى_عايزين_ينونوا. كنت منهم. سبتهم من ساعة ماغيروا التاريخ. عارفين ليه. لأن ولا واحد من اللي استشهدوا رجع للحياة. يبقوا كدابين.

#النصيحة_والهدى _عايزين_ينونوا. إحنا ممكن نقضي عليهم أسرع من النظام. عارفين ازاي. نعمل جمعة للبكيني والمايوهات.

#النصيحة_والهدى_عايزين_ينونوا. سيبوكم منهم. خلينا في الأيام الجاية. صحيح النظام مش عارف أنه لما يعيد السنة يعيد الثورة؟

#النصيحة_والهدى_عايزين_ينونوا. عارف ويستعبط. محضر لنا أسلحة فتاكة من عند خالتك فتكات بس إحنا شعارنا يا مرجع الأيام ورا آخرتك زي الخرا.

#النصيحة_والهدى_عايزين_ينونوا. سيكم منهم. إحنا مشكلتنا مع أبو العساكر. قولوا ورايا.. يامرجع الأيام ورا آخرتك زي الخرا.

من غيرهاشتاج أرجوكم:

«يامرجع الأيام ورا آخرتك زي الخرا»

«يامرجع الأيام ورا آخرتك زي الخرا»

«معاكم النصيحة والهدى واحنا معانا سعاد حسني يا معفنين»

«سعاد أصلها من الشام وبيقولوا أصلها كردي كمان وبتكره الظلم من اللي شافه الأكراد. بلدها اللي اشتهرت فيها بأفلامها ما استحملتهاش وجت عندنا علشان تموت في أرضنا، أرض اللاوند، يعني بتحبنا أكتر من أي بلد»

بانو بانو بانو.. على أصلكم بانو

والساهي يبطل سهيانه

ولا غِنى ولا صيت.. دولا جنس غويط

وكتاب ما يبان من عنوانه

بانو.. أيوه بانو

***

جرينا الحلو المتعايق أبو دم خفيف

وبقينا معاه إخوة شقايق فاكرينه شريف

أناريه مش كله على طول الخط

الطبع الردي من جواه نط

خلاص بقى مهما اتشال واتحط..

ما فيش دمعة حزن علشانه

بانو.. أيوه بانو.

وراحت أغنية سعاد حسني تتكرر بشكل كبير.

19

لـم تكـن الليلـة التي قضتها شـهيرة مع مامـا كريمة، كمـا صارت تناديها، ليلة عادية. جلسـت شهيرة تنشئ لها صفحة على الفيس بوك، وحين سـألتها هل لديها إيميل ضحكت ماما كريمة وقالت:

- نـزار حاول إقناعي أكثـر من مرة أن يكون لي إيميـل لكني دائمًا كنت أقول له ومَن سيرسل لي رسائل؟ أنا سـت تركت العمل والسـياسة مـن زمان وأعيش على «معاش أبوك» وعلى ريع المنزل الذي تركه لي أبي ولا علاقة لي بأي شخص أو هيئة أو مصـلحة..

قالت شـهيرة ضـاحكة:

- ألا تسـتخدمين الإنترنت أبدًا حتى ولو لقراءة الصحف والمواقع الإلكترونية؟

ضحكت ماما كريمة وقالت:

- أنـا مـن الجيل الورقي. لا أقرأ صحيفة إلا وهـي بين يديّ. تماما كالكتب.

قالت شهيرة ضاحكة:

- سيكون لك إيميل وصفحة على الفيس بوك، وشيئًا فشيئًا ستغرمين بالإنترنت، ولن تشتري الصحف، وستعرفين بالأخبار لحظة وقوعها، وستشتكين بعد ذلك من إدمان الإنترنت.

سكتت ماما كريمة باسمة فسألتها شهيرة:

- فيمَ تفكرين يا ماما؟

- الغمازتان اللي في خدودك حلوين أوي يا شهيرة. عايزة آكلهم أكل!

احمر وجه شهيرة وقالت باسمة:

- ويعدين بأه. أنا بادوخ من الكلام ده.

ضحكت ماما كريمة وقالت:

- بعد ما كنتي تفكريني بماما نسيت ماما وصرت أحبهم جدًا، لكن خلينا في الفيس بوك.

في دقائق صار لماما كريمة صفحة على الفيس بوك. وفي دقائق جلست ماما كريمة أمام اللابتوب وشهيرة ترشدها كيف تطلب صداقة الأعضاء وكيف توافق على الصداقة وترسل الرسائل وتتابع المناسبات وتدخل على صفحات الصحف الإلكترونية. قالت ماما كريمة:

- أريد أن أطلب صداقة نزار ابني، وسأرسل له رسالة أيضًا.

قالت شهيرة:

- لكن. لكن لا تنتظري ردًا منه الآن ولا تقلقي. بين الجبال قد لا توجد شبكة للإنترنت كما قلت لكِ من قبل.

سكتت ماما كريمة لحظات ثم قالت:

- يعني لو رد عليّ يكون خرج من هناك.

- بالضبط.

- إذن سأنتظر الرد كل يوم حتى أطمئن عليه.

رفضت ماما كريمة أن تنام شهيرة في حجرة وحدها، تركت حجرتها وذهبت لتنام معها في حجرة الضيوف التي بها سريران. قدمت لشهيرة من ملابسها المنزلية قميص نوم قالت إنها اشترته مع ثياب أخرى منذ أسبوع ولم تلبسه. «سيكون واسعًا قليلًا عليك لكن لن يكون طويلًا ولا قصيرًا»

- ماما حضرتك لماذا تريدين أن تنامي في نفس الغرفة؟ أنا سأقرأ أي كتاب من مكتبة نزار. أنا أسهر كثيرًا وأيضًا سأنشغل بالفيس بوك وتويتر.

- أريد أن أتحدث معك طول الوقت.

سكتت شهيرة متأثرة ثم قالت:

- طيب اسمحي لي أن أدخل المطبخ واتركيني أنا أعد العشاء لك وأحضره هنا وأنتِ اجلسي قليلًا على الفيس بوك حتى تتدربي أكثر.

ذهبت شهيرة إلى المطبخ وراحت ماما كريمة تتابع صفحتها على الفيس بوك. رأت اقتراحات بأصدقاء فوافقت عليهم ورأت أصدقاء وافقوا على صداقتها فورًا هم نورهان وماهيتاب وأحمد خشبة والدكتور مصطفى.

«الله الله الفيس بوك نور يا ماما كريمة».

هكذا تقريبًا قالوا جميعًا. دخلت على صفحاتهم وراحت تقرأ وجدت آلاف الأصدقاء لهم وآلاف مؤلفة من المتابعين ومحبي صفحاتهم التي جعلوها مستقلة عن حساباتهم. صفحات بعناوين بكرة ترجع بلدنا. يا شعب يا طيب كفاية ذل. حقنا حنجيبه. الشارع لنا. وصفحة كلنا فاضل سعيد، وجلست واجمة وهي تتابع ذلك كله كيف حقًّا اختلف هذا الجيل عن جيلها وزوجها رحمه الله؟ وراحت تفكر في هذا التطور المرعب الذي سمعت عنه ولم تمارسه. إن كتابة عبارة على الصفحة يقرأها الآلاف أمر يختلف عن اجتماع سري بين أعضاء الحزب الشيوعي زمان. اجتماع لا يعرف به إلا أعضاء الخلية. خمسة. عشرة على الأكثر يبلغون مَن يثقون فيهم للتظاهر أو للاحتجاج. قد يستغرق الأمر أسبوعًا وليس ثانية من الزمان. لذلك ألقى الحاكم المجنون بالشباب عامًا إلى الخلف، ولم يعرف أن فرا الفضاء الافتراضي صارت فيهم ومن ثم عادوا في دقائق. لن تصدق أبدًا حكاية البنت الحلوة التي تشبه سعاد حسني التي أعادتهم للحياة هؤلاء الشباب مسحورون بإمكانيات الإنترنت. وبحثت عن صفحة

«مالناش في السياسة» التي قالوا لها إنها لبعض ضباط الشرطة. وصلت إليها في لحظة. ضغطت «لايك» وأحست بالفرح. ستدخل عالم الثورة الذي غاب عنها دائمًا. لكنها تركت التعليق على الصفحة إلى ما بعد. ما الذي يمنع أن تكون هذه الأشياء مراقبة؟ لا يجب أن تغامر بالحديث في السياسة على الملأ الآن. لكنها رأت صورة لفتاة جميلة تطل عليها مع صور أخرى يطلب أصحابها صداقتها. كان جمال الفتاة أخاذًا وكانت ترتدي «مايوه». ذكرتها بشواطئ زمان. تاقت نفسها إلى الصيف مع المرحوم زوجها وأصدقائهما. لقد ضاع ذلك الزمن. دخلت صفحة الفتاة فوجدت كل المعلومات غائبة عنها حتى تتم الصداقة. وافقت على طلب الصداقة فانفتحت الصفحة عن نساء عاريات ومشاهد جنسية فظيعة جعلتها تغلق عينيها لحظة وتحس بالرعشة في جسدها من الخوف. ما هذا القيس خرا؟ وفتحت عينيها بهدوء ونزلت أسفل الصفحة لتجد فيديوهات جنسية أيضًا. عادت إلى أعلى الصفحة وقررت إلغاء الصداقة وعرفت كيف تفعل ذلك. تنفست الصعداء وبدا أنها تخلصت من عبء فظيع.

دخلت شهيرة تحمل صينية عليها عشاء بسيط من الجبن والسلاطة والفاكهة. أبسط ما وجدته في المطبخ. ليس مهمًّا أن تأكل بقدر ما هو مهم أن تقدم الطعام لماما كريمة من يديها.

لاحظت شهيرة شحوبًا واضطرابًا على وجه ماما كريمة فسألتها:

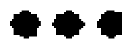
- هل حدث شيء في غيابي؟

هزت ماما كريمة رأسها ثم راحت بخجل تحكي ما جرى وشهيرا التي شحب وجهها أيضًا وأحست بالارتباك سرعان ما ضحكت وقالت:

- الفيس بوك مليء بأصناف البشر يا ماما. ستكتشفين كل شيء بنفسك، وفيما بعد تحذفين من تشائين من بين أصدقائك، وهكذا لك فيه حرية مطلقة ولن يطلع أحد على أسرارك إلا مَن تريدين. اتركي صفحتك اليوم ولعدة أيام مفتوحة لمَن يشأ الكتابة أو التعليق، وبعد ذلك اجعليها لأصدقائك فقط أو لأهم أصدقائك أو لك فقط. لديك الإعدادات سترين فيها كل ما يرشدك إلى ما تريدين، ولن يجبرك أحد على مشاهدة أو صداقة مَن وما لا تحبين. في النهاية يهمنا منه الثورة، صنعناها منه وسنصنعها من جديد.

بدت شهيرة لها وهي تقول جملتها الأخيرة على غير ما رأته فيها من جمال. تصميمها على فعل ما تقول أظهر قوة تلغي شيئًا من أنوثتها قالت في نفسها:

- أنتِ خسارة في هذا الغضب والله يا شهيرة. أنتِ أجمل من سعاد حسني، ومَن يدري ربما أنتِ مَن انقذ الأولاد ولا نعرف.



بين جبال عالية يعلو قممها الجليد وفي وديان بينها أنهار مياه تجري دافقة يملأ خريرها الفضاء جلست هديل على حافة أحد الأنهر تأكل

تفاحة من شجرة وحيدة يتجاوزها الجليد وتظل خضراء طوال العام ولا ينتهي ثمرها ولا يسقط. كانت بين قضمة وأخرى من التفاحة تضحك وهي ترى الفراشات الملونة تطير أعلى الشجرة وتبتعد لتعود.

أحست برغبة في الوقوف فوقفت لترى بعيدًا عنها «كينج كونج» قادمًا يمد قدميه كأنه على موعد تأخر عنه. أشرقت الفرحة بوجهها ووقفت تلوح له بيدها الرقيقة فأسرع إليها أكثر وهي تتقافز من الفرح. ما إن وصل أمامها حتى قفزت إلى كتفه هي التي كانت قد صعدت بسرعة فوق تلة عالية. أدار رأسه أكثر من مرة سعيدًا وهي براحتها الإلهية راحت تمشي على وجهه فيشعر بالسعادة تتسلل إلى جسمه الضخم موجات أثيرية من الفرح. مد يده أمسك بها أمامه يتأمل فيها ووضعها على صدره تحيط بها كفه حتى لا تنزلق فقالت له:

- مبسوط؟

وجاءها صوته هادئًا مفعمًا بالرضا ومشى بها بين التلال وفوق الوديان حتى وصل إلى نهاية الوادي فقالت:

- سوف أعود. لا تقلق. أبي الآن في انتظاري.

وضعها كلها على شفته لحظة ثم أنزلها وهي واقفة وأمسك بيديها ينظر في راحتيها ويتأمل أصابعها. كان يود أن يعبّر عن رقة الأنامل فأصدر صوتًا مرحًا أخافها بقدر ما أسعدها ثم تركها وراح ينظر إلى كفيه السوداوين ويضعهما على قلبه.

لم يطل الوقت بهديل وصارت في منتصف صالة البيت جالسة تهز ساقيها في فرح وقد صارت ترتدي فستانًا من الحرير وتعطر جسمها كله برائحة زكية ولمعت عيناها بلمعة الثقة وكاد الجمال يصرخ في الفضاء يقول أنا هنا واسمي هديل.

- دائمًا مبسوطة ما بنعرف ليه يا هديل. أشركينا معك.

قال الأب فقالت الأم:

- أخاف أن تتركنا هديل يومًا. هل رأيتها اليوم وهي تعود؟

ضحكت هديل سعيدة وقال الأب:

- لا.

- كانت الفراشات تطير أمامها بكل الألوان. كنت أطل من نافذة البيت. ما إن وصلت إلى الباب حتى كانت الفراشات خلفها وحولها أشارت إليها أن تعود فعادت كلها.

تساءل الأب:

- تتحدثين مع الفراشات يا حبيبتي؟

ضحكت هديل وهزت ساقيها وقالت:

- هم إخوتي. قلت لهم أن يعودوا إلى البيت.

نظر الأب إلى الأم في دهشة لكن الأم كانت سعيدة. هذه هدية السماء التي خصّهما الله بها لا تتكرر لأحد ولن تتكرر لهما مرة أخرى. قال الأب:

- لا أعـرف أيـن تلعبيـن لكنـي أعرف أنـك دائمًا سـتعودين وإلا ما خصـنا الله بك.

قالت هديل:

- لا تقلـق يا أبي. أنا لا أترككـم إلا إذا أراد أبي ذلك! وأبي هو مَن يعيدني إليكم!

ارتبـك للحظة من كونها تخاطبه بالأب وفي الوقت نفسـه تتحدث مـن الأب الحقيقي، لكنه أحس بالرضا كما يحس دائمًا وهي تتحدث معه أو مع أمها زوجته، ثم سألها:

- هـل صحيح أنك تقابلين وحشًـا مـن العصور القديمـة الآن في الجبال؟

هتفت هديل:

- نعم.

سألته الأم:

- كيف عرفت؟

قال الأب:

- هـي حدثتنـا عنه. لقد ذهب ورامها إلى البـلاد القريبة وهو الذي عاد بها.

قالت الأم:

- صحيح. لقد نسيت ذلك.

صفقت هديل بسعادة الأطفال فقال الأب:

- لا تذهبي مرة أخرى قبل أن تخبريه وإن كنت لا أعرف لم (١) وأين تذهبين.

قالت هديل:

- أذهب إلى البلد الذي كان يومًا حقولًا للغناء. كنا ننزل من الجبل نعبر البحر لنغني فيه ونعود. صار الآن خرابًا. وعندما غنت البنات ومعهن الأولاد من جديد نكّل بهم سلطانه وهم ليس معهم إلا أصواتهم الحلوة. أبي همس لي وأنا نائمة أن أذهب. ولما قلت له أحتاج قدرة وقوة قال هي لك، الزمان خادمك والمكان يطيعك. أعادني إلى حالتي الأولى. بنت الرب.



جلس مدير «مُزن» إلى مكتبه ينظر إلى النتيجة الموضوعة أمامه يقرأ تاريخ اليوم ويهز رأسه. في مثل هذا اليوم فتح باب الترشيح لمجلس الأمة. وفي مثل هذا اليوم كان هو في فيرتشا. لقد أعيدت الأيام لكن فشل سعيه لإعادة الانتخابات ولم يذهب في مهمة إلى فيرتشا. إعادة الانتخابات ونجاح «النصيحة والهدى» وغيرهم

كان سيقنع الناس أكثر من غيره أن هذا عام جديد رغم أنه يحمل رقم العام الثالث. الحمقى يعيدون كل ما فعلناه. وزير الأمن والأمان يفعل ذلك. كان عليه أن يقبض على أعداد أكبر أو أقل بكثير. والمحققون يوجهون نفس الاتهامات. كان عليه أن يزودهم بقائمة اتهامات جديدة على رأسها الاتصال بسعاد حسني في العالم الآخر وتشجيعها على استخدام قوة الآلهة في معارضة الحكم. هههههه. وضحك. يا لها من تهمة ستجعل كل متهم يصاب بالجنون. على أي حال لقد بدأ شهر نوفمبر واقتربنا من نهاية العام، هي خطوة للنجاة ولم يعد موضوع إقناع الناس بأنه نفس العام أو عام مختلف له أهمية كبيرة. المهم أن يمر يناير القادم دون ثورة ولا اضطرابات، ولن يعود موضوع التاريخ هذا يشغل أحدًا. سيتعود الناس على الخطأ الذي صار حقيقة. سيقوم وزير «مَم» بدوره أما هو، مدير «مُز»، فسيقوم بأكبر عمل يهيئ له الفوز بالحكم وهو القضاء على ظاهرة سعاد حسني. سيبدأ أولًا بالقبض على كل البنات اللاتي يشبهنها. وسيعرف الجميع أنه لا وجود لهذه الحكاية أصلًا، وتنتهي القوة الجديدة للشباب. كل الشباب. العملاء ومَن يتجاوب معهم ومَن يقتنع بما يقولون!

دق التليفون فرفع السماعة فوجد مَن يكلمه بلغة إنجليزية. كانت هناك دعوة له أن يسافر إلى فيرتشا لحضور ندوة عنوانها «تعذيب بلا موت» واعتذار أنهم تأخروا عليه في الاتصال يومين لكنهم أجلوا الندوة يومين آخرين حتى يصل.

تـرك التليفـون ووقف وسـط الغرفـة حائرًا كثيـرًا. لا فائـدة. حتى فيـبوتشا! إنهم يعيدون العام الفائت بكل حذافيره.

أحـس أن مـا يحدث كله من تدبير الحاكم، لا يمكن طبعًا أن يكون من تدبير الســر عـسكر الذي منذ قذفه الحاكم إلى الخلف سـنة وأعاده هـو، وهو يدين له بالفضـل والتقدير. هل تكون مـن تدبير وزير الأمن والأمـان «مَـم»؟ هذا أقل من أن يفعل ذلك. لن يشـغل نفسـه بالتفكير أكثر. المشـكلة الأهم الآن هي أنه سـيذهب إلى فيـبوتشا فهل سيقابل كل مَـن قابلهم في لقاء العـام الماضـي؟ كان من بينهم رئيـس مخابرات دولـة إسلامســتون ولقـد مات فـي مطلع هـذا العام. كما أنه سـيؤجل القضـاء على ظاهرة سعاد حسـني حتى يعود.

لقـد أربـك الحاكم كل عقولهم ويجلـس الآن يضـحك مع أحفاده ويلعب «أتاري». عليه الآن أن يخبره بسـفره. هل سـيستطيع وهو الذي أعطـى لهـم تعليمـات أن لا يتصل بـه أحد أثنـاء لقائه مع أحفـاده قبل الغداء! ليس أمامه غير ذلك مهما كانت النتائج. لا بد أن يركب الطائرة هذا المسـاء.

20

بعد منتصف الليل شهدت المقابر خارج العاصمة حالة من الحركة الغريبة. عشرة رجال شرطة في زي مدني دخلوا المقابر وأخذوا حرّاسها الأربعة الذين شاء حظهم أن يكونوا موجودين تلك الليلة، إلى أربع عربات ملاكي يقودها سائقون في زي مدني أيضًا.

- لا أحد يخاف. سنبتعد بكم وسنعيدكم بعد ساعة. لو انتشر الخبر ستكون نهاية كل منكم.

لم يرد أحد من الحراس المذعورين في ثيابهم الرثة ورائحتهم الغريبة. كان الظلام حولهم يملأ الدنيا. لا شيء مضيء هنا فكيف جاء هؤلاء ولماذا؟

- لا يسأل أحد منكم لماذا يحدث هذا؟ يعني ولا كلمة حتى نعيدكم.

ثم وضعوا كل حارس في سيارة وحوله اثنان من رجال الشرطة في زيهم المدني وابتعدوا به عن المكان كثيرًا جدًّا.

وظل شرطيان آخران من العشرة على باب المقابر العام بعد أن أغلقاه من الداخل.

تحرك العقيد مؤثر في زيه المدني أيضًا أمام وزير الأمن والأمان «مَم» الذي صار يرتدي جلبابًا فوقه بالطو من الصوف الخفيف وحول عنقه كوفية وفوق عينيه نظارة سوداء رغم الظلام.

أمام مقبرة سعاد حسني أشار العقيد مؤثر إلى الوزير أن هذه هي المقبرة. قال الوزير بعد أن فتح الباب الحديدي لحوش المقبرة.

- ابتعد أنت.

تراجع العقيد مؤثر ووقف الوزير وحده. رفع يديه أمامه وأخذ في قراءة الفاتحة ثم قل أعوذ برب الناس ثم سور قصيرة أخرى. ثم «قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفوًا أحد»

لقد اكتشف قبل زيارته أنه لم يعد يحفظ من القرآن غير الفاتحة وكثيرًا ما ينهيها بسرعة فيقول «بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين اهدنا الصراط المستقيم. آمين» لم يكن صعبًا أن يعيد حفظها بسهولة، كذلك حفظ سورًا أخرى قصيرة، ثم أضاف إليها سورة «يس» وأسماء الله الحسنى جميعها. كل ذلك في يوم واحد. أدرك بعدها أنه لا يزال يتمتع بعقل كبير.

بعد أن قرأ عددًا من السوَر القصار، تقدم وجلس على الأرض متربعًا فوق العتبات الخرسانية أمام باب المقبرة الحديدي الصغير ونظر إلى المقبرة وراح يكلم نفسه..

«هل معقول أن الفتاة التي أعادت الشباب من العام السابق هي أنتِ؟ وكيف تظهرين في أرض بعيدة عن لاوند؟ وكيف تفعلين ذلك وهو عبء كبير عليّ من جديد، أنا الذي لم يكن لي أي علاقة بك وأنتِ تنفذين أوامر المخابرات في بلدك، فلقد كنت هنا ضابطًا لا يعني أحدًا. ولا كان لي دخل بموتك متحرة أو بجريمة ارتكبت في حقك من مخابرات بلدك. لقد ضعفت يا سعاد أنا قاهر الشعب القوي. ضعفت جدًا وبدأت أصدق أنك تعودين للانتقام. ضعفت وبدأت أصدق أن المخابرات هي التي قتلتك لذلك تعودين وتفعلين ذلك. لقد أطلقت كل كلابي في كل مكان ليتعرفوا عليك، وليكتبوا لي تقريرًا حقيقيًا عنك، وهل أنتِ حقًا معيدة الشباب إلى الحياة، أم هي أكذوبة صنعها الشباب المأجور ليذكروا الناس بأمر لا يد لي به. حتى الحاكم لم يكن له يد. أنا أعرف. هو يحبك جدًا. ويحتفظ لك بشرائط «عارية» أهداها له حاكم بلدك يتفرج عليها قبل أن ينام فلا ينام. يتصب يا سعاد فتدخل عليه زوجته فتضيع صورتك من أمامه، وينكتم مَيِّتُه ولا يجد حيلة يقولها لزوجته إلا أن البروستاتا تخذله. لقد أجبرته على استبدالها بأخرى في فيبوتشا لينام معها هي التي أصابها الجنون. كانت تصرخ ولا تتصور أن أحدًا يسمعها في حجرتها، ولم تعرف أنهم هناك ضحكوا عليه، ووضعوا له بروستاتا من ورق يذوب مع أي سائل يمر به، وينزل في النهاية مع البول.

إنه كثيرًا ما يبكي بالليل على البروستاتا الضائعة ويقول كانت حلوة زي الفل. تصوري هو في الثمانين وهي في السبعين ولا يكف عن الاشتهاء بلا هدف، ولا تكف هي عن الرغبة بلا نتيجة! تأتي إليه الفياجرا من الخارج فيوزع علينا منها ويحتفظ لنفسه بالكمية الأكبر ويقول إنه يستعملها وأنا أعرف أنه كاذب. لقد نسيت أسماء الحكام قبله، ويخيل لي أنه الحاكم الوحيد لهذه البلاد منذ أن خلقها الله. يا سعاد رئيس الـ «مُز» له يدان تخرج منهما الثعابين، أما هو، الحاكم، أمير أبو العساكر، فيستطيع أن يعيد الناس إلى أزمنة بعيدة. إنه ينسى حتى الآن أن يعيد نفسه أربعين عامًا إلى الوراء ليقابلك فقد ينام معك. هل تتركيني أرشده إلى ذلك قد يرتاح؟ أعرفه جيدًا. سيقول لي: «تريد أن تتخلص مني. أشوف سعاد وأنام معاها ماشي لكن مَن يضمن لي الرجوع يا روح أمك» ويا ريته حتى يقول يا روح أمك. أكيد أنتِ عارفة بيقول إيه. المهم يا سعاد.. أنا سأصدق أنك أنتِ التي تحيي الموتى، أنتِ تستطيعين ذلك. طول عمري أقول إن ربنا هو اللي خلقك مباشرة زي حوا وآدم. لا يمكن أن يكون لكِ أب وأم مثلنا. وأنا في حاجة إلى بركاتك. أي شكل من أشكال البركة يا أجمل نساء العالمين».

كان العقيد مؤثر في وقفته مندهشًا. لقد قال له الوزير إنه سيقرأ الفاتحة على روح سعاد حسني ويعود، وهكذا بما وزعوه من لحوم الذبيحة وبالفاتحة سيتقي شرها ويكسب ودها. لكنه تأخر كثيرًا

ما عليه إلا أن ينتظر، وليكرمهم الله فلا تظهر ثعالب وكلاب تفسد كل شيء.

كان وزير الأمن والأمان «مَم» منهولًا. بعد أن توقف وجد دموعًا حقيقية تنزل من عينيه، وأحس بيد رقيقة تمسحها عنه. تردد أن يمد يده يمسك باليد التي تمسح دموعه، لكنه فعلها فوجد يدًا أرق من النسيم لأنامل مثل الأثير، لكنه وجد اليد غير متصلة بأي ذراع فألقى بها على الفور منهولًا يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم. بسم الله الرحمن الرحيم؟» لكنه سمع صوتًا هادئًا يقول: «لا تخف. أنا طالعة بنفسي. أسفة يدي خانتني لكن أرجعتها».

وأحس بصوت باب المقبرة الصغير يتحرك وينفتح بهدوء. مع انفتاحه كانت تهل عليه رائحة عفنة. كم جثة في المقبرة. هذه رائحة جثث جديدة. القديمة لم يبقَ منها إلا اعظام جافة، ولن تعود إلى الحياة منها إلا عظام سعاد حسني. ورآها تُقبل عليه واقفة. كيف خرجت من الباب الصغير؟ إذا كانت عادت للحياة يا روح أمك مش حتعرف تخرج من الباب الصغير «قال لنفسه ذلك فاختلط ضحكه الساخر بفرحته وهو يراها في ثوب من الدانتيل يكشف كل جسمها الجميل وتبسم ابتسامتها التي تملأ الكون بالفرح وتملأ السحب بالدهشة فتبيض في السماء في قلب الشتاء وتصنع الربيع. الربيع. الدنيا ربيع والجو بديع فعلًا. ها هي نسمة حلوة تهب عليه رغم روائح المقبرة العفنة.

وقفت أمامه فوقف بسرعة. وجد نفسه يؤدي التحية العسكرية ولا يدرك أن العقيد مؤثر رآه يفعل ذلك فأُسقط في يده وقال في نفسه لقد جُن معالي الوزير.

- ماذا تريدني أن أفعل؟

- أن أكون مثل الحاكم أو أكون مثل مدير الـ «مُزء»؟

- وماذا ستفعل بذلك؟

- سأتخلص منهما.. وأعدك أن أخلي سبيل كل الشباب المسجون وسأكون معهم في الميادين أحميهم من أي عدوان عليهم بما أمتلكه من قوة جديدة، وأبني بلدًا ديموقراطيًا حقيقيًا.

- وإذا لم تفعل ذلك؟

- أعيدني إلى ما كنت عليه..

- طيب. هذا يعني أنك تريدني أن أوقف نشاط قريني.

- قرينك. هل لك قريني؟

- طبعًا. الفتاة الشامية هي قريني. أو الأصح أني قرينتها. آه إنها ابنة الإله الذي وشم ظهرها بمعبده، وخلقني أنا بعد آلاف السنين لأكون مثلها. إذن أنا القرين.

- وماذا بعد؟

- سأرجل ما تريد إلى أن تفعل شيئًا مما تقول.

- سأفرج عن الجميع، ولن أصوب النار لأحد منهم حتى لجماعة النصيحة والهدى.

- ليكن رغم أنهم سيخونون الشباب من جديد ويصفقون معكم ضدهم. سأنتظر حتى تُخَيِّب أملهم في الاتفاق وأفعل لك ما تريد.

- طيب وإذا ما فصلني الحاكم من العمل.

- لن يفصلك. سأظهر له في الحلم واليقظة أشغله عنك وعن الحكم نفسه من جديد.

ورآها تتراجع فخاف أن تختفي وتعود إلى مقبرتها فمد يده بسرعة يمسك بها فوجدها لا تزال أمامه واقفة. هو الذي خشي أن تتراجع فخيل إليه أنها تراجعت بينما ظلت واقفة تبتسم.

كان العقيد مؤثر قد ازداد قلقه ثم بدأ الخوف يظهر على وجهه إذ رأى من بعد شبحًا قاتم السواد يتقدم على مهل. شبحًا عاليًا ارتفع بصره معه إلى أعلى فوجده طويلًا جدًا. مسح عينيه بكفه متصورًا أنها خيالات عقلية لكن الشبح يزداد سوادًا ويسمع الآن صوت دقات قدميه خفيفة تقترب منه فيعلو الصوت. تجمد في مكانه فسمع صوت أنفاس تقترب مع دقات القدمين. هل هذا عزرائيل جاء يذود عن مغانمه. هل يمكن؟ وإذا كان عزرائيل حقيقة ألا يكون قد جاء ليأخذه هو أيضًا؟ حاول أن يتراجع قليلًا ناويًا بعد ذلك أن يطلق ساقيه للريح، لكنه لم يجد القدرة على الحركة، وأكثر من ذلك صارت قدماه ترتعشان ويكاد

يقع، لكنه سمع صوت خرير مياه ضعيف أحس بها تنزل في سرواله. حاول بكل جهد أن لا ينزل شيء من مؤخرته ونجح. لكن الماء لا ينقطع نزوله ساخنًا على فخذه حتى خرج من السروال فوق حذائه ومشى أمامه على الأرض فرآه رغم الظلام. يقترب صوت وقع قدمي الشبح ويزداد البول وهو لا يصدق أن في مثانته كل هذا الكم منه وكأنه لم يتبول منذ عشرات السنين، رغم أنه وهو يقف ينتظر أن ينتهي الوزير فتح سرواله مرة حين ضغط البول عليه وتبول.

اقترب الشبح أكثر فأدرك مَن هو. كينج كونج الذي ظهر في الميدان. صحيح أنه لم يكن في الميدان وقتها ليراه لكنه رأى الأفلام عنه، وسمع بيان الحاكم عنه، وتأكد له الآن أن كلام الحاكم حقيقي وإلا في أي زمن هم. ليسوا في عصور ما قبل الميلاد. حقًّا يخرج كينج كونج من الفيلم ليكون واقعًا. تمامًا كما تخرج الاحتجاجات من الإنترنت. يظل يبول ورعبه يزداد. لا ينتهي بوله ولا يستطيع أن يجري. في لحظة تصور أن خلفه طابورًا من الناس يبولون. هذا هو التفسير المقنع لهذا الكم من البول. اقترب الشبح أكثر ووصلت إليه أنفاسه تكاد تطيره من مكانه. تمنى لو فعل به ذلك، لكنه كان مقيدًا إلى تراب الأرض ولن يتحرك أبدًا. سيلتهمه كينج كونج وسيلتهم وزيره ليفعل آخر ما عنده ويصرخ قد ينبه الوزير، لكن الصرخة لم تخرج تضاءل وازدادت ضربات قلبه واستسلم للموت. كينج كونج صار أمامه لكنه يمر لا يلتفت إليه. في هذه اللحظة فقط استطاع أن يأخذ

ـفـا عميقًا، ويغمض عينيه غير مصدق نجاته، ويرى كينج كونج يتجه إلى حيث الوزير وسعاد حسني. يا ألله يا أرحم الراحمين. سيموت الوزير. سيلتهمه كينج كونج ولا عودة له إلى الحياة أبدًا.

كان الوزير أيضًا قد سمع دقات أقدام تقترب ورأى الشبح الأسود يزداد وضوحًا. قالت سعاد ضاحكة:

- لا تخف. سيدخل معي.

صار الشبح واضحًا للوزير فقال وهو مرعوب يقاوم سقوط البول:

- إنه كينج كونج.

- قلت لك لا تخف.

- إذن أنتِ مَن فعلت ذلك بالشباب حقًا. أنتِ التي ظهرت أعلى العمارات في الميدان وحملك كينج كونج إلى السماء.

- انتهت المقابلة الآن. لا تتحدث كثيرًا. افعل ماقلته لك.

تراجعت وهو متجمد مكانه من الرعب، فدخلت المقبرة من بابها الصغير بظهرها ووجهها إليه تضحك، ودخل كينج كونج خلفها وانغلق الباب بالأحجار. كيف دخل هذا العملاق الأسطوري من باب صغير جدًا. هذه قدرات سعاد حسني. وتهلل وجهه. إذن سيفعل ما قالت له، وستفعل هي ما وعدته به، وإلى الجحيم بالحاكم ومدير الـ «مُز» وكل رجال الدولة.



لـم يكـن الوزير نائمًا يحلـم بما جرى، ولـم يكن يفكـر فيه فيتجلى أمامه. لقد كان ذهابه حقيقيًا إلى مقبرة سعاد حسني. وتأكد له أنه حتى لم يمشِ وهو نائم.

في صباح اليوم التالي دخل عليه العقيد مؤثر يقول:

- الصحافة والتلفزيونات كلها يا معالي الوزير في المقابر عند سعاد حسني.

وقف الوزير في غيظ وصرخ:

- ماذا تعني؟ يزورونها أم عرفوا أني ذهبت إلى هناك؟

- لا هذه ولا تلك يا افندم. «التُرَبية» رأوا في الصباح آثار أقدام كبيرة بين المقابر لا يمكن أن تكون لبشر، أذاعوا الخبر على الوافدين لزيارة موتاهم، وحذروهم من الدخول فقد تكون هناك وحوش ضخمة، ومَن لم يصدق تركوه يدخل ليرى آثار الأقدام بعينيه.

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- كل مَن رأى آثار الأقدام خرج يحكي لأصحابه وأهله أو يبلغهم في الموبايل. وصل الخبر إلى الفضائيات والصحف فأرسلت مندوبيها للتصوير وإجراء حوارات مع التُرَبية.

- خلاص. لا علاقة لنا بالأمر. لقد عَرَفْت ما أريد.

21

عقد المكتب القيادي لجماعة «النصيحة والهدى» اجتماعًا قالوا إنه سيضع النقاط فوق الحروف، وسيخرجون منه ببرنامج عمل لا يتقاعسون فيه. الشيخ شمعدان تصدّر المائدة المستطيلة وقبالته ألف خان وعلى الناحيتين بقية أعضاء المكتب. كان السؤال الأول كيف لم يستطيعوا تحويل شبابهم الذين قبض عليهم إلى قطط ليخرجوا من سجونهم؟ انتظروا إجابة من ألف خان الذي مشى بيده على لحيته الطويلة التي جعلته أشبه ببابا نويل خاصة أن وجهه أحمر مثل وجوه الأوربيين، ثم قال بلغة عربية مكسّرة ما يعني أنه أُمِرَ بوقف ذلك، ولقد فعله، وهو يفعل كل شيء لمرة واحدة، فالله لم يعطه القدرة على تكرار المعجزات. كما أنه وقد أوقف التحول إلى قطط لا يستطيع أن يفعل التحول نفسه.

هنا نظر شعبان محمد الطيب العالمي إلى الشيخ شمعدان، وبدا الغضب كالعادة على وجهه حين يتكلم منفعلًا وقال له:

- هل كان من الصعب أن تعرف ذلك من مولانا ألف خان قبل أن تأمره بوقف التحول إلى قطط؟

سكت الشيخ شمعدان وتبادل باقي أعضاء المكتب النظر إليه. بعد لحظات قال لألف خان:

- لكن هل تفعل كل شيء في جبال راجستان مرة واحدة؟ لو كان الأمر كذلك لمات رجالكم من زمان.

- في بلدي أفعله أكثر من مرة، بل ودائمًا، لا أفقد معجزاتي بل أفعل الشيء وعكسه أيضًا. لأني هناك آكل من كلأها وخضرها وفاكهتها ولحومها. أرضي هي مصدر قدرتي وليس كرامات الأولياء.

بدا الأمر مربكًا للجميع. الفكرة التي راودتهم وأقلقتهم أن حضور ألف خان هنا صار بلا معنى ولا هدف، وهكذا ضاع شبابهم. أردف ألف خان:

- هل تستطيعون إحضار طعامي من بلادي؟ لو فعلتم فعلت ما تريدون.

ارتبكوا أكثر. حتى لو فعلوا فسيحتاج الأمر وقتًا والسلطة الآن صارت أكثر حرصًا على مراقبة الحدود، ولو طلبوا من مدير «مز» أو وزير الأمن والأمان «تم» أن يساعدهم، وأخبروه أنهم سيكونون للنظام ظهيرًا أقوى لا هدف له بعد الآن إلا أن يستمر النظام الحاكم، سيشكك كلاهما فيهم، وسيدركان أنهم في مأزق. ثم أنهم أشاعوا أن ألف خان ترك البلاد.

قال الشيخ شمعدان لألف خان:

- لقد أبعدت يد الحاكم عن مؤخرته. هل يمكن أن تعيدها مرة أخرى إليها فيحتاج لنا ونقول له إن إبعادها يكون مقابل خروج شبابنا. أظن هذا أمرًا سهلًا.

قال ألف خان:

- للأسف لا لنفس الأسباب. قلت هنا أفعل الأمر مرة واحدة ومن الصعب أن أفعل عكسه.

قال ألف خان ذلك فراحوا ينظرون إلى بعضهم في حيرة حتى قال الشيخ شمعدان:

- نحن ننظر إلى بعضنا كثيرًا جدًّا مندهشين محبطين. علينا أن نكون مؤمنين كما كنا دائمًا وكان آباؤنا. إما أن نستمر في التظاهر، أو ننتظر إلى يناير حين يخرج الشباب في ثورة جديدة وننضم إليهم من أول لحظة.

قال أستاذ الحقوق ميسرة عبد الله:

- وهل سيقبلنا الشباب مرة أخرى؟ ادخل على صفحاتهم أو على الفيس بوك وتويتر واقرأ ما يقولونه عنا.

بان الأسف شديدًا على وجه الطبيب العالمي، وراح يكز على أسنانه ويزم شفتيه ثم قال:

- لو ظللنا نخرج في مظاهرات سيأتي شهر يناير وفي السجن منا خمسون ألفًا على الأقل، وهم من خيرة الشباب.

قال الشيخ شمعدان:

- لكن لو حصلت الثورة ستقوم وزارة الأمن والأمان بفتح السجون كما فعلت في المرة السابقة. هل نسيت أننا كنا مسجونين؟

هنا قال ألف خان:

- ويمكن لو سجنوكم وفشلت الثورة لا يخرجونكم. ينسونكم إلى الأبد.

راحوا ينظرون إلى بعضهم في حيرة من جديد فاستطرد:

- فلينزل الميادين في المظاهرات من الآن شباب الصف الثاني الأقل قدرة، وليبقى شباب الصف الأول حتى يناير.

بدأوا في الابتسام واستمر يتحدث:

- المهم أن نوقف قدرة الحاكم على الإلقاء بالناس في زمن بعيد.

هنا ابتسم الشيخ شمعدان وتراجع بظهره سعيدًا وقال:

- هل يمكن أن تفعل هذا مولانا ألف خان؟

- أحاول وحتى الآن لم أشعر بالنجاح.

قال الطبيب العالمي:

- حاول. حتى لو فعلته مرة واحدة سيكون أثره كبيرًا. نحن لا نحتاجه إلا مرة واحدة.

قال ألف خان:

- إذن دعوني أقيم الصلاة وأعتكف أيامًا أخرى لأرى الإمَ أصل.



بينما نزار يفكر في طريقة لا تثير ريبة الزعيم حمدان ورجاله في العودة من الجبل، فكر على نحو مفاجئ كيف حقًّا لم يعرف أحد أن شيماء مخطوفة هنا؟ كيف لم يصل الخبر إلى «مِرسال» وهو قريب إلى العصابة وأهل ثقة لديهم؟ وهل إذا وصل الخبر إلى مرسال سوف ينقله إلى شهيرة؟ لا يمكن. إن ثقتهم فيه من كونه لا ينقل أخبارهم. إذن كيف يمكن نقل الخبر إلى شهيرة، أو إلى أي أحد؟

نفض الفكرة عن رأسه وقال لا حلّ إلا في الهروب. هروبه هو أولًا. وإذا فشل هروب الطبيب وشيماء بعده يكون هو وسط الناس ويستطيع أن ينشر الأمر على صفحات الفيس بوك وتويتر. «الداخلية تتعاون مع قطّاع الطرق وتخطف الناشطة السياسية شيماء».

إذن فليمضوا في خطتهم. لقد صار طبيب الأطفال الشاب حلقة الوصل في الحوار مع شيماء الآن. هو الذي يسمح له المعلم حمدان بالجلوس معها عدة دقائق كل يوم يتابع حالتها التي هي في الحقيقة لم تكن معاناة من أي شيء إلا الخطف والتفكير في أهلها وماذا يعانون الآن. لقد صار الزعيم حمدان يائسًا من الزواج منها، ومثل أي مجرم حقيقي لا بد أن يفتح بابًا مرة للشهامة ومن ثم لم يشأ أن يغتصبها. يريدها بإرادتها ليشعر بالزهو؛ لذلك سكت عنها كل هذا الوقت، ويوم

أن تفعل معه ذلك سيتحايل على مدير الأمن ويزهو عليه. من ناحية أخرى صار نزار يجلس مع الطبيب وقتًا طويلًا وحدهما في الوادي وسط ظلام الليل أو نور النهار.

قال الطبيب:

- أخشى أن تفشل خطتنا فيقتلونني وشيماء.

قال نزار:

- لماذا تفشل؟ ستضع لهم شيماء المخدر في الماء.

- أخشى أن يفيقوا ونحن في الطريق.

- ألا يمكن أن تزيد الجرعة بحيث ينامون يومًا كاملًا؟

- لا يمكن لأن ما لديّ في الزجاجة قليل جدًّا قياسًا على عددهم.

- يعني كم من الوقت يمكن أن يتم تخديرهم؟

- على الأكثر نصف ساعة.

فكر نزار قليلًا في الذين خدروهم في الميدان. مقادير «البنج» التي استخدمت لتخديرهم. كم بقوا مخدرين وكم كانوا سيبقون لو لا معجزة سعاد حسني. ابتسم ثم قال:

- اسمع. يمكن أن تكتب اسم المخدر في روشتة وتطلب منهم أن يشتروه دواءً لشيماء. سيحضرونه من صيدلية في البلد ولا يدرون أنه مخدر.

ابتسم الطبيب وقال:

- وما أدراك إذا كان حظنا سيئًا وقال الصيدلي لمَن سيذهب إليه «ليس عندنا هذا المخدر وابحث عنه في صيدلية أخرى»، سيعود مَن ذهب قائلًا إني أرسلته ليشتري «بنج» وليس دواء.

سكت نزار وهو يشعر بالإخفاق ثم قال:

- هل تستطيع ركوب الجمل؟

- لم أجرب لكن لا أظنه صعبًا. لكن لماذا تسألني؟

- لا يجب أن تهربا مشيًا. هنا جملان الآن بعد أن ذبحوا جملًا من قبل. بعد أن تخدّرهم اركب جملًا وشيماء تركب الآخر. الجمل أيضًا سيعرف طريق الهروب أفضل منكما.

- تقصد أنهم لن يصلوا إلينا بعد أن يفيقوا لأنهم سيكونون بلا جمال؟

- أجل.

- طيب والسيارة؟

- هم خلعوا بطاريتها حتى لا تهرب بها. افعل فيها أي شيء يعطلها لو أعادوا البطارية. انزع البوجيهات مثلًا فلن تدور.

هز الطبيب رأسه وقال:

- فكـرة. لكن لن أفعل ذلك الآن. سـأفعله بعـد أن يتم تخديرهم.
متى سترحل أنت حتى نهرب نحن؟

قال نزار:

- غـدًا سـأطلب من الزعيـم حمـدان أن يتركني أرحل، وسأشـكره على استضافتي. في اليوم التالي لرحيلي تهربون وسأكون في انتظاركم عند شهيرة. عنوانها تعرفه شيماء.

سكت الطبيـب قليلًا وقال:

- لا أسـتطيع أن أصدق أنك ضيـف هنا! هؤلاء الناس لا يسـتضيفون أحـدًا أبدًا. لقد استمعت اليـوم لحديـث الزعيم حمدان مـع أحدهم يقـول فيـه «عندنا صيـد وفيـر. الدكتـور الأول مطلوب مـن البوليـس. يمكن أن نعيده لكن بعد أن يتركنا مدير الأمن نسـرق عربة البنك. دي قصاد دي».

سـكت نزار قليلًا وهو يشـعر بارتباك حقيقي. هل خانته شـهيرة أم أن هذا اكتشـاف الزعيـم حمدان وحده. لا بد أنـه كذلك. قاطع طريق ينفذ لمدير الأمن ما يريد لا بد أن يبيع ويشـتري أيضًـا معه في الحديث، ولا بـد أنـه أخبره عنـه فتعرف مدير الأمـن عليه. لقد غيـر الزعيم رأيه وطمع في أموال البنوك. واستطرد الطيـب:

- لذلك لا أتصور أنهم سيتركونك.

نظر إليه نزار في حيرة فاستمر الطبيب:

- ولو طلبت منهم العودة ورفضوا ستزداد رقابتهم عليك؛ لذلك أفضل شيء هو أن تهرب معنا. لا داعي للف والدوران. هي معركة وسنخوضها مباشرة.

وجد نزار ما يقوله الطيب هو الصواب أو الأقرب إليه، وقال الطيب:

- سنهرب غدًا بعد الغداء. استعد لركوب الجمل معي.



أصبح الناس ليجدوا على جدران العمارات المحيطة بالميدان شعار «الخروج على الحاكم حرام شرعًا. إذن أعيدوا الملك فادي». كان الشعار متكررًا بشكل مثير، وتتالت على وزارة الداخلية المكالمات تؤكد أن الشعار وجد أيضًا على جدران العمارات في كل الميادين الكبرى في البلاد. ارتبك العقيد مؤثر وارتبك اللواء سرّي فايز مدير حماية الدولة الذي كانت المكالمات تأتيه في الوقت نفسه التي تأتي لمؤثر، وضحك الحاكم وهو يتناول إفطاره مع زوجته وقال:

- مش ناقص غير ابن الهبلة دا اللي يرجع للحكم. مَن ابن حرام فكر في هذا؟ لا يوجد غيرهم النصيحة والهدى. حسابي معاهم قريب.

قالت سناء هانم:

- على مهلك سيادة الحاكم. النصيحة والهدى طول عمرهم رافعين هذا الشعار مناصرة منهم للحاكم، وليس من أجل تغيره.

هناك جماعات دينية كثيرة جدًا في البلاد لا بد من وقفة معها. وأرجوك لا تصف الملك بابن الهبلة لأني نفسي أكون مثل أخواته البنات. أميرة أو ملكة.

ابتسم الحاكم وقال:

- ضباط عملوا عليه انقلابًا جاءه الحرس الملكي طلبوا بسمح لهم يهاجموا الضباط، قال لهم سأترك الحكم حتى لا يُقال عني إني تسببت في إراقة دماء شعب اللاوند. يا أختي تك نيلة. ودا شعب دا؟ دا حتى اسمهم لاوندين! ولاد لاوندي يعني. لكن الحمد لله وتم لنا.

سكتت سناء هانم وسكت هو لحظة ثم سألها:

- أنا حتى الآن لا أفهم هذا الشعب ولا أعرف ماذا تعني لاوند. ولا أظن أن حاكمًا قبلي عرف..

وضحك قائلًا: كلهم ولاد لاوندي!

ابتسمت وقالت:

- أنا أعرف. الأستاذ برقوق الخبير الثقافي شرحها لي. قال لي اللاوند محاربون قدماء في أعالي البحار. هذا الشعب منذ آلاف السنين كان يغزو البلاد البعيدة عبر البحار.

ابتسم الحاكم ساخرًا وقال:

- والله ما مضيعك غير برقوق هذا وشلته الذين زرعوا في دماغك أن ابننا يورث الحكم. من ساعتها الجيش رافض ومدكّن والشعب غضبان.

ثم ابتسم إذ تذكر كيف تراوده سعاد حسني كثيرًا في الأحلام. كيف أنه يستيقظ أحيانًا ناظرًا حوله خشية أن يكون أصدر صوتًا ما. إن سعاد حسني تتحدث معه ويرد عليها. هكذا يتصور. لكنها الليلة جاءت تركب قنطروس أفزعه حين رآه حصانًا نصفه الأعلى لرجل وقالت هذا جدك وأنا أحبه من أول الزمان. لقد استيقظ فزعًا بحق وانتبه إلى أنه هذه الليلة بالذات نام على سرير مستقل في غرفة أخرى. كان يتطلع استحلامًا بلا خوف لكن سعاد أفزعته بالقنطروس. لكنه ضحك بعد أن أدرك كل شيء وقال لنفسه لماذا حقًّا خاف من القنطروس. أليس بجده؟ لقد أخبره وزير الأمن والأمان أن لا أحد يحمل لقب قنطروس في لارند كلها غيره، إذن ماذا يحدث لو ذهب إليه ليراه مرة؟ تمنى لو أخذته سعاد إليه وأعادته. بل فكر أن يفعلها ويذهب بنفسه وسيستطيع العودة. ما دامت سعاد بدأت تظهر له في الأحلام فستظهر له في الحقيقة.

كانت سناء تتابع شروده وتندهش لكنه لم يقل لها شيئًا.

على الناحية الأخرى كان وزير الأمن والأمان في دهشة من تطور المعركة مع جماعة النصيحة والهدى. إنهم لا يكفون عن النزول إلى الشوارع والميادين ويقبض على شبابهم رغم أنهم لا يدركون أنه

سيفرج عن جميع الشباب تنفيذًا لوعده لسعاد حسني. لقد صار أمامه الآن العقيد مؤثر واللواء سرّي فايز فقال لهما:

- أولًا أريد مسح كل الشعارات التي على جدران البيوت.

- في كل البلاد يا افندم؟

هكذا تساءل العقيد مؤثر فأجاب الوزير:

- نعم.

- وبعد ذلك؟

تساءل اللواء سرّي فايز فقال الوزير:

- وحتى يحدث ذلك يتم الإفراج عن كل الشباب المقبوض عليهم في المظاهرات والاحتجاجات.

تبادل اللواء والعقيد النظرات في استغراب فقال الوزير:

- عندما تروني وزملاؤكم وقد صارت لي قدرات الحاكم وقدرات مدير «مُز» ستفرحون لأني سأستخدم ذلك لراحتكم.

نظر إليه اللواء سرّي فايز في حيرة شديدة، بينما العقيد مؤثر راح يستعيد ما جرى ليلة ذهابهما إلى المقابر. هل تم حقًّا اتفاق ما بين الوزير وسعاد؟ وإذا بالوزير يضحك بقوة ويقول:

- ألا تلاحظون أن مقاعد الاجتماعات لم تعد تخرج منها خوابير؟

قال اللواء سرّي فايز.

- الحقيقة يا افندم أننا لم نجلس في مكتبك من وقتها. دائمًا نقف.

قال الوزير في ثقة وفخر:

- أنا جربتها اليوم ووجدتها أكثر راحة من ذي قبل. انصراف.

22

كان مظهر نزار وشيماء مثيرًا للارتباك والشفقة حين رأتهما شهيرة ووالدها. لكن صدمتهما كانت كبيرة في أن شيماء كانت مخطوفة لدى قطاع الطرق بتنسيق مع مدير أمن المنطقة. قال والدها لنزار:

- ادخل إلى الحَمّام أولًا احلق ذقنك واستحم ثم ارتدي جلبابًا من عندي حتى نشتري لك بدلة وملابس جديدة.

وقالت شهيرة:

- وأنتِ يا شيماء تدخلين بعده ثم نتحدث فيما يجب أن نفعل.

لم يطل الوقت وكانت شيماء ونزار وشهيرة معًا. تركهم الأب قائلًا لهم وهو ينهض:

- لا تفكروا في شيء مما حدث. لا تقلقوا من قطاع الطرق ما دمتم تركتم الجملين أسفل الجبال سيموردان. هم لن يتحدثوا في الموضوع ولن يبحثوا عنكما ولن يضرونا بشيء. أعني لا تقلقوا علينا. لن يستطيعوا مواجهة العائلة لأننا أرسلنا نزار لحمايته لا لاستغلاله في صفقة مع مدير الأمن.

بعد أن خرج الأب من الغرفة تساءلت شيماء:

- كيف حقًا تعرفون هؤلاء الناس يا شهيرة؟

أجابت شهيرة:

- نحن لا نعرفهم. مِرسال هو الذي يعرفهم.

- لكن مِرسال قريبك كما عرفت من نزار.

- أجل. إنه مفيد في بعض الأحيان. إنه يمنع قطاع الطرق من القرية كلها. لا تسأليني كيف عرفهم. المهم الآن طمئنيني هل اعتدى عليكِ أحد.

قالت شيماء:

- ستندهشين حين أقول لكِ إن الزعيم باختياره لي منع عني أي سوء من رجاله. والأهم أنه صبر عليَّ كثيرًا حتى هربت. أنا مندهشة من قوة احتماله.

قال نزار:

- أحيانًا يلوذ المجرمون بشيء من الإنسانية ولو مرة. يحركهم اللا شعور كأنما يكفِّرون عن أفعالهم.

شملهم الصمت لحظات ثم تساءلت شهيرة:

- ماذا سنفعل؟

قال نزار:

- فيما يخصني لقد كان هذا اختياري، لكن ما حدث مع شيماء لا يجب أن يمر.

قالت شهيرة:

- المهم الآن هل لدى شيماء الرغبة في فضح ما جرى؟ نحن في الجنوب ولن يصدق أحد أنها عادت سليمة لم يغتصبها أحد هناك.

سكت نزار. بل وأطرق إلى الأرض. قالت شيماء:

- لقد فقدت صديقتي الجميلة التي قفزت من البلكونة لتنضم للثوار فماتت، ولا أعرف ما هو حال أهلي الآن، لكن سأواجه الأمر. المهم أن أصل إلى أهلي في الصباح.

- تستطيعين أن تخبريهم الآن أنك هنا. وأنت يا نزار لا بد أن تخبر ماما كريمة فورًا.

كان كل منهما بلا تليفون محمول. أعطتهما شهيرة تليفونها وتحدثت شيماء أولًا، ولا يعرف أحد ماذا قالت أمها على الناحية الأخرى. لقد انفجرت شيماء في البكاء فانتقلت شهيرة جوارها تحيطها بذراعها بينما أطرق نزار متأثرًا. ثم ضحكت شيماء وقالت وهي تبكي:

- أمي تحركت من سريرها. قال لي أبي إنه أصابها شلل بعد اختفائي كل هذا الوقت وكادت تموت، تحركت حين قال لها إني

أعيش. تريد مني أن أسافر إليهم الآن. أجّلتُ الحديث معها عمّا جرى حتى أذهب.

قالت شهيرة:

- الليل دخل هل تعرضين نفسك للخطف من جديد؟

ابتسم نزار وقال:

- شيماء تعودت.

ضحكوا. وتناول التليفون الجوّال وتحدث إلى أمه، وبينما التليفون يدق قال:

- ستبكي أمي. أعرفها.

أخبرها بعودته وأنه سيرحل إلى العاصمة في الغد. وسكت لحظة يسمعها ثم قال:

- لا تبكي ماما لم أكن سأتأخر أكثر من ذلك. سامحيني. الفكرة المجنونة التي سيطرت عليّ هي السبب. أجل هذا تليفون شهيرة. سأسلم لك عليها. عملت لك صفحة على الفيس بوك؟ تمام. اكتبي عليها «نزار ظهر وكلمني».

قررت شيماء أن تبقى إلى الغد. وفي غرفة نوم الضيوف تمدد نزار على سريره ينتظر الصباح ليعود إلى العاصمة. لم يكن من السهل أن ينام. لا يشعر بالتعب فقد نام كثيرًا في مغارة الجبل. كان يفكر مهمومًا أكثر من كل وقت مضى.

فساد كبير في هذا الوطن يجعلنا غرباء فيه. وطن يبدو كأنه لم يكن من الأصل مهيئًا لنا. لقد كنت أرى القمر بالليل وأتخيل أني محب يقول شعرًا لحبيبته في البادية ما دامت قد انقطع منها الأحباء وصارت لقطاع الطرق. من هنا مرّ آلهة بلدنا القديمة ونزلوا إلى المدن ملأوها بالخير فقدّسهم الناس وعبدوهم وبنوا لهم هياكل وتماثيل ومعابد ورسموهم ونحتوهم في قلوبهم وعلى الأحجار والجدران والأعمدة. هذه البلاد التي تسمى «الأونده» منذورة للسرقة منذ دخلها الأجنبي، وحتى بعد ذلك حين خلصت لأولادها راح حكامها يسرقونها. تحدثوا كثيرًا عن ظلم الأجنبي وتفوقوا عليه في الظلم والنهب. وليتهم يعرفون درس التاريخ.

لقد جاء الطبيب الشاب محمود محمد محمود ليسرع من عودته وعودة شيماء. لقد سافر مباشرة إلى العاصمة بعد أن اتفقوا معه أن لا يتحدث في شيء قبل أن يستقروا على ما يفعلون ثم يخبرونه. ماذا كان مقدرًا له أن يحدث لو لم يتم خطف الطبيب الشاب؟ تسليمه إلى رجال الشرطة هو أبسط الأمور لكن العصابة كانت ستحتفظ به كثيرًا تراوغ به وتساوم وتكسب أكثر ثم في النهاية تسلمه جثة.

أحس بالارتباك وشيء من الخوف. كم كان أحمق في مغامرته وماذا يفيد أن تقتنع السلطة بكذبتها من أن هذا عام جديد حقًا أو لا تقتنع. عليهم في كل الأحوال التمهيد لثورة أخرى وإن كان هذا العام 2010 كما قررت السلطة العبيطة أو 2011 كما هي الحقيقة.

المهم الثورة وليس الزمن. الزمن لا يمر بين الجبال. لكنها تجربة جديدة يا نزار قد تكتبها يومًا. ما الذي يمنع؟

وسمع طرقات خفيفة على باب غرفته. لقد انتصف الليل بل واقترب الفجر. لا بد أنه أبو شهيرة. فتح الباب ليجد شهيرة أمامه في ملابس نوم محتشمة. روب يخفي كل جسدها وذراعيها فوق ما ترتديه. لكنه ارتبك وشهيرة تتحدث بصوت خفيض:

- تعالَ.

ازداد ارتباكه.

- آجي فين؟

قالت هامسة من جديد وهي تمد يدها تمسك بيده وتشده:

- تعالَ ما تخافش ما تخليش صوتي يعلى. بابا يصحى وماما.

مشي معها غير قادر أن يصدق. خطوات ودخلت به شهيرة غرفة نومها فوجد شيماء تجلس في ملابس نوم أيضًا أعارتها لها شهيرة وفوقها روب يغطي جسدها تمامًا وتمسك في يدها التابلت الصغير الذي يخص شهيرة وتقدمه إليه. أمسك به وهو واقف وجده مفتوحًا على الفيس بوك وعلى صفحة الدكتور محمود محمد محمود الذي كتب:

• ليس لي علاقة بالسياسة من قريب أو من بعيد لكني مررت بتجربة لا يمكن تصديقها. خطفني قطاع الطرق في الجنوب وأنا عائد

إلى المدينة من المستشفى البعيد بسيارتي. كانوا كما عرفت فيما بعد ينتظرون عربة أموال البريد التي قالوا إنها تشبه سيارتي لذلك أخطأوا وخطفوني أنا. إلى هنا والأمر ليس له علاقة بالسياسة، لكني بعد أن وصلت مغمّي العينين إلى أعلى الجبل وجدت فتاة مخطوفة اسمها شيماء سعيد ووجدت شابًا من الناشطين السياسيين المعروفين اسمه نزار حسين. نزار لم يكن مخطوفًا كما قال لي. لكنه أراد أن يبتعد عن السياسة فجاء إلى الجنوب ليعيش بعض الوقت مع قطاع الطرق ليرى عالمًا غريبًا. لن أقول الحقيقة هنا ولا من أوصله لأن ذلك قد يترتب عليه مشاكل كثيرة، لكني عرفت أنهم - قطاع الطرق - استغلوا وجود نزار وساوموا به - ما دام شخصًا مطلوبًا للبوليس - مدير الأمن أن يسلموه له نظير أن يتركهم يسرقون سيارة أموال البنوك التي تتحرك كل أسبوع إلى العاصمة. سمعتهم صدفة يقولون ذلك ولم يتصوروا أني سمعتهم نزار اقنعني أن أهرب وشيماء بعد أن يستأذنهم في العودة والحق به عند صديقة لهما لن أقول اسمها أيضًا. أخبرته بما سمعت. كان معي زجاجة مخدّر صغيرة استخدمتها شيماء التي يرغمونها أن تعد لهم الطعام، وضعتها في المياه التي يشربون منها مع الغداء. كان البنج قليلًا ولن يخدرهم أكثر من نصف ساعة. أخذنا الجملين اللذين عندهم. ركبت أنا ونزار جملًا وشيماء جملًا وهربنا تاركين الجملين أسفل الجبل. الآن أعتبر نفسي واحدًا من شباب السياسة. هذا بلد يحكمه لصوص ولن أتخلى عن إسقاطهم. سترونني في كل عمل سياسي بعد اليوم»

كان نـزار يقرأ منهولًا حتى إنه لـم يجلـس إلا بعد أن انتهى. جلـس علـى المقعد ينظر إليهما في دهشـة كبيـرة. وكان على الصفحة صورة لشيماء لا يعرف كيف حصل عليها محمود. قالت شيماء:

- قدّر الله وما شاء فعل. لا تخافوا على أهلي. ولا عليَّ من أهلي.

قالت شهيرة:

- إذن لا بد من الحشد حول الموضـوع في كل الصفحات.

نظر نزار إلى التابلت وقال:

- ألف وخمســمئة شير حتى الآن. سأنتقل إلى تويتر حتى أرى هل وصلهم ما كتب.

وانتقل إلى تويتر فقال في دهشـة كبيرة جدًّا وفرح:

- هاشتاج شارك فيه حتى الآن خمســون ألفًا في سـاعة واحدة.

- هات أشوف.

أعطى التابلت لشهيرة التي قربته من شـيماء وراحتا تقرآن:

#حاكمنا_قاطع_طريق. بســم النبي حارسـه طلـع مـن أيـام المماليك.

#حاكمنا_قاطع_طريق. وأنـا أقـول ليه حلمـت بيـه أكثر من مرة مستخبي في المغارة.

#حاكمنا_قاطع_طريق. منه لله شايف الطرق حلوة أوي في البلد!

#حاكمنا_ قاطع_طريق. أتاري النور بيتقطع في الشوارع كل يوم بالليل.

#حاكمنا_قاطع_طريق. على فكرة مش مدير الأمن اللي اتفق مع العصابة يخطفوا شيماء. دا بلامته الحاكم بيغير شكله.

#حاكمنا_قاطع_طريق. امتى حيبقى شجاع ويعمل اجتماعات الحكومة في بطن الجبل.

#حاكمنا_قاطع_طريق. مش كفاية صاحبتها الحلوة ماتت؟ كمان تخطفوها يا معفنين.

#حاكمنا_قاطع_طريق. يا شيماء كلنا بنحبك ومش حنسيب حقك وحناخد تارك.

#حاكمنا_قاطع_طريق. حاكمنا ازاي وهو مش عارف يفرق بين عربية الدكتور وعربية البريد؟

#حاكمنا_قاطع_طريق. كنت عايز تسرق فلوس البوستة؟ مش كفاية عليكم فلوس البنوك.

#حاكمنا_قاطع_طريق. شيماء جميلة أوي يا جدعان والريس عنده حق.

هنا قالت شهيرة:

- ياللا ياستي انبسطي بأه.

ابتسمت شيماء وابتسم نزار وظلوا يتابعون القراءة:

#حاكمنا_قاطع_طريق. شفت يا مولانا أنت وعصابتك. حدفتنا سنة ورا سعاد حسني رجعتنا. خطفت حبيبتنا شيماء جالها دكتور انقذها.

#حاكمنا_قاطع_طريق. أنتم لسة عارفين. دا أنا كل يوم أشوفه واقف على الطريق الدائري مع عصابته بالسيوف والآلي يخطفوا العربيات.

#حاكمنا_قاطع_طريق. عرفتم يا اللي انسرقت عربياتكم يومين الثورة فين هي دلوقت. ياللا اطلعوا على قصر الحكم هاتوها.

#حاكمنا_قاطع_طريق. ألف سلام وتحية للدكتور محمود محمد محمود. حتى اسمه يا جدعان يثير الحنين.

#حاكمنا_قاطع_طريق. كلها كام أسبوع ويناير جاي. تخليها 2011 نخليها 2012 ترجعها 2009 هي آخرتك وعصابتك.

#حاكمنا_قاطع_طريق. سيكوا شوية من الكلام ده. حد عارف مين ورا اليفط اللي ظهرت في الميادين بتطالب بعودة الملك فادي؟

#حاكمنا_قاطع_طريق. بتوع النصيحة والهدى بيرجعوا في كلامهم في الخروج على الحاكم. نسيوا إنهم كانوا مع الانقلاب القديم.

#حاكمنا_قاطع_طريق. دي جماعة جديدة من الشباب اسمها «ارجع يا فادي» كل أعضائها يغيروا أساميهم بحيث تبدأ بحرف الفاء.

#حاكمنا_قاطع_طريق. أيوة سمعت بيها والنهارده قابلت خمسة منهم اسمهم فاروق وبتين اسمهم فادية وفايزة.

#حاكمنا_قاطع_طريق. يبقى الدولة الهبلة حتقبض على كل اللي اسمه يبدأ بحرف الفاء.

#حاكمنا_قاطع_طريق. ومين عارف يمكن يقبضوا على كل البنات اللي شبه سعاد حسني.

23

- أنت لازم تشوف لك حل في رجالتك دول؟

هكذا دخلت الهانم زوجة الحاكم عليه مكتبه منفعلة غاضبة. نظر إليها في دهشة وغيظ. هو لا يحب أن تأتي مكتبه دون موعد رغم أنهما يعيشان في القصر الحاكم نفسه. كان لديه بالفعل لقاء مع السر عسكر ناظر الحربية ووزير الأمن والأمان «مم». نظر في ساعته فوجد هناك عشر دقائق باقية على بدء اللقاء.

- زعلان إني جئت من غير ميعاد؟

سألت وهي لا تزال واقفة فقال:

- اقعدي يا سناء. قدامي عشر دقايق على الاجتماع. ليتك لا تفعلينها مرة ثانية. فيه إيه؟

- فيه كتير!

قالت ذلك بغيظ فقال:

- إلى هذه الدرجة! هل خنتك مثلًا؟ تعرفين أن البروستاتا ضاعت خلاص وهذه كانت شورتك السودة.

- فيم تتكلم؟ ما لي أنا وهذا الكلام. أنا بافكر أكتب عليه المحل مغلق إلى الأبد.

نظر إليها في رعب وقال:

- يخرب بيت أهلك حد يسمعنا. الحجرة فيها أجهزة تنصت وأنا عارف.

- فليسمعوا ما يريدون. هم أيضًا حياة نسوانهم كلها معي على سيديهات.

- طيب قولي ماذا تريدين؟

- أنت لا تدري بما يفعله وزيرك للأمن والأمان.

- ماذا يفعل؟

- يروح كل ليلة عند مقبرة سعاد حسني يتكلم معاها.

نظر إليها في دهشة وابتسامة. ما معنى ما تقول، هل أصابها العته؟ قالت:

- لا تنظر إليّ هكذا. أنا لست مجنونة. أنا لي في الحُكم عيون لا تعرفها. اسألني لماذا يذهب؟

- لماذا؟

- لأنه مصدق أن مَن أنقذ الشباب هي سعاد حسني وأنها صديقة لكينج كونج فيذهب كل ليلة يترجاها أن تعطيه كرامات أقوى مما عندك.

- وهل أنا عندي كرامات؟ أنا حتى لا أصلّي!

- يريد أن تكون عنده القدرة ليرمي الناس وراءه وسيدأ بنا.

- يا هانم هل تصدقين ما يقال؟ لا هناك سعاد حسني ولا كينج كونج. كلها أوهام مجانين. أنا يوم ما ألقيت البيان الخاص بكينج كونج كنت أريد الناس تظل منصورة أنه موجود حقيقي. يعني أريد الشعب يفضل مجنون. فيه أحسن من كده؟ أحكم مجانين براحتي!

وراح يهز كتفيه راقصًا وهو جالس. ثم قال:

- أنا مَن أعاد الشباب وطلعت إشاعة سعاد حسني حتى يصيبهم الجنون. سعاد حسني تأتيني في الأحلام تقول لي ما أقوله أو أفعله.

زمّت شفتيها وقالت:

- لن أصدقك. عليك أنت أن تصدقني. أنت لا تتابع صفحات الإنترنت. الشباب الآن يعتبرونك زعيم عصابة وقاطع طريق.

قال بلا مبالاة:

- وما الجديد؟

كادت تصرخ وقالت:

- ستجنني. أرجوك اسمع كلامي. ارمِ وزير الأمن والأمان ألف سنة ورا قبل أن نخسر كل شيء.

سكت قليلًا وقال:

- كنت سأفعل ذلك دون أن تقولي أو تفقدي صوابك.

ثم ضحك وهمس:

- هل صحيح بتفكري تكتبي على صاحبنا مغلق إلى الأبد.

- ماذا سأفعل؟ هل أضحك على نفسي؟

- بهذه البساطة؟

سكتت ولم ترد، فقال:

- يعني أنتِ من بين الشعب كله!

- لو أقدر أعملها في نسوان البلد كلها كنت عملتها.

قام مبتعدًا عن مكتبه يضحك وقال:

- لكن النسوان لا يمكن تفكر مثلك ولا تكون رغبتها مثلك أبدًا.
عندهن دائمًا أمل.

وعاد إلى مكتبه بينما شردت هي لحظات ثم قالت:

- نفسي على الأقل أفعلها في نسوان وزير الأمن والأمان ومَن
وقياداتك كلها.

- لا. ابعدي عن قياداتي. اتركيني أنا أختار الوقت. افعليها في
نسوان النصيحة والهدى. خلينا نضحك.

- كيف؟

- فكري فيها بعمق وستحدث. هذه أول الكرامات. هل تتصورين ان احدًا ساعدني أرمي الأولاد في السنة الماضية؟ أبدًا. أنا تمنيتها وأحسست بربنا يقول لي اعملها وستحدث كما فعلت في الصحفي من قبل وفي السر عسكر. وباعتبار أن سرّي باتع، وأنتِ تعيشين معي خمسين سنة الآن، أكيد روحك شربت من روحي، المهم ابدئي على صغير. يعني نسوان قيادات النصيحة والهدى كفاية الآن، لكن من غير قسوة لأننا نحتاج إليهم.

- لماذا ليسوا جميعًا؟

- لأن الشر على كبير حرام.

- نعم يا أخويا!

ابتسم وقال:

- ثم أنتِ عارفة أن الأعضاء الصغيرين لا ذنب لهم يمشون في الطابور وراء الكبير.

سكتت تنظر إليه مندهشة منه الذي لا يدرك المؤامرات حوله لكنه قال:

- أقول لك. تمني أي شيء يحدث في الغرفة الآن. نجرّب.

نظرت إليه مندهشة تبتسم فإذا به ينتفض من مكانه يلم ملابسه من فوق الأرض وهي تضحك بقوة وهو يقول: «عملتي إيه الله يخرب بيتك إحنا عندنا اجتماع».

راحت تساعده في ارتداء ملابسه وتقول:

- لم أكن أعرف أن كلامك صحيح. أردت أهزر معاك طلع جد.

انتهى من ارتداء ملابسه وقال في غضب:

- اخرجي. لا أريد أن أراكِ اليوم.

خرجت مسرعة تضحك وهو جالس مبتسم ويضحك أيضًا وهو يقول لنفسه: «أنا اللي فكرت أنها ممكن تتمنى كده فحصل، زمانها فاكرة نفسها السيدة نفيسة. يا رب نسوان قيادات النصيحة والهدى يحصل لهم اللي فكرت فيه كمان. قادر يا كريم. كل واحد عنده أربعة ومتني كمان الحور العين!»

لكنه فجأة فكر أن كذبه عليها بأن سعاد حسني تزوره في الأحلام تمليه ما يفكر فيه حقيقة. لثلاث ليالٍ الآن يراها قادمة فوق كائن غريب نصفه الأسفل حصان ونصفه الأعلى بشر وتضحك وتقول له هذا جدك القنطورس أعيش معه بين الجبال والغابات فهل تود أن تراه. ليتك تفعل هذا. وينهض من النوم مبتسمًا ويقرر أن يحكي لزوجته لكنه يتراجع فستقول عنه إنه مجنون، ويكتفي بالدهشة والابتسام.



فكر الشيخ شمعدان كيف حقًا يلتقي بأعضاء المكتب القيادي اليوم بعد ما رأى. لقد جلست زوجته الأكبر سنًا أمامه بعد أن أخبرته بما جرى، وكانت تضحك وتضرب كفًا بكف:

- ماذا تقولين يا امرأة؟

سألها متصورًا أنها تداعبه. لكن هذا النوع من الدعابة لا نعرفه. قالت:

- لست وحدي. نحن الأربعة.

وضح اللهول على وجهه. قالت:

- وكالعادة أنا مَن تتكلم بالنيابة عن الجميع. اقنعتهن أن لا ينتظرن مرورك عليهن خاصة أنك تتأخر كثيرًا هذه الأيام.

نهض من مكانه يضرب هو أيضًا كفًّا بكف. لا يمكن أن يكذبن جميعًا.

ما حدث معها هذا الصباح حدث مع الأخريات. فكرت في الاستحمام. فتحت الدولاب لتأخذ ملابسها الداخلية. ما إن فتحته حتى خرج منه جراد كبير الحجم مختلف الألوان يرف بأجنحته دائرًا في الغرفة ويحمل في فمه سراويلها الداخلية الرقيقة الصغيرة ولا يبدو أنه سيتوقف أو يتركها فيما تراجعت هي للحائط في ذهول ورعب تكاد تنهار على الأرض. ما الذي يحدث هنا؟ لكنها جرت إلى النافذة تفتحها فخرج الجراد حاملًا «الكيلوتات» الصغيرة، بينما انهارت هي في هدوء تكاد تفقد الوعي على السرير.

عادت إلى الدولاب تقلّب باحثة عن سراويل باقية فلم تجد منها شيئًا. شردت لحظات في صدمة ثم فكرت كيف تعلن ذلك لزوجها؟

قررت أن تخفي الأمر خاصة أنه لن يقترب منها إلا بعد ثلاثة أسابيع، فلكل واحدة من الباقين يوم، ولا يمر على الأخرى الآن إلا بعد أسبوع، هو الذي يتباهى أن الأجداد كان الواحد منهم يطوف على نسائه بغُسل واحد. لكنها حين التقت بقية النساء وجدتهن في حالة من الصمت. كل منهن تبدو مهمومة بأمر لا تعلنه.

- ما لكن أيتها الحريم؟

تبادلن النظر في حيرة وسألتها واحدة منهن:

- هل دخلتِ الحمّام اليوم؟

ارتبكت لحظة وقالت:

- أدخله كل صباح قبل أن ألقاكن.

تبادلن النظر في حيرة من جديد. لم تتكلم أي منهن. سألتهن:

- ماذا يحدث في الحمام؟

وقفت أصغرهن سنًا وقالت ضاحكة:

- لم يحدث أي شيء. المياه الساخنة موجودة والمياه الباردة موجودة وكل أنواع الشامبوهات المستوردة. كل شيء كما هو إلا شيئًا واحدًا.

وأشارت بين فخذيها فابتسمت الأخريات وأدركت هي أن شيئًا حدث لهن مثلما حدث لها لكنها تساءلت:

- ما له؟

قالت الأصغر سنًا وهي مستمرة في الضحك:

- كيف دخل الجراد إلى دوالينا دون أن ندري. كيف يحمل الجراد سراويلنا؟

ثم خاطبتها:

- ألم يحمل الجراد سراويلك؟

هنا ضحكن جميعًا إلا هي. كان عليها أن تعترف أولًا أنه جرى لها ما جرى لهن. اعترفت وتناقشن ووصلن إلى أنه لا يمكن أن يكون السبب الشيخ شمعدان. إنه لا يفعل شيئًا فيهن سرًا كما أنه لا يخطر بباله أن يفعل شيئًا من هذا. قالت واحدة منهن:

- لو الكلام حلو كنا قلنا معجزة من عند ربنا، لكن أكيد مَن فعله يريد أن يغيظنا. ثم إن الجراد حمل كل السراويل. كل الغيارات يعني. مَن يفعل هذا غير شخص مقيم معنا؟

انتهين بعد النقاش إلى أهمية أن يخبرن الشيخ شمعدان بما جرى، حتى إذا كان هناك مَن يستطيع التسلل إلى حجراتهن يسعى هو لمعرفته. كما أن اليوم موعد لقائه بالأصغر منهن وسيعرف، وهي لا بد ستخبره بما حدث لهن جميعًا؛ لأنه يمكن أن يتخيل أنها قالت ذلك كي تغيظه على نظامه غير المشبع لهن. أو على الأقل تسخر منه هو الذي يحبهن ويعاملهن بالمعروف، حتى إنه يغيرهن كل عام بعد

أن يعطي كل واحدة منهن أكثر مما تطلب من مال وسكن! هذا رجل صالح لا يجب أن يكسر بخاطره أبدًا!

كان الشيخ شمعدان يستمع إليها في ذهول وكان يغيظه أنها تضحك وهي تتكلم. قالت في النهاية:

- يمكنك أن تدخل معي إلى حجرة النوم وترى بنفسك.

كان شاردًا يفكر هل هذه حرب جديدة يشنها عليهم حاكم البلاد ورجاله؟ وإذا كانت كذلك فكيف سيواجهها؟ هل يمكن أن يخبر مولانا ألف خان بشيء كهذا. هل يمكن أن يتناقش مع أعضاء المكتب القيادي في شيء كهذا؟ وهل يمكن أن تكون هذه رؤى من صُنع خيال النساء اللاتي أردن أن يبدين أسفهن لتأخره عليهن فيغير نظام المعاشرة. لكنه سيرى. سيرى ويتأكد بعينيه.

أخذ زوجته إلى حجرة النوم وفتحت الدولاب وراحت تقلب ما فيه وتقول:

- كما ترى. لا توجد سراويل.

صرخ:

- مستحيل. لقد دخلنا في منطقة السحر.

أحس بالضيق يحاصره. لكنه في النهاية قرر أن يهمل الأمر ليعرف الحقيقة. على يقين هو أنها حيلة منهن.

دخل اجتماع مكتب القيادة نافضًا عن ذهنه ما رأى وما سمع. ما إن ألقى السلام حتى ردوا عليه في فتور. ماذا جرى لهم أيضًا؟ لا بد أنهم في ضيق من المظاهرات التي لا تعود عليهم بأي فائدة. ما إن جلس حتى قال:

- أعرف أنكم تريدون وقف المظاهرات خاصة أنه يتم الإفراج عن المقبوض عليهم في اليوم نفسه مما أثار تعاطف بعض الشباب مع النظام الذي لا يؤذيهم. إنهم لا يدركون حيل هذا النظام بعد.

قال الطبيب العالمي:

- هناك شيء جديد لا بد أن نتحدث فيه بصراحة.

- خيرًا يا دكتور. تكلم.

- هل سألت زوجاتك عمّا جرى لهن اليوم؟

ارتبك الشيخ شمعدان. بماذا يجيب؟ هل أخبرته نساؤه؟ هل حدث لزوجاتهم ما حدث لزوجاته؟ فلينتظر. قال:

- لا أفهم ماذا تقصد. كنت قادمًا من المسجد. تناولت إفطاري وودعتهن لأحضر الاجتماع.

قال عماد لبيب تاجر الأجهزة للطبيب العالمي:

- أرجوك يا دكتور. هذا الموضوع ليس مكانه هنا، ولقد اتفقنا أن لا نتحدث فيه.

قال الطبيب العالمي في غيظ:

- نحن لا نتكلم في شيء حرام. وما دام الأمر حدث لزوجاتنا فلا بد حدث لزوجات ناصحنا وهادينا وأخشى أن يكون حدث لكل نساء التنظيم.

هنا أطرق الشيخ شمعدان لحظات يهز رأسه وقال في أسف:

- لو حدث ذلك لكل نساء التنظيم ستكون كارثة، وسيفكر الكثيرون أننا نحارب قوى ميتافيزيقية لا قبل لهم بها، وسيخرجون من التنظيم هذه المرة زرافات.

قال الطبيب العالمي:

- لقد وصلوا إلى لانجيري زوجاتنا ولا فائدة في ألف خان هذا. دا مش محصل حتى ألف باء!!

حط عليهم الصمت لحظات طويلة حتى قال الشيخ شمعدان:

- ما دمتم تصارحتم بما جرى فنحن في حاجة لمَن يستطيع منكم أن يعرف هل طال الأمر بقية نساء التنظيم أم لا.

قال المهندس زكي فاضل ساخرًا:

- وكيف نعرف؟

كادوا يضحكون. أحسوا حقًا بالرغبة في الضحك. لكنهم لم يضحكوا. مطوا شفاههم في حيرة كبيرة. قال الطبيب العالمي:

- انسوا ذلك. أنا فعلًا أخطأت بالحديث فيه. سواء حدث أم لم يحدث لبقية النساء لا يجب أن نتحدث فيه. ثم إنه لو حدث لن يتكلم أحد، لا النساء ولا الرجال. سيشعرون بالحرج الشديد. المهم أنني عند رأيي أن ألف خان لا قيمة له لأنه كان يجب أن يتنبأ بهذا ويمنعه.

قال أستاذ الحقوق ميسرة عبد الله مبتسمًا:

- أنا على يقين أن ما جرى من فعل الحاكم أبو العساكر. إنه يهزأ بنا. أخشى أن يفعلها في الشعب كله ويطلب منا أن نبرر فعلته كما بررنا كل أفعاله السيئة. من اليوم أنا ضد أي تعاون معه. ولقد نمت مع زوجتي عندًا فيه ثلاث مرات قبل حضوري ولم تغير ثيابها.

لم يستطيعوا أن يمنعوا أنفسهم عن الضحك. قال الشيخ شمعدان:

- قدَّر الله وما شاء فعل. سأصدر أوامري بتوقف المظاهرات. لقد هاتفني وزير الأمن والأمان «تم» قائلًا إنهم في حاجة إلى الراحة، وإن علينا أن نأخذ العبرة من إفراجهم كل يوم عن أولادنا. إنهم يستعدون للعام الجديد ويريدون أن يتفرغوا لشباب العام الماضي.

قال الطبيب العالمي يائسًا:

- إذن ستعاون من جديد مع أبو العساكر.

قال الشيخ شمعدان:

– لو فعلها مرة ثانية سنقود نحن الثورة. نساؤنا قدس لنا ولن نسمح لأحد أن يهينه.

قال أستاذ الحقوق ميسرة عبد الله في يأس:

– هذا التعاون الذي لا فائدة فيه والذي يضيع كل مجهوداتنا ويجعلنا خونة في نظر الآخرين لا بد أن ينتهي، لكننا سنطيعك مثل كل مرة، رغم أن الكوارث دخلت أكثر الأماكن أمانًا في بيوتنا. هذه آخر مرة نطيعك يا سيدنا.

قال الشيخ شمعدان:

– أنا أعرف ما أفعل. أبو العساكر إلى زوال قريب. دعونا نبتعد عن الثورة الآن ووقتها يفعل الله أمرًا كان مكتوبًا.

24

التقى الدكتور مصطفى وأحمد خشبة ونورهان في منزل نزار. لم يكن نزار معهم. لقد أُلقي القبض عليه وهو في طريقه إلى البيت أثناء عودته من عند شهيرة. اجتمعوا مرة من قبل في عيادة الدكتور مصطفى، لكن هذه المرة ألحت ماما كريمة أن يكونوا معها في بيتها. قالت لهم أريد أن يقبضوا عليّ أنا أيضًا. كانوا هم يفكرون أنه لن يتم القبض عليهم مرة أخرى ما دامت أحداث العام الماضي عادت كما هي إلى حد كبير. وإذا تم القبض عليهم فلن يؤثر ذلك في مسيرة الغضب. ستكون الأسابيع القادمة حتى 25 يناير أسابيع غضب عارم. لم يكن سبب الاجتماع هو القبض على نزار الذي قطع رحلة لا معنى لها وتم القبض عليه في النهاية. كان السبب ظهور كتائب الهجوم الإلكتروني على الثورة والشباب والغاضبين والنشطاء. كتائب حملت صفحاتهم عنوانًا واحدًا. #آسفين_يا_سلطانا_كلامك_حق.

«آسفين_يا سلطانا_كلامك_حق. السنة دي 2010 لكن غير 2010 اللي فاتت فعلًا. ربنا يحميك»

«آسفين_يا سلطانا_كلامك_حق. العيال بتوع حقوق الإنسان اتكشفوا وحساباتهم في البنوك اتراقبت وعرفنا مصادرهم»

«آسفين_يا سلطانا_كلامك_حق. بقى معقول حد يصدق أن سعاد حسني تحارب الراجل اللي مراته أم الستات كلها»

«آسفين_يا سلطانا_كلامك_حق. اكنس اللي يقابلك خلي البلد تنضف»

«آسفين_يا سلطانا_كلامك_حق. يا ريت تحدف كل المأجورين دول إلى بلاد واق الواق ونخلص»

«آسفين_يا سلطانا_كلامك_حق. بتوع النصيحة والهدى زعلانين منك علشان بتفرج عن عيالهم. نفسهم يبينوا أد إيه أنت عدو.

«آسفين_يا سلطانا_كلامك_حق. والنبي يا حبينا كفاية على بتوع النصيحة والهدى كده. دول أخطر من العيال اللي مَرَعتها فلوس الدول الخارجية»

وغير ذلك كثير جدًا. بل استطاعت هذه الكتائب المفاجئة أن تخترق كثيرًا من حسابات الشباب والمدونين وأعلنت بعد كل عملية مسؤوليتها وبث ضحكاتها في فيديوهات ملأت الإنترنت.

كان الاجتماع لمناقشة هذه الظاهرة الجديدة. طال الكلام والحماس في تفسير ما جرى. لقد لجأ النظام إلى الحرب الإلكترونية

هو الذي كان يعتبر ذلك لعب عيال. هذا تطور كبير في الصراع معه. لدى النظام الحاكم قدرات مالية على تشغيل المتخصصين في ذلك من الشباب، بل ومن خارج البلاد إذا أراد.

جلسوا يتحدثون عن بعض الأسماء التي عرفوها والتي فضّلت المال على الثورة. كانوا في دهشة وأسف لكن ماما كريمة قالت:

- هذا عادي جدًا يحدث مع كل الحركات الثورية، بل وللثورات بعد أن تنجح أيضًا. الثورة الناجحة لا يجب أن تكتفي بخلع رأس النظام. إنه أشبه بغطاء البلاعة إذا رفع دون تنظيف البلاعة يظهر ما تحتها من قرف على السطح ويكون تنظيفه هو المسألة الأصعب. لذلك من الآن يجب أن تعرفوا أنه لا يكفي ثورة تخلع الحاكم فقط.

قالت نورهان:

- للأسف تحولوا بسرعة شديدة.

قال الدكتور مصطفى:

- المهم أننا لم نتحول، وما زال الكثيرون مثلنا مستعدين للتضحية.

قال أحمد خشبة:

- بأقول لكم إيه. خلينا إحنا نشتغل سيكم من ولاد...

قال كلمة قبيحة فرأى ماما كريمة تنظر إليه بدهشة وقد احمرّ وجهها خجلًا، أحس هو أيضًا بالخجل والارتباك لكنه ابتسم وقال:

- لا مؤاخذة يا ماما. ما ينفعش فيهم غير كده.

كان وجهها يزداد احمرارًا. لم ترد على أحمد. وقفت وقالت متصنعة الابتسام:

- أعمل لكم شاي وفكروا حتى أعود.

خرجت إلى المطبخ فقالت نورهان هامسة لأحمد:

- أنت غبي.

كان لا يزال مبتسمًا فقال مصطفى:

- أنت مجنون والله. على أي حال ماما كريمة قلبها كبير. خلونا في المهم. ماذا سنفعل الآن؟

طال النقاش تلك الليلة وكلما كادوا يتوهون طرحت عليهم ماما كريمة فكرة جديدة تمسكوا بها. كيف يقاومون هذا النظام بما لا يتوقعه. المظاهرات عرفها والاحتجاجات حفظها ووثائق الإدانة والتوقيعات عليها ملأت أدراجه وهم ليسوا بأهل عنف. سلمية سلمية هي شعارهم مع قوم لا يعرفون إلا صوت القنابل والرصاص وأمطرت الدنيا في الخارج مطرًا عنيفًا فجأة. قال أحمد خشبة:

- الشتاء وصل. تفاءلوا بالخير. هذه المرة سنكنس هذا النظام.

ضحكوا. قالت ماما كريمة:

- ما دام المطر شديدًا فيمكن أن تبيتوا هنا خاصة أننا لم ننته من النقاش.

قال مصطفى:

- لا بد من طرق جديدة. كنا نفكر في ذلك.

قال أحمد خشبة:

- بالمناسبة أين ذهبت سعاد حسني؟ هل تخلت عنا؟

نظروا إلى بعضهم في دهشة. قالت ماما كريمة:

- هل ما زلتم تصدقون؟

لكن نقرات سريعة على النافذة من الخارج لفتت انتباههم. تبادلوا النظر بينما ماما كريمة تبتسم. النقرات لا تنقطع. قالت:

- العصفور يا عيني يبحث عن الدفء. سأفتح له بسرعة.

وقفت ماما كريمة لفتح النافذة بينما ينظرون إلى بعضهم متوقعين شيئًا آخر. ما إن فتحتها حتى اندفع عصفور صغير إلى الغرفة بقوة كادت تجعله يصطدم بالجدار المقابل، لكنه استدار طائرًا إلى النافذة من جديد خارجًا في سرعة فائقة تاركًا ورقة كانت بين منقاريه. وقفت ماما كريمة في ذهول بينما تناول أحمد خشبة الورقة الصغيرة جدًا وراح يفكها فلا تنتهي طياتها إلا بعد أن صارت في حجم الكف. راح ينظر إليها ذاهلًا ثم هتف:

- هديل تقول لكم ناموا قريري العين.



انتشرت في شوارع البلاد ظاهرة اختفاء عدد من البنات. في خلال ثلاثة أيام كانت عشرون فتاة قد اختفت من شمال البلاد وجنوبها. داع خبر اختفاء فتاتين فلم يتوقف عنده أحد في اليوم الأول. في البوم الثاني كان العدد قد وصل إلى عشر فتيات.

على الفيس بوك كانت الحكايات.

«أين أختي يا وزير الأمن والأمان. أختي في كلية آداب لاوندا خرجت من الكلية مع اثنتين من زميلاتها. على الكوبري أمام الجامعه توقفت سيارة نيسان نزل منها شخصان يحملان بندقية آلية. أخدا أختي من بين زميلاتها ودفعاها إلى المقعد الخلفي للسيارة وأحاط بها الاثنان وانطلقت السيارة التي كانت بلا أرقام. لم تعد أختي إلى المنزل منذ أمس. ذهبنا إلى قسم البوليس نحرر محضرًا بالواقعة تباطأ مأمور القسم ثم حرر المحضر وقال لنا إنها ليست الأولى اليوم إن أكثر من بلاغ تم في عدد من أقسام الشرطة، وإنهم سيبحثون عنهن لكن ليس مؤكدًا أن يصلوا إلى شيء. إذن أختي لم يتم خطفها وحدها من المسؤول عن خطف الفتيات يا وزير الأمن والأمان؟»

أكثر من «بوست» على الفيس بوك في أكثر من مدينة حمل القصة نفسها، ومع كل بوست صورة للفتاة المخطوفة. لاحظ أحد الشباب أن التشابه بين الفتيات وبعضهن كبير وأن في أكثرهن ملامح من سعاد حسني.

كانت الفتيات هناك بعيدًا عن العاصمة قرب منطقة الآثار القديمة في بدروم كبير عميق قد أغلق بابه الموصل إلى سلّم إلى دور أعلى. كانت في حيطان البدروم أكثر من فتحة صغيرة يطل منها وجه يتكرر في الفتحات لا يعرفون هل هو جندي أم شخص عادي. جنّي أم إنسان. كانت الفتيات جالسات على الأرض في حالة من الكرب. على وجوههن آثار ضرب بالأكف. شعرهن منكوش ينم عن جرّهن منه في الطريق. لم يكن يعرفن بعضهن. هذه أول مرة يلتقين. بعضهن جلسن يبكين في الأركان وبعضهن ظهر الغيظ على ملامحهن.

انفتح الباب وتم دفع فتاة بقوة وهي تشتم «يا أولاد الكلب» نظرن إليها في ذهول. لا يعرفنها ولا تعرفهن. تتميز عنهن بنونتين على خديها الجميلين. كانت هي شهيرة تم خطفها من بلدتها وجيء بها في سيارة سريعة. وقفت تنظر إلى الفتيات وآثار تعب الطريق على وجهها إلا أن في وجهها وعينيها أيضًا كان تصميم على المقاومة وحدة في الانفعال كأنها لم تأتِ كل هذه المسافة من جنوب البلاد إلى وسطها. نظرت إليهن وقالت:

- لا تخفن. سنكسب المعركة.

نظرن إليها في دهشة. عن أي معركة تتحدث؟ قالت إحداهن:

- مَن أنتِ؟ وهل تعرفين مَن خطفنا؟

قالت لهن:

- أنا شهيرة. ناشطة سياسية. أعرف أن الذي فعل هذا بنا هو النظام الحاكم. أبو العساكر ورجاله.

قالت أخرى:

- طيب أنتِ تشتغلين بالسياسة. نحن لا علاقة لنا بالسياسة. نحن طالبات جامعة وموظفات. لماذا يخطفوننا؟

قالت:

- سنعرف الحقيقة اليوم أو غدًا. المهم أن لا تيأسن. لا تبكين. نحن لا نملك المال ليخطفنا لصوص. هناك سرّ يعرفه حاكم هذا البلد اللص، وسيظهر اليوم أو غدًا.

قالت ثالثة:

- وهل سيأتي الغد ونحن أحياء. منذ يومين ولا طعام لدينا ولا ماء. سيقتلوننا.

قالت شهيرة:

- اخلعن الأحذية. دقوا معي على الباب. لا بد أن نزعجهم حتى لو قتلونا.

وخلعت شهيرة حذاءها وراحت تدق على الباب الحديدي أقدمت واحدة ثم أخرى ثم تشجع الباقون وقمن بالدق على الباب بغيظ، وشهيرة تهتف: «افتح يا كلب. افتح يا جبان» وتتحرك دائرة تنظر

من الفتحات الصغيرة التي لا تسمح لرأسها بالعبور فلا ترى شيئًا في المدى القريب. لكن صرخة عالية من إحدى الفتيات لفتت انتباههن معًا. كانت الفتاة قد تراجعت إلى الخلف في رعب ثم سقطت على الأرض مغشيًا عليها. كان ثعبان قد دخل من إحدى الفتحات وصار يمشي على الأرض ويُخرج من فمه لسانين طويلين يحركهما في كل اتجاه. صرخت شهيرة:

- أبعدنها، ساعدنني.

وبدا أنها لا تهتم بالثعبان فأمسكت الفتاة من كفيها وراحت تشدها إلى الحائط القريب لكن الثعبان كان يمتد إليها والفتيات تصرخن وانهارت أكثر من واحدة وفقدت وعيها لكن شهيرة أسرعت إلى حذائها الذي كانت قد خلعته وأمسكته وراحت تدق على رأس الثعبان غير خائفة والثعبان بدوره انكمش أكثر إلى الحائط فهتفت:

- اضربن معي. لا تخفن.

تشجعت أكثر من واحدة على ضرب الثعبان بحذائها فتراجع الثعبان أكثر حتى خرج من الفتحة الصغيرة التي جاء منها.

انهارت شهيرة على الأرض ووجهها قد غرق بالعرق الذي تشعر به يغطي جسدها. قالت:

- ما دام الثعبان قد دخل من الفتحة ولم يتهِ فهي لعبة حقيرة. ليس حقيقيًا أبدًا. لماذا خفتن؟

لكنهن لم يسمعنها. كن فاقدات الوعي جميعًا وهي بدورها راحت تهبط إلى الأرض على مهل من الإعياء ثم تمددت راكنة ظهرها إلى الحائط ومال عنقها إلى الجانب. لقد فقدت الوعي أيضًا.



دخل وزير الأمن والأمان مكتبه في منتصف الليل ثائرًا. كان رئيس حماية الدولة سرّي فايز في انتظاره جالسًا بينما وقف العقيد مؤثر جلس الوزير إلى مكتبه والثورة على وجهه وقال:

- رجع من فيبوتشا ليضيّع عليّ فرصة عمري.

نظرا إليه في دهشة فاستطرد:

- لقد خطف عشرين فتاة يشبهن سعاد حسني. قرر أن يقتل سعاد حسني مرة ثانية.

ظلا ينظران إليه غير مدركين ما يقصد فقال للواء سرّي فايز:

- كل هذا وأنت رئيس حماية الدولة لا تدري شيئًا.

تجهم اللواء سرّي فايز بينما كتم العقيد مؤثر ابتسامته، ثم قال اللواء سرّي فايز:

- ليتك توضح لي الأمر. ما الحكاية بالضبط. وما حكاية سعاد حسني مع مدير «مُز»؟

نظر إليه الوزير والغيظ يزداد ثم وقف مبتعدًا عنهم يدور في المكتب الواسع حتى إذا اقترب من اللواء سرّي فايز قال:

- واضح أنك بالفعل لا تدري شيئًا. لكن لا بد أن أسألك ولا تكذب عليّ فلن ينجيك مني أحد. هل أنت الذي أمرت بخطف البنات اللاتي يشبهن سعاد حسني؟

ارتبك اللواء سرّي فايز وفرد كفيه أمامه في حيرة فقال الوزير:

- قلت لك لا تكذب عليّ.

قال اللواء سرّي فايز:

- لا أعرف شيئًا عما تقول. ثم ما هي جريمة أي فتاة تشبه سعاد حسني؟

عاد الوزير للجلوس إلى مكتبه وبدا هادئًا قليلًا ثم قال ساخرًا:

- كيف لا تعرف ما يقال عن أن الفتاة التي أيقظت الشباب من الإغماء أول العام هي سعاد حسني؟

- أعرف سيادة الوزير لكن لا أحد يعرف من أين تأتي.

ضرب الوزير المكتب بيده بقوة أذهلت اللواء سرّي فايز والعقيد مؤنس وقال:

- لا أحد يصدق أنها ماتت. لقد خطف السيد مدير «مُز» الفتيات اللاتي يشبهنها بحثًا عنها. لا يصدق أن الأمر كله كذبة. يبحث عن

سعاد حسني بين بنات لاوند. سيقبض على الألاف بلا فائدة. سيؤلب علينا العائلات لأنه لن يقف عند العدد القليل الذي خطفه. إلى متى سنظل ندافع عن أخطاء هذا النظام؟ إلى متى يدفع رجالي الثمن؟

ظل اللواء سرّي فايز صامتًا. خايلته ابتسامة فكتمها. لقد صار يفكر أن وزير الأمن والأمان فقد عقله لكن هل يقول له ذلك؟ لكن العقيد مؤثر قال:

- أنا معك سيادة الوزير. مدير «مُز» يجب أن يظل بعيدًا عن عملنا كان عليه أن يناقش الأمر معك.

أشعل وزير الأمن والأمان سيجاره ونفث دخانه وبدا يكظم في غيظه ثم قال:

- لا بد أن يعرف الحاكم. هؤلاء الناس يريدون نهايته.

وحط عليهم الصمت لحظات حتى قال العقيد مؤثر:

- كل الصور التي انتشرت على الفيس بوك للفتيات تؤكد أنهن يشبهن سعاد حسني بالفعل.

وقال اللواء سرّي فايز:

- يا معالي الوزير. هذه ليست أول مرة يقوم مدير «مُز» بعمله سينتهي الأمر إلى لا شيء. لا عليك منه ولا داعي لهذه الثورة. أرح أعصابك سيادة الوزير.

نظر إليه الوزير وقال بهدوء وفي يأس:

- يمكن أن تنصرف.

خرج اللواء سرّي فايز يخفي دهشته وتعجبه من كل ما سمع. سكت الوزير لحظات طالت ويفكر كيف أن صفحة «مالناش في السياسة» التي أنشأها الضباط الصغار ليست بعيدة عن مدير «مز» وظل العقيد مؤثر ينظر إليه بين لحظة وأخرى حتى قال الوزير بهدوء:

- كدت أعترف له بعلاقتي بسعاد حسني. إياك أن تذكر شيئًا من ذلك يا مؤثر.

- لا تقلق من ناحيتي أبدًا سيادة الوزير لكن عليك بالفعل أن تشرح الأمر للحاكم. هؤلاء الناس يفتحون جبهات جديدة علينا. أخشى أن تتعرض الفتيات للاغتصاب ويتم تحميلنا المسؤولية.

سكت الوزير لحظات وقال:

- كنت على وشك النوم لكنه هو الذي أخبرني بنفسه. مدير «مُز». قال لي لا بد أن نصدر بيانًا أنه لا صحة لخطف فتيات تشبهن سعاد حسني وأن هذه الصور التي تنشر على الفيس بوك سيتم التأكد من صحتها، وهل كان للفوتوشوب دخل في تزويرها ليصبحن شبيهات لسعاد حسني.

وسكتا لحظات حتى قال مؤثر:

- قبل أن أنسى يا معالي الوزير تلقيت اليوم برقيات من مديري الأمن لجميع المحافظات تؤكد على أنه تم التخلص من كل الفئران في البلاد.

نظر إليه الوزير في غيظ ثم هتف:

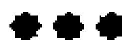
- إحنا في إيه ولا في إيه؟

ارتبك العقيد مؤثر إلا أنه حاول أن يخفي ارتباكه بابتسامة شاحبة وسكت قليلًا ثم تساءل:

- وهل سعادتك ستصدر البيان الذي طلبه مدير «مُزه»؟

هزَّ الوزير رأسه وقال:

- نحن مضطرون. اكتب أنت البيان وانشره على موقع الشرطة الإلكتروني. سأصبر عليه حتى أتم اتفاقي مع سعاد حسني. ويومها لن أرحم أحدًا. لا هو ولا الحاكم الفاشل.



جلست هديل في الصباح بين أبيها وأمها حزينة. كان في يدها كوب من الشاي باللبن لا يبدو أنها تشرب منه. تركته على المنضدة جوارها ووقفت تمشي أمامهما في قلقٍ بادٍ على وجهها. تبادل الأب والأم النظرات ثم قالت الأم:

- ما بك يا هديل اليوم. لماذا تبدين حائرة؟

قالت هديل بصوت خفيض:

- لم تعد تأتيني أخبار من بلاد اللاوند.

تبادل الأب والأم النظرات في دهشة أكبر فقالت هديل:

- كان الهواء يحمل لي الأخبار أولًا بأول لكنه منذ أيام صار يمر عليّ لا يحمل شيئًا.

قال الأب في حيرته وهو يتبادل النظر مع الأم:

- ربما لا توجد أخبار.

- ربما.

قالت هديل ذلك في يأس ثم خرجت في سرعة من أمامهما. بعد لحظة كانت تجلس على سفح الجبل أمام شجرة التفاح الوحيدة تنظر إلى الجليد أعلى الجبل رغم الصيف. مشهد مألوف لديها ولدى سكان المنطقة كل عام.

كيف حقًّا لم تعد تأتيها الأخبار؟ هل ضاعت قدراتها غير الطبيعية؟ لو حدث ذلك ستختفي. لن تعود إلى سنواتها القديمة قبل الميلاد بآلاف السنين. ستختفي من الوجود تمامًا. هذا يقلقها. أما بلاد اللاوند فلقد ساعدتها كثيرًا ويمكن أن لا يكون لمساعداتها أثر الآن. الشباب هناك يعرف طريقه. لكنها قالت لهم آخر مرة: «ناموا قريري العين»، كيف تقول ذلك وتتخلى عنهم؟ لكنها في حاجة إلى مَن يساعدها هي. وابتسمت حين سمعت صوت خطوات كينج كونج. لا يمكن له

أن ينقل الأخبار. وربما يختفي أيضًا من حياتها. مَن في بلاد اللاونـ أدرك سرها؟ مَن تواصل مع رب المعبد القديم؟ لا بد أنها امرأة فائقة الجمال. هو لا يتوقف عن ذلك أبدًا، ويمكن أن تكون سعاد حسني نفسها.

سكتت لحظة ووقع أقدام كينج كونج يزداد ثم قالت لا يمكن لسعاد حسني أن تفعل بها ذلك. ولو حدث كان كينج كونج قد أخبرها! إذن مَن تكون تلك المرأة التي عطلت عنها أباها الإله العظيم؟

اندفعت تبكي في حسرة. تقول لنفسها: «غير خائفة أنا من النلاشي لكن كنت أود أن أكمل طريق شباب اللاوند. بنات اللاوند جميلات جدًا لا يجب أن يأسرهن الحاكم الغبي في سجونه». ثم ضربت جبهتها بيدها. وقفت وقفزت في الفضاء في فرح. كيف حقًا تقول لنفسها إنها لم تعد تعرف شيئًا عن بلاد اللاوند؟ مَن إذن همس في أذنها أنهم أسروا بنات كثيرات بحجة أنهن يشبهنها. يشبهن سعاد حسني. كيف نسيت ذلك حقًا. هههههههههه وراحت تضحك وتقفز عاليًا وظهر كينج كونج أمامها يصدر أصواتًا معبرًا عن سعادته. قالت:

- اقذفني إلى سحابة في السماء تحملني. لا تأتِ معي اليوم.

نظر إليها وهز رأسه. لا توجد اليوم سحب حقًا. الفضاء مضيء جدًا والشمس تفرش الكون رغم نهايات الجبل الجليدية. قالت:

- إذن أحضر لي بجاسوس.

ما كادت تقول ذلك حتى كان الفرس المجنح أمامها. قفزت فوقه وأشارت إلى كينج كونج إشارة الوداع ووقف هو يصدر أصوات البهجة ويهز رأسه فرحًا كالطفل وطار بها بيجاسوس في الفضاء.

كم من الوقت ستستغرق رحلته؟ ستدفع بقدميها في بطنه أكثر من كل وقت وسيصل بها مثل شعاع من الضوء.



استيقظت الفتيات متعبات. كثير منهن لم يدركن أين هن إلا بعد لحظات فجلسن إلى الحوائط يبكين في انكسار. لاحظن أكياسًا من الطعام في أحد الأركان تشيع منها رائحة الفول والفلافل، وجوارها زجاجات قليلة من المياه. زحفت إليها القريبات ومشت إليها البعيدات في إرهاق. تناولن بعضها وجلسن يأكلن في حسرة. كانت شهيرة ترى هذا كله وتشم الرائحة. قالت بصوت متعب:

- لا تأكلن كثيرًا. ثلاثة أيام الآن وأنتن جياع. قد يحدث لكن تلبك في المعدة. اشربن أكثر من الماء.

قالت ذلك ولم تتحرك من مكانها. تقدمت إليها واحدة منهن بزجاجة ماء. شربت شهيرة منها قليلًا وأعادتها إليها.

كانت الأضواء ضعيفة كما هي والأركان مظلمة. كيف دخل مَن وضع الطعام والماء ولم يشعرن به؟ فكرت أكثر من واحدة أنه قد يكون عبث بهن وهن فاقدات الوعي. ظهر الحزن عليهن. صارت كل

واحدة تشعر بما بين فخذيها وتدرك أنه على حاله. لم تستطع واحدة أن تمد يدها إليه حتى لا تفاجأ بكارثة لم تدركها لكنها تطمئن إذ لا تشعر بشيء سائل يسري بين فخذيها. لم يتم اغتصابها إذن. جاءت فتاة وجلست إلى جانب شهيرة ثم ألقت برأسها في صدرها وقالت في رعب:

- خائفة من الثعبان.

- لن يأتي.

قالت شهيرة ذلك في عزم وهي تفكر كيف حقًّا دخل الثعبان من فتحة الحائط وكيف خرج دون أن يلدغ أي واحدة منهن. مَن كان يتحكم فيه. ومَن الذي أراد إرعابهن كل هذا الرعب؟ اشتاقت إلى جهازها المحمول. تريد أن تعرف شيئًا عمَّا جرى لهن. لا بد أن مواقع التواصل الاجتماعي تضج الآن بالحديث عن اختفائهن. لن يعرف أين هن إلا إذا أراد صاحب الثعبان أو أصحاب الثعابين. لن يبتعد الأمر عن أبي العساكر ورجاله. لو أن عصابة هي التي فعلت ذلك من أجل التجارة في أعضائهن مثلًا لقتلتهن. ليس لدى هؤلاء الفتيات شيء يدفعنه لأحد إلا أجسادهن، ولا أحد اقترب منها حتى الآن. هو أبو العساكر ورجاله. لكن لماذا يفعلون ذلك بفتيات بريئات؟ كان يمكن أن تجد معها ماهيتاب ونورهان وشيماء وغيرهن لو أن للأمر علاقة ما بالسياسة.

احست برأسها يضيق بالتفكير. لن تصل إلى أي حقيقة حتى يظهر احد. أي أحد.

ما كادت تنتهي من التفكير وتسلم نفسها لليأس حتى أضاء ركن شديد الظلام من القبو الكبير. أضاء شيئًا فشيئًا بنور باهر والفتيات تراجعن في ذعر يتجمعن حول شهيرة إذ بين الضوء يظهر شخص قوي الجسد جالسًا على مقعد صغير. كان يبتسم لهن بينما كن في فزع. عرفته شهيرة. إنه مدير إدارة المحن والأزمات «مُز» الذي قليلًا جدًّا ما تظهر صوره في الصحف. وبينما انشلت ألسن الفتيات عن الكلام والصراخ قال هو:

- لا تخفن. بنات لاوند لا يمكن أن يمسهن أحد بسوء.

لم ترد أي واحدة منهن بينما وقف فبان طويلًا قويًا. لم يرينه في صورة كاملة من قبل. فقط صورة وجهه المربع قوي الملامح. هل هذا رجل في السبعين من عمره حقًّا؟ يبدو في الخمسين. لم لا؟ رجال الحكم لهم طعام خاص وأطباء عالميون وكل شيء يتم لهم ليكونوا في أحسن حال. لمَن سيتركون الحكم إذا هرموا أو مرضوا؟ ستخرب البلاد دونهم! هكذا يفكرون وهكذا يتصرفون في شئون حياتهم. لكن شهيرة قالت:

- إذن هو أبو العساكر ورجاله كما توقعت تمامًا.

ابتسم واقترب منها ومد يده يداعبها من ذقنها فأبعدتها عنها في نفور فازدادت ابتسامته وقال:

- لماذا أنتِ هنا؟ أنتِ لست شبيهة بسعاد حسني.

تبادلت الفتيات النظر إلى بعضهن في دهشة فاستطرد هو:

- أصدرت أوامري بالقبض على شبيهات سعاد حسني. شهيرة جاءت بالغلط. صحيح هي حلوة ويمكن أحلى من سعاد حسني كمان بالغمازتين اللتين على خديها لكن لسنا في حاجة إليها.

إنه يعرف اسمها ويعرفها أيضًا إذ استمر يتحدث:

- طول عمر رجال الأمن يرتكبون أخطاء مثل هذه. أخطاء صغيرة لكن يمكن أن تسبب كوارث. يعني الآن مثلًا صرنا في مشكلة مع شباب الثورة المأجورين الذين منذ أمس ملأوا الفيس بوك وتويتر احتجاجات على اختفاء شهيرة. نحن فقط نريد أن نعرف مَن هي سعاد حسني بينكم. أنا لا أعادي شباب الثورة.

حط عليهن جميعًا الصمت والحيرة بينما أحست شهيرة بالفرح والفخر. إذن في الخارج الدنيا مقلوبة وهذا يعني أن الثورة لا تزال في طريقها وستشتعل أكثر. قالت:

- ماذا تريدون من سعاد حسني؟ سعاد حسني هناك في قبرها.

عاد مدير «مُزّ» إلى مقعده وقال:

- أجل يا حلوة لكن سعاد حسني هربت. لقد حفرنا مقبرتها فلم نجد جثتها. سعاد حسني هي مَن أيقظتكم من التخدير مساء يوم 29 يناير. هي من أعادتكم إلى بيوتكم وهي من حولتكم إلى قطط لتهربوا من الزنازين. هل نسيتي؟

هنا ضحكت شهيرة بقوة وهي تشعر بالروح تعود إلى جسدها في تصميم لم تعرفه من قبل، بينما كانت الفتيات تنظرن إلى بعضهن في دهشة وحيرة ويكاد بعضهن يضحكن فهن لا يدرين عن أي شيء يتحدث.

قالت شهيرة:

- نظام سياسي يصدق كل هذه الخرافات لم يعد له معنى ولا بد أن يرحل.

قال مدير «مُز» في هدوء:

- أنا معك أنها خرافات لكنها حدثت وصارت وقائع. هل نسيتي كيف ظهرت سعاد حسني فوق العمارة في الميدان الكبير وكيف حملها كينج كونج إلى السحاب وهربا معًا.

ضحكت شهيرة وراحت تضرب كفيها في بعضهما وتقول:

- سامعين يا بنات. سعاد حسني وكينج كونج. الخرافات التي يقولها أبو العساكر يقولها رجاله.

قال مدير «مُز» وهو لا يزال على هدوئه:

- أنا صابر عليكِ يا شهيرة لأنك مظلومة. لكن أبو العساكر هذا الذي تشتمينه هو من يحميكم يا ولاد الكلب.

هنا خرج عن هدوئه وارتعدت بعض الفتيات لكن شهيرة قالت:

- هذا لص قاتل وكلكم مثله.

تقدم محنقًا تاركًا مقعده رافعًا ذراعه ليضربها إلا أنها لم تتراجع ونظرت إليه في عزم، وهو بدوره ضم يده وأعاد ذراعه وعاد يجلس صامتًا للحظات ثم قال:

- دعكن من شهيرة. ساعدنني أنتن فأساعدكن وأطلق سراحكن. من منكن هي سعاد حسني التي تملك كل هذه القدرات السحرية؟

تشجعت إحدى الفتيات وكادت تتكلم بقوة لكنها بكت وقالت:

- ما لنا وسعاد حسني؟ نحن طالبات جامعيات وموظفات في حالنا. نحن أصلًا لا نعرف شيئًا في السياسة. نحن يمكن نسينا أن فيه ثورة قامت، ويوم قامت كنا قاعدين في بيوتنا نتفرج على قنوات الأفلام. بتعملوا فينا كده ليه؟

لكن شهيرة انطلقت تضحك بقوة وتشير إلى رأس مدير «مُز» وتصفق، وإذا بأكثر من واحدة تضحك مثلها وينظرن إلى رأس مدير «مز». بدا في حيرة. لم يكن يشاهد ما يشاهدنه. كانت فوق رأسه طفلة

صغيرة تشبه سعاد حسني هي هديل التي جاءت على ظهر بيجاموس وكانت تمشي بيدها على رأسه وهو لا يشعر وتضحك ثم نزلت بيدها على وجهه مسحته وهنا أحس بشيء كالذبابة على وجهه فهشه واختفت هديل بين دهشة الفتيات اللاتي لم يتوقفن عن الضحك بينما صمت هو وصار في ذهول وهو ينظر إليهن. نادى بصوت جبّار: يا «فرج». دخل فرج الذي كان في قوة فرج الذي ظهر في فيلم الكرنك والذي اغتصب سعاد حسني وإن اختلف وجهه. رحن يترامين في أحضان بعضهن في رعب وبعضهن سقطن إلى الأرض يصرخن بينما ظلت شهيرة واقفة في قوة. زعق مدير «مُز» وقال:

- مَن يحول المسجونات هنا إلى قطط؟ سعاد حسني لا يمكن أن نعرف الطريق إلى هنا.

راح فرج ينظر إليهن في حيرة ثم قال:

- يا افندم كلهن بنات شبه سعاد حسني. لا قطط تعرف الطريق إلى هنا.

وهنا انطلقت الفتيات تضحكن من جديد. كان ضحك الفتيات ثم صراخهن ثم ضحكهن أمرًا مربكًا لمدير «مُز». لقد سمعه كله تنويعات من نونوة القطط. كاد في لحظة يتصور أنهن عفاريت ولسن بشرًا وإلا كيف يفقدن قوتهن في لحظة ثم تعود القوة إليهن في اللحظة التالية. أجل. لا قطط في هذا العالم تملك هذه القدرات. وحين فكر

أن شـهيرة ليسـت قطة فهو يراها بالفعل كما هي فكـر أنها خدعة. إنها لا تختلف عنهن. بل ربما ليـست هي شـهيرة التي قدموا له تقريرًا عنها كشـابة من نشـطاء الثورة. لكن بـدا فرج في ذهول وحيرة فسـأله مدير «مُز» صارخًا:

- هل مازلت عند رأيك؟

قال فرج بهدوء ودهشة:

- معك حق يا افنـدم. كلهن بعين واحدة ولا تشـبه واحدة سـعاد حسـني. هل نأتي بدفعة جديدة من الفتيات؟

زعق فيه مدير «مُز»:

- أنا أقول قطط وأنت تقول بعين واحدة!

وراح يرفس بسـاقيه بعيدًا عنه ويقول:

- كيف لا ترى القطط التي تصعد على ساقيّ. إنها تحاول الصعود إلى كتفي.

قـال ذلك وهـو يلقي بيديه من فـوق كتفيه أشـياء لا يراها فرج، ثم استطرد:

- هناك شـيء غير مفهوم يحدث في هذا البلد. أنا أعرف من زمان أن لـي أعـداء فـي كل الأجهزة. لن أسـعى لصالح الحاكم بعـد اليوم. اتركهن يخرجن إلى الشـوارع.

هنا تقدم منه فرج وهمس له:

- هكذا ببساطة؟!

أجاب:

- أجل. لا تغتصبوهن. ليس هناك معنى لاغتصاب القطط.
احملوهن في سيارة إلى أقرب مكان للعمران واتركوهن.

25

لم تذهب شهيرة إلى قريتها. جلست مع «ماما كريمة» والدة نزار تنظر إلى هاتفها المحمول الجديد الذي اشترته لها ماما كريمة بعد أن استولى مَن خطفوها على هاتفها وقالت ضاحكة:

- أمي لم تصدق أني شهيرة التي أكلمها. تقول لي إن صوتي تغير وصار يشبه مواء القطط. تطلب مني أن أعود بسرعة إلى البيت.

- صوتك بالنسبة لي لم يتغير. لكن استريحي هنا اليوم. سافري غدًا ريما تنتهي أعراض القطط!

قالت شهيرة ضاحكة:

- سأفعل ذلك. المهم أن لا أخرج بالليل إلى الشارع وأنتم نيام.

ضحكت ماما كريمة وقالت:

- نحمد الله على وجود القطط في الدنيا.

ضحكتا معًا. ثم قالت ماما كريمة:

- ألم تكن هناك أي فرصة لتعرفن أين كنتن بالضبط؟

- لم يكن إلا خلاء ورمال. حتى المبنى الذي كنا فيه دخلناه بعد أن أغمضوا عيوننا فلم نره ظاهرًا على السطح عند خروجنا.

- إذن كان تحت الأرض؟

- أجل.

- لم أكن أعرف أنك قوية هكذنا يا شهيرة.

- جنوبية يا تانت.

ضحكتا من جديد ونظرت شهيرة في الموبايل وقالت:

- تأخر الزملاء.

- نحن في المنزل. يأتون براحتهم. سأتركك وأعد شيئًا للعشاء. أنتِ متعبة. واضح على وجهك علامات السهر. ادخلي غرفة الضيوف ونامي قليلًا حتى يأتوا.

مشت شهيرة على مهل حتى غرفة الضيوف التي نامت فيها من قبل. لم تكن بالفعل لديها رغبة أو قوة لتدخل إلى الإنترنت. كانت تحتاج إلى نوم سيطول إن لم يحضر الزملاء ويوقظوها.

ما إن تمددت على السرير بملابس المنزل التي أعارتها لها ماما كريمة ودخلت تحت اللحاف حتى نامت. أين كانت حقًا وكيف عادت؟ سؤال لم تستطع أن تجيب نفسها عنه. لقد سحبها النوم المتربص منذ خُطفت. هي الآن تنزلق في منحدر ناعم من البلاط

لا يبدو له نهاية. لكنها تصل إلى نهايته وتصطدم قدماها بجدار عازل من الحديد وتقف تنظر حولها تائهة. حول المنحدر من الجانبين أرض واسعة من النجيل الأخضر تحيط بها بنايات قديمة تشبه البنايات الأوربية. لكنها بنايات صغيرة مثل التي في بلدها والتي كانت يومًا مدارس وملاجئ ومراكز للحكم وفللًا للتجار والمزارعين الكبار. هذه التي استولت عليها الإدارات الحكومية في العهد الجديد بعد أن انتهى النظام الملكي ورحل الملك الجميل الذي تحمل من بياضه وحمرة خديه الكثير. إنه يقف أمامها الآن يقدم لها مضرب تنس وترى شبكة أقيمت على الأرض وصار هو في ناحية وهي في ناحية يلعبان. هي تضحك وهو يبتسم وحين هزمته في اللعب تقدم منها يصافحها ويقول لا تحزني يا شهيرة ستكونين ملكة حين يعزّ في البلاد الملوك. وإذا بها خلفه فوق فرس قوي وهو يجري بهما بقوة وهي تمسك بوسطه بكل قوتها حتى إذا توقف الفرس وصهل رأت نفسها فوقه وحدها والملك على فرس آخر يشير إليها أن تجري جواره وتحاول أن تسبقه فيجريان بالفرسين ولا يبدو في الأفق نهاية لطريق جريهما ثم رأت نفسها تطير وحدها وقد اختفى الحصان من تحتها وصار لها جناحان متصلان بذراعيها ترتفع بهما في الفضاء سابقة الملك الجميل ومن فرط السرعة لم تعد تعرف هل يجريان إلى الأمام أم عادا إلى الخلف من جديد. لكنها صارت وحدها أمام جدار حديدي بدأت خطوط مياه رفيعة تسقط منه وهي أسفله ترفع ناظريها إليه ثم اشتدت خطوط المياه وصارت تنزل عليها باردة وهي تتأوه. آح. آح.

آح. ثم صارت ثيابها تبلل بسرعة وهي لا تزال ترفع وجهها إلى أعلى الجدار والماء ينسكب على وجهها وتمسحه براحة يدها لكنه يزداد ونشف الملابس التي تغيرت وصارت قميص نوم خفيف عن جسدها الذي يبرز بين المياه التي فجأة احمر لونها واختفى الجناحان وظهرت أعلى الجدار الحديدي وجوه وحوش تلمظ بها فصرخت ووجدت نفسها جالسة فوق السرير تنظر حولها في فزع.

دخلت ماما كريمة في اللحظة نفسها تقريبًا وسألت في خوف:

- ما لك يا شهيرة؟

ولم تنتظر الجواب، جلست جوارها وأخذتها في صدرها تربّت ظهرها وشهيرة تبكي غير مصدقة وتقول: «حلم جميل. جميل جدًا. انتهى بكابوس. كابوس فظيع يا تانت. فظيع».

ثم هدأت شهيرة وأدركت كل شيء حولها وسألت ماما كريمة:

- هل حضر الزملاء؟

قالت ماما كريمة:

- صباحك فل. حضروا وأقاموا اجتماعهم ولم يشاءوا إيقاظك وانصرفوا.

- معقول يا تانت. لماذا؟

- أقول لكِ صباحك فل. نحن في صباح يوم جديد.

***

«نحن في ديسمبر. يقترب العام من نهايته. ويقترب الخامس والعشرون من يناير الذي لا تصور الحكومة ولا الحاكم أبو العساكر ولا رجاله أنه يمكن أن يعود. علينا أن نحشد بقوة لهذا اليوم»

كانت هذه هي الرسالة المتبادلة بين شباب الثورة الذين بدورهم اعتبروا أن ما جرى في يناير الماضي لم يكن ثورة لكن بروفة على الثورة. المهم الآن أن يفقد أبو العساكر قدراته وإلا سيلقي بهم إن استطاع إلى العصور الوسطى.

امتلأت صفحات الفيس بوك بالدعوة إلى الثورة من جديد. وامتلأت صفحات تويتر. صارت الرسائل تطير بين أجهزة المحمول. كان لنورهان فكرة الحصول على أرقام تليفونات كل مَن يحملون الموبايل في لاوند. تتعدد شركات الاتصالات لكن هذا أمر سهل. وإلا كيف تحصل بعض الشركات الخاصة للخدمات على أرقام الناس تتصل بهم تعرض عليهم خدماتها التي هي غالبًا طرق جديدة للنصب. لا بد أن لهذه الشركات سبل اتصال طبيعية بشركات المحمول. لا بد أنها تدفع لهم مقابل هذه الخدمة من الشركات. أو ربما تستطيع هذه الشركات اختراق حسابات شركات المحمول. هم على أي حال لا يمكن أن تتعاون معهم شركات المحمول فلا شركة خدمات يملكونها. لكن يمكنهم اختراق مواقع شركات المحمول.

وهكذا انتصف ليل الخميس الأول من ديسمبر وكثير ممن يحملون موبايل في مصر وصلته رسالة تقول:

«لا تنسَ 25 يناير. أرسل الرسالة لمَن تعرف».

شباب سهران على المقاهي في الأحياء الشعبية وفي الكافتيريات في الأحياء الراقية وفي كافتيريات الفنادق الكبرى ورجال انتهوا من نكاح زوجاتهم فدق الموبايل فضحكوا وضحكت الزوجات من إعلان الانتهاء المفاجئ هنا. يقول الزوج: «دي رسالة بتقول لا تنسَ 25 يناير».

وتسحب الزوجة هاتفها المحمول المغلق فتفتحه لتجد الرسالة.

موعد غريب. يقول الكثيرون. أكثرهم يضحك وبعضهم يندهش محدثًا نفسه: «هو لسة فيه 25 يناير تاني؟». وفي الملاهي الليلية لم يسمع صوت وصول الرسائل من صخب الرقص والموسيقى، لكن فتيات الليل سمعنها وهن في انتظار دورهن للجلوس جوار الزبائن فمصمصن شفاههن ومددنها وقالت الكثيرات منهن في نفسها: «يارب تولع دا احنا بندفع للبوليس أكتر مما نأخذه»، وعلى الفور ظهرت كتائب آسفين يا ريس لتعلن أن في لاوند مؤامرة كبيرة دبرها أصحاب شركات المحمول من رجال الأعمال على الرئيس والقائد المقاتل أبو العساكر ونظامه.

#يعني_إيه_رسالة_لكل_مواطن. يعني فيه مؤامرة على الدولة.

#يعني_إيه_رسالة_لكل_مواطن. يعني شركات المحمول بتحضر لثورة على الحكم.

#يعني_إيه_رسالة_لكل_مواطن. يعني ابتزاز شركات المحمول لخفض الضرائب عليها رغم أنها ما بتدفعش ضرايب.

#يعني_إيه_رسالة_لكل_مواطن. يعني المؤامرة جاية جاية ولا بد من تأميم شركات المحمول.

#يعني_إيه_رسالة_لكل_مواطن. حتى الشركة اللي تبع الحكم بتضحك عليه.

#يعني_إيه_رسالة_لكل_مواطن. يعني ما فيش أمن ولا أمان ولازم أبو العساكر يشوف حل مع العساكر بتوعه.

#يعني_إيه_رسالة_لكل_مواطن. يعني اختراق لحياتك الشخصية وفي أي وقت حتى وأنت نايم مع مراتك.

#يعني_إيه_رسالة_لكل_مواطن. يعني يا ريس لازم تقبض على كل النشطاء وعلى كل أعضاء النصيحة والهدى. ما فيش هزار.

لكن أحمد خشبة جلس في حجرته يضحك وهو يقرأ هذا الذي كتبته كتائب الدفاع عن الحاكم ووجد نفسه يكتب على صفحته في الفيس بوك:

«اخترنا منتصف ليل الخميس حتى تعرفوا أن الشعب وهو دفيان ومتكلفت تحت الغطا فاتح موبايلاته ومتظرنا ولا دفا ولا جنس عطّله عن الأمل يا أولاد التيت!»

* * *

في الصباح كان مدير «مُز» ووزير «مَم» يأخذان طريقهما إلى اجتماع عاجل مع أبو العساكر. لقد طلبا هما الاجتماع به بينما هو لم يفكر في ذلك ولم يهتم بأهمية هذه الرسائل.

وصلا إلى مكتبه قبل وصوله. جلسا يحتسيان القهوة في صمت. كل منهما ينتظر أن يبدأ الآخر بالحديث. ورغم أن وزير «مَم» لم يلتقِ مباشرة بمدير «مُز» منذ عودته من فيبوتشا فلم يفكر أن يهنئه بسلامة العودة. كلاهما يعرف ما يفعله الآخر. كلاهما يرى الآخر يريد أن يسبقه إلى الحكم. لا أحد منهما يفكر في سني عمره وهل ستكون لديه القدرة على حكم بلاد مثلًا لاوند. لم لا يحكمان وأبو العساكر تجاوز الثمانين ومستمر في حكمه. لكن كان لا بد أن يتحدث أحدهما. أخذ رئيس «مُز» المبادرة وسأله:

- ما أخبار سعاد حسني؟

ارتبك وزير «مَم». يعرف أن الآخر يقصد زياراته لقبرها. مثله لا تخفى عليه خافية. أجاب:

- ما المسؤول بأعلم من السائل. أنتم خطفتم البنات اللاتي يشبهنها ولم تصلوا إليها.

هز مدير «مُز» رأسه وقال:

- لم أكن أتصور أني أصدق هذه الخرافات. لكني وجدت كل مَن حولي يصدقونها. قلت إذن هي حية ولا بد من الوصول إليها.

قال وزير «مَم» ساخرًا:

- وهل وصلت؟ أقصد هل وصلت إلى أي شيء عنها؟

- لم أصل إلى أي شيء كما لم تصل أنت إلى أي شيء من حديثك معها في المقابر.

سكت وزير «مَم» معتبرًا أن ذلك نهاية الحديث ودخل أحد الضباط يشير إليهما بالدخول إلى مكتب السيد الحاكم.

ما إن جلسا أمامه على الناحيتين حتى قال:

- شوفوا بأه. أنا غير مستعد لأي حديث عن سعاد حسني.

كاد يقول أنا فقط مَن أتحدث عنها لكنه صمت. تبادلا النظر وقال وزير «مَم» مسرعًا في محاولة ليسبق مدير «مُز»:

- يا فخامة الحاكم لا يوجد شيء أصلًا اسمه سعاد حسني. لكن يوجد شيء اسمه دعوة للثورة تنتشر بسرعة رهيبة بين الشباب والشعب كله أيضًا.

قال أبو العساكر ساخرًا:

- وبعدين؟!

قال مدير «مُز»:

- ليس لدينا ترف الانتظار يا مولاي.

- لا تقبضوا على أحد. خليهم يلعبوا، وفي يناير لو عملوا مثلما فعلوا من قبل فالقتل هو أقل ما تفعله يا وزير «مَم». يعني تأكلهم قبل ان يأكلوك!

ووقف الحاكم قائلًا:

- أنا مضطر أنهي اللقاء. عندي جلسة مساج. مع السلامة.

خرجا صامتين. عند باب القصر الخارجي وقبل أن يتجه كلاهما إلى سيارته في حديقة القصر وقفا. قال وزير «مَم»:

- وصلتني رسالة الآن تقول إن هناك محامين يعدون شكوى ضدك إلى النائب العام تتهمك بخطف البنات.

هز مدير «مُز» رأسه وقال:

- اعرف. وأعرف مَن وراءها. لا تقلق.

وقال في نفسه: «أفسدت كل ما أفعله أنت وسعاد حسني. لقد أعدت إليها قدرتها على تحويل الشباب إلى قطط. لم يفعل ذلك أحد غيرك. ستكون نهايتك على يدي».

***

جلس الشيخ شمعدان رئيس جماعة «النصيحة والهدى» مع الطبيب العالمي وحدهما في منزله. كان واضحًا عليهما الألم والتوتر والدهشة الممزوجة بالحيرة.

- لقد طلبت أن ألتقي بك وحدك هنا حتى لا يكون الاجتماع رسميًا.

قال الشيخ شمعدان ذلك فقال الطبيب العالمي:

- أعرف وأقدّر ما أنت فيه. ما جرى لا يدهشني فلم أتوقع خيرًا من هذا الشخص.

- كان عندك حق يا دكتور والله. كنت أكثرنا ذكاء. المهم الآن ماذا أفعل؟ ماذا أقول للأعضاء؟

فكر الطبيب العالمي قليلًا ثم قال:

- قل الحقيقة. لقد غادرنا ألف خان إلى بلاده لأننا لم نعد في حاجة إليه.

- لكنه غادرنا لسبب آخر. لقد بدأ فعلًا يفقد قدراته السحرية بعد أن انقطع عن طعام وطنه. لقد أخذ قرينه معه أيضًا.

قال الطبيب العالمي:

- في داهية. الناس تسافر وتعيش في كل الدنيا وتأكل من طعام البلاد الأجنبية ولا تفقد قدراتها. هو شخص نصّاب منذ البداية. كان هذا رأيي وثبتت صحته.

- إذن سأقول ما تنصح به.

سكت الطبيب العالمي لحظات يفكر ثم قال:

- حتى الآن يفرج وزير «مَم» عن شبابنا، هناك انقسام في الحكم. الأفضل أن لا نشارك في أي مظاهرات حتى تنتهي المعركة بين النظام وشباب يناير ونستعد لقطف الثمرة إلى الأبد. اتبع نصيحتي هذه المرة. قل من الآن نحن أهل نصيحة وهدى لا أهل سياسة، وانسَ ألف خان هذا. لقد كانت تجربة وخابت.

26

في ليلة رأس السنة جلس أهل لاوند في بيوتهم مبكرًا. كان الشتاء لا ينقطع عن سواحلها وكان مطر خفيف في عاصمتها لاوندة، وقرر شعب لاوند أن ينسى كل شيء إلا أن يحتفل. كان أعضاء جماعة «النصيحة والهدى» وأهل السلف كعادتهم قد أعلنوا أن الاحتفال برأس السنة الميلادية من تقاليد الكفار. كانت أصوات جماعة «النصيحة والهدى» خافتة بينما كانت أصوات أهل السلف عالية شغلت كل المساجد. لم يفكر واحد من هؤلاء المسلمين أن يتذكر شيئًا من آلام المسيح. وكانت مدينة ماهيتاب الساحلية الكبيرة فاروس قد شهدت وجوهًا مكشرة خارجة من المساجد ووجوهًا مكشرة لكثير من الباعة وسائقي المركبات تعلن أن تاريخ احتفال هذه المدينة هو تاريخ الكفر. كانت ماهيتاب قد قررت الاحتفال في لاوندة مع نورهان ومصطفى وأحمد خشبة في منزل نزار. قالت ماهيتاب إنها أرادت أن لا ترى وجهًا مكشرًا في الطريق، ولا بين جيران أسرتها التي ما زالت تحتفظ بتلك التقاليد. راحت تحدثهم عن مدينتها زمان وسهر الناس في ملاهيها على الكورنيش وساعة الصفر حين ينتصف الليل ويلقي كل واحد من شرفة منزله ما يريد أن يتخلص منه مودعًا

العام الفائت مبشرًا بالعام الجديد. زجاجات فارغة تكون الأكثر إلقاءً وغيرها من الأشياء القابلة للكسر مثل القلل في الأحياء الشعبية. عادة متوارثة ربما منذ العصر اليوناني القديم. وداع يعلن عدم عودة ما مرّ من مرارة في العام الفائت وتبشير بأيام قد تكون أجمل أو يتمنون أن تكون أجمل. في الساعة العاشرة دق الباب وخرج نزار ليرى مَن الطارق ويعلن في فرح أنها شهيرة ومعها شيماء التي كانت مخطوفة من قبل في الجبل. كان فرحهم بهما غامرًا فرفعوا الكئوس صارخين بالسعادة. «الليلة عيد. شهيرة وشيماء معًا في لاوندة» قالت شيماء لا يبالني أحد عن أي شيء في حياتي. دعوني أفرح معكم. كانت ماما كريمة مبتسمة دائمًا يدق قلبها بالفرح وتتمنى لو يلقي كيوبيد سهامه في قلب نزار بحب شهيرة. شهيرة أو غيرها لكنها تميل أكثر لحب شهيرة. النونتان على خديها رسولا محبة. ورغم أنها رأت ذلك من قبل في وجوه فتيات كثيرات لكن وجه شهيرة مختلف. قالت شهيرة ضاحكة:

- أخبرتني شيماء برغبتها في الحضور ووافقتها واتفقنا أن نتقابل في القطار، لكني نمت في البيت أكثر من كل يوم وكان القطار قد سبقني فعرفت أن شيماء ستصل وحدها. كنت في الساعة السادسة أقف فوق السطح مترددة. لقد أخبرتكم بحضور شيماء دوني وأخبرتها بعنوان نزار لكن فجأة اتسع الكون وصار لا أحد حولي. انخفضت البيوت والأشجار والمزارع الممتدة مع الأرض. وجدت نفسي أبكي كيف

فاتني السـفر لكني سمعت صوتي مثل مواء القطط من جديد. آه وربما صدقوني.

انطلقوا يضحكون مما ظنوه خيالًا وقال أحمد خشبة:

- طبعًا أنتِ تعودتِ منذ قبض عليكِ مدير «مُز».

ضحكوا لكنها قالت:

- لا تريدون أن تصدقوني لكن ها هي شيماء معكم. هل أنت معك يا شيماء؟

قالت شيماء «لا» وهي تضحك، فقالت شهيرة:

- إذن قولي لهم كيف وجدتيني.

قالت شيماء:

- بصراحة أنا في غاية الدهشة والارتباك. ما إن دخلت من باب العمارة وفتحت باب الأسانسير حتى وجدت قطة جميلة تدخل معي أصابني الرعب فسمعتها تقول لا تخافي أنا شهيرة. تجمدت في مكاني وإذا بها تتحول إلى شهيرة وهي تقول لي لا تفقدي وعيك أرجوكِ.

ضحكوا جميعًا وقال مصطفى:

- كل الأساطير صارت واقعًا في زمن أبو العساكر.

وقال نزار:

- علينا أن نصدق أنفسنا. على الأقل نحن أصدق من أبي العساكر ورجاله.

قالت شهيرة:

- وجدت نفسي أقفز من فوق السطح إلى الأرض. بيتنا من دورين وكان يمكن أن أموت لكن الذي حدث أني لم امت وصرت أجري على شريط السكة الحديد أسرع من اي قطار.

قال أحمد خشبة:

- حتى هذه السرعة لا تأتي بكِ في ساعتين يا شهيرة. أكيد باتة هنا منذ أمس وتضحكي علينا مع شيماء.

قالت شهيرة وهي تهز رأسها في سعادة:

- ما إن جريت قليلًا بين الفلنكات حتى ظهر الحصان المجنح الذي رأيناه يوم أفاقتنا هديل الشامية. سعاد حسني كما يقولون، وهو يحملها ويطير بها بين السحب. هذا ما حدث بالضبط.

هنا سكتوا وبدا أنهم يصدقونها. أخذتها ماهيناب في حضنها وقبلتها وكذلك فعلت نورهان التي قالت: «خايفة عليكي يا شهيرة»

كانت شهيرة قد شردت عنهم قليلًا ثم قالت باسمة:

- لقد اختفى الحصان المجنح من تحتي وصار لي جناحان أطير بهما لكن ما إن اقتربت من البيت حتى صرت قطة.

نظروا إليها في خوف وحيرة. ما الذي جرى لشهيرة منذ اختطافها!
ثم قال نزار:

- كلنا خايفين على شهيرة لكن فلنترك الحديث في أي شيء يتعلق بأحوال البلاد ولتقولوا لي ماذا تحبون أن تسمعوا من موسيقى؟

قالت شيماء:

- نفسي أسمع فريق الآبا وموسيقى السبعينيات. بابا كان بيحبها أوي وما زال يسمعها في البيت. يقول دايمًا كانت الدنيا حلوة.

- موسيقى السبعينيات تحتاج أن ترقصوا يا أولاد. انسوا السياسة وافرحوا.

هكذا هتفت ماما كريمة.

لكن كل هذا الفرح لم يكن ممكنًا أن يكتمل. في منتصف الليل جاء خبر انفجار كنيسة الصاحين في المدينة الساحلية فاروس مدينة ماهيتاب. الكنيسة نفسها التي تم تفجيرها العام السابق بعد أن تم ترميمها هذا العام.

جلسوا يتابعون الفضائيات وهي تذيع وقائع الانفجار ومشاهد نقل القتلى والجرحى من داخل وخارج الكنيسة وهتف أحمد خشبة:

- عملوها أولاد الكلب من تاني. أغبياء يتصورون أنهم سيدخلون بالبلد كعادتهم في منحنى الفتنة الطائفية لتأجيل الثورة. لم يتعظوا من درس العام السابق.

وقفت شهيرة وقد ظهر على وجهها الغضب وهتفت وهي ترفع يديها أمامها للسماء: أقسم بالله العظيم لن يثنينا شيء عن الثورة يا لاوند وعن إقصاء أبي العساكر ومدير «مُز» ووزير «مَم» وكل رئيس لشيء يعمل مع هذا الظالم.

لم يعد في الليلة ما يكفي من الفرح. ظل الطعام الذي أحضرته ماما كريمة وجهزته على منضدة السفرة الكبيرة وانفرد كل منهم بنفسه ودخل إلى صفحات الإنترنت. قالت شيماء غاضبة: «الثورة جاية جاية» هاشتاج الليلة يا لاوند.

#الثورة_جاية_جاية. يا بو العساكر وبكرة تشوف العساكر لما تقلع هدومها.

#الثورة_جاية_جاية. أطلق كلابك في الشوارع وبكرة تاكلهم القطط.

#الثورة_جاية_جاية. مش حنقع في المسيحين. إيد واحدة على كل ظالم يا ولاد التيت.

#الثورة_جاية_جاية. كلها 3 أسابيع وحتشوف المسلمين والمسيحين في الشوارع مع بعض ضدك يا بو العساكر.

#الثورة_جاية_جاية. عاش الهلال مع الصليب. عاش الهلال مع الصليب.

#الثورة_جاية_جاية. مش جديد علينا ألاعبكم القذرة. تاريخكم معروف وما حدش حيصدقكم.

#الثورة_جاية_جاية. بكرة تلفقوا التهمة لواحد غلبان وتقتلوه لكن برضه مش حنسيبكم. حنفشخكم.

#الثورة_جاية_جاية. الدم ماشي من فاروس بيلف شوارع لاوند واسألوا الناس في البيوت إزاي دخل عليها من تحت العتب.

#الثورة_جاية_جاية. كنا بنتحول لقطط علشان نهرب من سجونكم. حنتحول لقطط علشان ندخل بيوتكم وناكلكم.

#الثورة_جاية_جاية. كل البنات حتبقى سعاد حسني وكل الشباب حيبقى كينج كونج. بكرة تشوف يا بو العساكر.

#الثورة_جاية_جاية. شفتم آخرتكم يا بتوع النصيحة والهدى ويا بتوع الدقون. وزير «مَم» قتل أهلنا.

#الثورة_جاية_جاية. مشاهد الدم في الكنيسة وخارجها لا تحتمل يا ناس. صوت البكاء طالع للسما. أكيد ربنا مش حيسيب حقنا.

#الثورة_جاية_جاية. يا يسوع لا تغضب منا. سنخرج من سلامنا إلى الدم. لا سلام مع وزير «مَم». لا سلام مع أبو العساكر.

#الثورة_جاية_جاية. دم ولادك يا لاوند مش حتشربه الأرض حيفضل لحد ما نقضي على الظالم. حتطلع بيه أشجار الرمان.

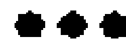
#الثورة_جاية_جاية. كل البيانات اللي حتقولها الدولة كذب ومش حنصدق إلا ما نشوف أبو العساكر ورجاله في قفص الاتهام.

#الثورة_جاية_جاية. ربنا قال لمريم وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليكِ رطبًا جنيًا. ابن مريم بيتصلب من جديد.

#الثورة_جاية_جاية. فليكن العام الجديد بداية لدنيا جديدة. إلى الثورة. إلى الثورة. إلى الثورة.

#الثورة_جاية_جاية. بتعيدوا تفجير نفس الكنيسة.

#الثورة_جاية_جاية. مش مكفيكم السلفي الغلبان اللي قبضتم عليه السنة اللي فاتت وقتلتوه من التعذيب حتتهموا مين السنة دي؟



لا يعرفون كيف مضت الليلة وكل متوحد مع جهاز اللاب توب أو التابلت أو الموبايل. لقد رأوا أنفسهم معًا حول منضدة السفرة في الصباح وقد جهزت ماما كريمة لهم الإفطار ليتناولوه في صمت ثم يغرقوا إلى أعمالهم أو بلادهم. بينما كان وزير «مَم» يغتسل تحت الدش بعد ليلة قضاها مع هالة أورجازم غير معني بما جرى. وعندما خرج من غرفته السرية إلى مكتبه دخل عليه العقيد مؤثر متسائلًا:

- ماذا سنفعل فيما حدث أمس؟

أجاب:

- لا علاقة لنا بما حدث لذلك لم أهتم. جهاز آخر هو مَن فعل ذلك.

وقف العقيد مؤثر حائرًا ثم قال:

- لكن يا افندم الدنيا كلها تقول إن العملية قام بها رجال الوزارة.

مطّ وزير «مَم» شفتيه وقال:

- أدخل الإفطار للأساتذة هالة وربنا يعمل ما فيه الخير.

مشى العقيد مؤثر من أمامه ووقف وزير «مَم» يقول لنفسه: «عرف رئيس «مُز» علاقتي بسعاد حسني فقرر أن يفسدها. كان يريد أن نعيد الانتخابات ونغير نتيجتها ليتحقق للناس أن هذا عام جديد وها هو يعيد نفس العام. سيخربها ولن أسمح له بذلك. لقد وعدت سعاد حسني بالخير ولا يمكن أن أفعل غير ذلك أبدًا».

لكنه كان يبتسم ابتسامة الكاذب الذي ربح الرهان ولم يدرك ذلك أحد.

27

جلس نزار في حجرته وأمامه اللاب توب على مكتبه يتابع ما يكتبه الشباب عن 25 يناير القادم بعد عشرة أيام. كان مطر كثير في الخارج. انتقل إلى صفحة ماهيتاب فقرأ فيها: «قابلت اليوم السيدة إكرام. لقد أفرجوا عنها. قابلتها في مطعم إسبرطة. قمت أصافحها فأخذتني في حضنها تقبلني لكنها لم تتكلم. كلما حدثتها لم تتكلم. كان معها زوجها الذي قال لي لقد فقدت النطق في محبسها الانفرادي الذي طال بها. لقد أفرجوا عنها حين وجدوها قد حدث لها ذلك. خافوا أن تصل إلى المحكمة ويظهر ذلك أمام القاضي ويعرف أن حبسها هو السبب. سألتها هل عذبوها فهزت رأسها بالإيجاب لكنها لم تستطع أن تقول كيف حدث ذلك. قال لي زوجها إن ضابطًا كان يفتح فمها ويكوي لسانها بسيجارته المشتعلة. لسانها كما ترين متورم وعليه أدوية الحروق. لم أكن لاحظت ذلك. قلت له لا تترك حقها ولن نتركه. أخذته إلى المحامي الثوري عصام القهوجي ويتولى الآن رفع قضية على وزارة الأمن والأمان ووزيرها. شفتم يا شعب ماذا يفعلون بالنساء الأطهار؟»

وجد أن خمسمئة شير للبوست قد حدثت في التو. الثورة قادمة بقوة يا نزار. ابتسم سعيدًا يشعر بالثقة تملأ صدره. هل يحب ماهيتاب ولا يدري. لقد أحس أمس بميل كبير لشهيرة التي سافرت لكنه يشعر أن باب الحب لا يزال موصدًا بعد الفقد الذي تعرض له. ما الذي يمكن أن يفتح باب الحب الآن. ربما الثورة تغير من كل شيء. ورأى صورة وجه شهيرة تتحرك أمامه في الغرفة. فتح صفحتها على تويتر. لم يجدها قد فعلت ما اتفقوا عليه. الهاشتاج الخاص بسعاد حسني. مضت أيام ولم تبدأه. لقد قرروا أن تبدأه هي باعتبارها شاهدة على ما جرى. لكنه وجد على صفحة شهيرة فيلمًا قصيرًا من اليوتيوب عنوانه انظرو إلى هذه الفتاة المجهولة ماذا تفعل أمام مبنى «حماية الدولة». أخذ يتابع الفيلم. رأى فتاة صغيرة الحجم تبدو لا تزيد على السادسة عشر. لا بد أنها أكبر من ذلك. كانت تقف أمام وزارة الأمن والأمان وتهتف:

«مش حنقدر مش حنقدر

إحنا نقدر إحنا نقدر»

« حبستونا وقتلتونا وسرقتونا

وقاعدين على قلب اللي جابونا»

أدهشه أن الجنود والضباط يقفون بعيدًا لا يتحركون إليها ولا يحاولون الاعتداء أو القبض عليها «لقد استمرت الفتاة وقتًا طويلًا

تهتف ولا رد فعل من الشرطة. هل يكون ما تردد من أن وزير الأمن والأمان لديه تعليمات من سعاد حسني أن لا يقبض على أحد صحيحًا حقًا؟ ألا يمكن أن تكون هذه خرافة جديدة من الخرافات التي تنتشر في البلاد. لكنها تسب رجاله مباشرة. ألا يخشى وزير الأمن والأمان على نفسه من أبي العساكر. أو حتى من رجاله! لقد انتهى الفيلم القصير والفتاة تهتف فقام هو بدوره بعمل «شير» للفيلم الذي رأى أن عشرين ألفًا «شيروه» على صفحاتهم.

لم يتنبه نزار أن الفيلم تم تصويره وتحميله على اليوتيوب في الوقت الذي جرى فيه منذ ساعة أو أقل. كان وزير الأمن والأمان «مَم» في مكتبه يعرف ماذا تفعل الفتاة وكلما فكر في إصدار أمر بالقبض عليها وجد سعاد حسني تنظر إليه من فضاء الغرفة. صار يمشي بين جدرانها والعقيد مؤثر يقف في حيرة ويقول:

- يا افندم حضرتك أمرت أن لا يتم القبض على أحد حتى 25 يناير لكن البنت تقف أمام الوزارة وتشتمنا. لا بد أن نقبض عليها.

هنا انفجر فيه الوزير قائلًا:

- ابعت هات لي حالة أورجازم. دي بلد ما فيش فيها قابدة ولا رجا وأنا لم أعد قادرًا عليها.

خرج العقيد مؤثر حائرًا. ما إن جلس إلى مكتبه حتى تحدث هامسًا في الموبايل. أخبر مدير «مُز» بما يحدث فقال له:

- هذا المجنون لا بد أن يخرج من الوزارة.

وقرر أن يقوم بشيء لم يفعله من قبل. أن يطلق الثعبانين من يديه ليلًا يمشيان في الطرقات ليصلا إلى مقر الوزراة ويدخلانها ويخنقا وزير الأمن والأمان. وقف يضحك في غرفة نومه الملحقة بمكتبه السّرّي في الصحراء. هل يمكن أن يفعل ذلك؟ لم لا؟ لم لا يحاول؟ إذا خذله الثعبانان سيعودان ولن يخسر شيئًا. وإذا داست عليهما السيارات لن يتأثرا، بل ويمكن أن يصعدا فوق العمارات. إنه على ثقة أنهما يصلان إلى عشرات الكيلو مترات ما دام لم يسحبهما إلى يديه.

راح ينظر إلى يديه وقد خرج من كل من إصبعيه الأوسطين ثعبان رفيع. فتح لهما باب الغرفة ومشى معهما في الصالة وفتح لهما الباب الخارجي إلى الفضاء في الصحراء. كان هناك عدد من الحراس ما إن رأوا ذلك حتى انتفضوا وشرعوا أسلحتهم الآلية لكنه قال لهم اتركوا الثعبانين إنهما يتبعاني. كان ذهول الحرس كبيرًا جدًّا حتى أن بعضهم انتفخت أوداجه وكادت عيونهم أن تخرج من مآقيها. راح الثعبانان يتحركان ويطولان وهو يقف أمام الباب يضحك وأمامه تمتد الصحراء إلى ما لا نهاية. هل سيعرف الثعبانان طريقهما. لقد عرفا ما في نفسه وسينفذان ما أراده منهما!

- أحضروا لي مقعدًا. سأجلس وسط البرد أمام الباب.

بسرعة أحضروا له مقعدًا من الجلد وجلس عليه في بذلته العسكرية ينظر إلى يديه ويضحك. كان الثعبانان قد طالا كثيرًا بينما

ظل هو يضحك كثيرًا أيضًا. لا أحد يعترض طريقهما حتى الآن. لم يشعر بأي ألم خفيف يصل منهما إليه.. عيونهما ثاقبة وتعرفان طريقها ولسان كل ثعبان يسبقه أمامه يشم له الطريق.

كان الجو باردًا والظلام نزل على الدنيا، وكأنما اتفاق بينه وبين سكان لاوند عاد أكثر الناس إلى بيوتهم مبكرًا هروبًا من المطر أو البرد. كان المطر أمامه هو الذي يجلس محتميًا بسقف الشرفة العليا للمبنى الصغير والظلام يكاد يخفي عنه الثعبانين بعد مسافة عدة أمتار قليلة، لكنه كان يشعر بحركتهما ويبتسم ويكاد يضحك فحركتهما تصل إليه دغدغة في أطراف يديه وتصل إلى ذراعيه والحرس يحيط به مندهشين من ابتسامه وضحكه مرات قليلة سريعة.

- كم الساعة الآن؟

- العاشرة مساءً يا سيدي.

- إذن مضت ساعة.

قال ذلك وهو يبتسم سعيدًا. لقد صارت الدغدغة في أطراف يديه أقوى لكنه انتبه فجأة أن ساعة وقت طويل لتصل إلى مكتب وزير الأمن والأمان. أين يكون قد ذهب الثعبانان؟ هل ضلَّا طريقهما. هل يجذبهما من جديد؟ ارتبك لحظات لكنه قرر أن يتصل بالعقيد مؤثر. طلب تليفونًا محمولًا من أحد الحراس وأمره أن يتصل بالعقيد مؤثر ثم يعطيه له، فهو لا يستطيع أن يطلب أرقامًا والدغدغة في أطرافه لكن

الحارس قال لا رد. التليفون مغلق. هل أرسل إليه رسالة يا افندم؟ مط شفتيه ثم ضمهما إلى أسنانه ولم يرد. فليحدث ما يحدث. أين سيكون قد ذهب الثعبانان؟ ربما راقت لهما الطرق ويمشيان قليلاً على كورنيش لاوندة ونهرها العظيم. لن يحرمهما من المتعة. ولم يكن يدري أن أبو العساكر نائم جوار زوجته التي فتحت عينيها مندهشة وهي تنام على جانبها الأيسر ووجهها إلى وجهه هو بدوره الذي نام على جانبه الأيمن. لكزته أيقظته وقالت له ضاحكة:

- ماذا تفعل في ظهري؟

نظر إليها مندهشًا وهو يفتح عينيه. لم يتكلم للحظة وقال لها:

- أنتِ ماذا تفعلين في ظهري؟

ضحكت لكنها انتفضت قائلة:

- يا لهوي. يداك إلى جانبك وشيء ما يمشي على ظهري.

بدوره انتفض جانبًا. لقد أحس بنفس الشيء يمشي على ظهره بينما يرى يديها جوارها. جلسا مسرعين إلى ظهر السرير بظهريهما ورأيا أمامهما الثعبانين يقفان أمام السرير رافعين رأسيهما إليهما.

- ما هذا؟

صرخ أبو العساكر وهي تكورت في رعب. رأى الثعبانان يدخلان من الباب المفتوح ولانهاية لهما. قال صارخًا:

- مَن فتح الباب؟ قلت لكِ ألف مرة لا تفعلين ذلك ونحن نيام.

لكنها كانت تتكور في رعب أكثر ولا تجيب. تفكر أن خلف الباب أبوابًا أخرى وليس بابًا واحدًا. فجأة صرخ ثعبان منهما مصدرًا أزيزًا مميزًا وانضم جزؤه الخلفي الذي لا يريانه إلى رأسه أمامهما وصار في مسافة لا تزيد على نصف متر ساقطًا على الأرض. وبين دهشة أبو العساكر الذي تجمد تمامًا حدث الشيء نفسه للثعبان الآخر. ودخل إلى الغرفة فجأة قائد الحرس مسرعًا في يده ساطور كبير وقال:

- لقد رأيت الثعبانين فقطعتهما.

نظر إليه أبو العساكر بينما فتحت سناء هانم عينيها ثم اندفعت باكية إلى صدره. قال قائد الحرس:

- لا تخافي سيدتي. كنت أمر على الغرف والقصر كله كعادتي وجدت الثعبانين قد دخلا من نافذة المطبخ المفتوحة على الحديقة. لم أصدق نفسي وأنا أرى طولهما لا ينتهي في الحديقة ويرتفع فوق السور ليتدلى إلى الخارج. قطعت الثعبانين اللذين أدركت أنهما سيتجهان إلى هنا.

كان الثعبانان على الأرض ممددين لكن رأس كل منهما يتحرك في كل اتجاه فاتجه إليهما قائد الحرس وهشم الرأسين بالساطور وسكنت حركة الثعبانين.



وقف مدير «مُز» منهولًا. فالثعبانان يتدليان من يديه لكن لا حركة
لقد أحس بالألم شديدًا في يديه وراح يضمهما إليه فلم ينضما. كانا
ينضمان من قبل بمجرد الرغبة في ذلك. مجرد أن يصدر إليهما أمرًا
برغبته دون كلام. وقف وراح يهز ذراعيه وحركة الثعبانين مثل حركة
أي حبل لا روح فيه. لف الثعبانين على يديه فالتفا لكن بدا أنه لا نهاية
لهما. أحس أيضًا بجلدهما صار باردًا. لقد فقدا كل مظاهر الحياة. انهار
جالسًا. مَن قتل الثعبانين وكيف يضمهما قبل أن يكتشف مصدرهما
أحد. راح بسرعة يشدهما إلى يديه ثم ذراعيه حتى انهار جالسًا متعبًا.
طلب من حراسه أن يجمعوهما بسرعة فراحوا يجذبونهما بقوة
ويديرونهما على ذراعيه لكن بدا أيضًا أنهم سيحتاجون وقتًا طويلًا.
كان أبو العساكر يأتي خلف الثعبانين في سيارة سوداء ومعه قائد
حرسه. قال له:

- رئيس «مُز» هو مَن يطلق الثعابين. المهم أن نلحق به قبل أن
يختفي.

سأل قائد الحرس:

- ماذا ستفعل يا سيدي؟

أجاب أبو العساكر:

- ماذا تتصور أني سأفعل به؟

قال قائد الحرس:

- أخنقه بهما.

قال أبو العساكر:

- لا. سألقي به وهما معه إلى العصور القديمة يتعلق بهما في الأشجار حتى تأكلهما الوحوش ثم تأكله.

28

شمس حانية تشرق على بلاد اللاوند. شمس تعلن أن هذه البلاد جميلة وسط الدنيا. ترفع الأنظار إلى بهاء الفضاء على البحر وحول النهر وفي الشوارع البعيدة والأزقة في العشوائيات. راح الناس يتساءلون مندهشين هي «البلد حلوة كده ليه؟»

المدارس أخرجت تلاميذها إلى الأفنية أمام الفصول. المصانع أخرجت عُمّالها أمامها وعلى أسطحها يتطلعون إلى الضوء الباهر. كأنما كانت البلاد في غيم لا ينقطع آلاف السنين ثم انجاب عنها. كل مَن في المقاهي وقفوا أمامها على الأرصفة يتطلعون إلى السماء. امتلأت الشوارع بالألوان الزاهية لملابس النساء والرجال. على الأسطح صعد مَن في البيوت يقفون رافعين أذرعهم إلى أعلى يتنسمون هواءً عليلًا لم يعرفوه من قبل. طارت الرسائل القصيرة بين الهواتف المحمولة تطلب الصفح ممّن أصابهم ضرر من العشاق. تطلب الغفران. استقرت على الشفاه بسمات طفولية حملت عذوبة الملائكة. خلع الرجال والنساء ثيابهم الشتوية وارتدوا أزياء الربيع. خلعت الكثيرات من النساء الحجاب والنقاب وتركن شعرهن في

الطرقات للهواء الحاني. كان الواقفون أمام المقاهي يتطلعون إلى الفضاء في دهشة من رائحة العطور التي تسبح فيه ومن الوجوه النضرة للنساء. فكر أكثر من واحد أن لاوند عادت إلى الخلف خمسين سنة. هكذا كانت النساء في الطرقات وكان الرجال وكان الفضاء والعطور السابحة. مَن الذي غيّر الناس والبلاد غير جماعة «النصيحة والهدى» وأهل السلف والنظام الحاكم نفسه لتظل البلاد وأهلها في ظلام؟

مشت السعادة على وجوه المندهشين عريضة وعلى وجوه الآخرين مملوءة بروح الفرح. لم تختفِ الشمس مع المساء. ظلت حانية مبهرة الضوء. في مثل هذا الوقت من كل يوم في الشتاء يدخل الليل كثيفًا. صار مشهد أضواء الشوارع مثيرًا إذ صارت المصابيح كلها فوق الأعمدة صفراء الضوء فبدت مثل عقد من الذهب يطوّق كل شارع وميدان. إلى الميدان الكبير مشى شباب لم يأتوه من قبل وفتيات جميلات كأنهن هبطن من السماء وصارت أصوات الموسيقى تأتي من الفضاء.

صارت ظاهرة الشمس خبرًا في كل الإذاعات الأجنبية والفضائيات التلفزيونية. ما الذي يحدث في بلاد اللاوند؟ ظاهرة كونية لم تحدث من قبل. الشمس تتعامد عليها لا تفارقها رغم أن الأرض لا تزال تدور. هل صارت الشمس تدور مع الأرض وبنفس سرعتها أم توقفت الأرض عن الدوران؟

في الجنوب وقفت شهيرة على سطح منزلها لا تصدق أن الليل لم يدخل على المدينة. في فاروس وقفت ماهيتاب على الشاطئ تتطلع إلى الموج الهادئ وتشعر بهواء البحر العليل وقوس القزح الذي يمتد منذ الصباح بعرض البحر لا يختفي وحولها عدد من الشباب والفتيات في دهشة تترقرق دموعهم غير مصدقين. أكثرهم كان قد فقد حبيبه أو حبيبه والآن يقفون وأيديهم متعانقة كأنها تقسم أن لا يفترقوا أبدًا من جديد. ارتفعت أجراس الكنائس في كل البلاد وارتفع أذان العشاء بأصوات لم يعهدوها من قبل من فرط جمالها. «ما الذي يحدث يا نورهان في بلاد اللاوند؟ ما كل هذا الرضا الإلهي الذي يؤخر الليل عنها؟» كانت هذه رسالة ماهيتاب إلى نورهان فجاءها الرد: «أمشي أنا ونزار وأحمد خشبة ومصطفى وسط لاوندة في الميدان الكبير وحوله غير مصدقين. ناس غير الناس وأحاديث هامسة وعلى الوجوه فرح منسي منذ عشرات السنين».

مضت ساعات وبدأ الناس يعودون إلى منازلهم وتخلو الشوارع والميادين والشمس لا تتحرك والهواء العليل لا يتوقف. نام الناس غير مصدقين وبعضهم ضحك وقال أخشى أن أستيقظ في السابعة كالعادة فأجد الليل قد بدأ بدلًا من الصباح. لم يعرفوا ماذا جرى بين أبو العساكر وزوجته التي قالت له هذه معجزة وبُشرى من الله بعد أن تخلصت من مدير «مُز». وكان وزير الأمن والأمان «مَم» جالسًا طول الوقت وحده يكرر جملته التي قالها للعقيد مؤثر حين بدأ الليل في

الغياب، هل يمكن أن يفرح الكون كل هذا الفرح بزوال مدير «مُز»؟

وحين فكر أن يذهب إلى مقبرة سعاد حسني قال له العقيد مؤثر:

- ما يدرينا أن الناس لم تذهب إلى المقابر لتزور موتاها وسط الليل الذي صار نهارًا. فرصة رؤيتك ستكون كبيرة. ثم ألم تعلم بما فعله مدير «مُز»؟

- أعرف أنه نكش مقبرتها لكنها مؤكد خدعته وعادت إليها. أريد ان أصلي وأشكرها يا مؤثر.

- صلِّ هنا الليلة لها واشكرها يا سيدي حتى نرى ماذا سيحدث غدًا.

لم يكن في مكتبه سجادة صلاة فأحضر له مؤثر سجادته ووقف يصلي وخرج مؤثر من الغرفة. انتهى وزير «مَم» ونادى مؤثر قائلًا:

- افتح النوافذ يا مؤثر. دع النور يدخل والهواء الطيب فلا حاجة لنا بدفء المكيّفات الليلة ولا ضوء المصابيح.

وقالت سناء لأبو العساكر ضاحكة وهي تمدد جواره على السرير:

- أول مرة أنام بالنهار جنبك.

قال لها ضاحكًا أيضًا:

- شكلي رجعت خمسين سنة لورا بعد أن ألقيت بالمجنون الذي حاول قتلنا إلى العصور الوسطى.

قالت:

- كان عليك أن تلقي به إلى عصور قبل الميلاد لتأكله الوحوش.

قال لها:

- لقد كان ما بقي من الثعبانين طويلًا جدًا وثقيلًا جدًا حين أحطناه به. أنتِ لم تشاهديه. بعد أن أحطناه بجسم الثعبانين الميتين صار سميكًا جدًا وبلغ قطره عشرة أمتار. لم أكن قادرًا أن أرسله إلى زمن أبعد من ذلك. لكن اطمئني لقد أرسلته إلى وسط إفريقيا القريبة منا. ستأكله الأسود والنمور فلحم الثعابين لذيذ.

ضمته إليها متصورة أنه بالفعل عاد خمسين عامًا إلى الوراء لكن خذلته قوته الجنسية. صرخت فيه:

- وما زلت لا تعيد نفسك حقًا خمسين سنة؟

سكت في ضيق لحظات ثم قال لها:

- سنفقد أبناءنا. ومَن يدري قد لا نعود فنكون فقدناهم إلى الأبد. هكذا أراد الله وعلينا أن نرضى بإرادته.

في الظهيرة أعلن التلفزيون في كل القنوات أن حديثًا لحاكم البلاد بعد قليل فخلت الشوارع أكثر وامتلأت المقاهي بمَن لم يستطع العودة إلى البيت. سيسمعون أبو العساكر اليوم. لا بد أنه سيتحدث عن ظاهرة الشمس الحانية المتعامدة على البلاد فماذا يقول؟

«بني وطني. في هذه الأيام الجميلة أحب أن أشاركم فرحتكم بتعامد الشمس فوق البلاد منذ أمس. لقد انزاح الليل عن البلاد وهذه إشارة من السماء للخير القادم. لقد أقسمت لله إنني لن أترك مسؤولًا واحدًا يسيء إلى هذا الشعب العظيم. وأترككم الآن تستمتعون بالأشعة الرائعة والهواء الحنون. لاوند طول عمرها بلد المعجزات وأهلها خير أهل الأرض».

وصدحت المساجد بأصوات الشيوخ تقول إن لدينا حاكمًا رضي الله عنه حلت بركته على الدنيا فأضاءتها ولن تظلمها أبدًا!



لكن الذي جرى في المساء أن أقبل الليل مبكرًا، وأصبح الصباح على بلد فارقتها الشمس إذ امتلأت سماؤها بالسحب السود، وبدا أن الشمس لا تجد لها طريقًا تنفذ منه أشعتها. أمضى اللاوندیون يومهم كله في ظلام يشتد في الأماكن العشوائية التي ترتفع فيها البيوت في أزقة ضيقة، وأضاء الناس بيوتهم وشرفاتهم بالكهرباء طول النهار، ومشى مع الظلام الذي رسخ على الدنيا هواء شديد البرودة، فخلع الناس ما ارتدوه من ملابس زاهية وارتدوا ملابس ثقيلة، وصاروا يجرون في الطرقات خوفًا من المطر الذي يمكن أن يفاجئهم. على الطرق السريعة توقفت العربات تقريبًا عن السير فكلها تمشي ببطء شديد، وارتفعت صيحات الشجار بين أصحاب السيارات وبين قائدي التاكسيات ومن ركب معهم إذ كان أكثرهم يود أخذ طريق آخر،

ولـم تُجدِ محاولة قائدي السـيارات فـي إقناعهم أن الطرق كلها شـبه مسـدودة، وارتفعت اللعنات على أبو العسـاكر وظهوره في التلفزيون إذ اعتبروا ما جرى تحـديًـا لازمهم بسـببه، وحلت لعنات الشباب على شيوخ المساجد، وظهر على تويتر هاشتاج جديد.

#مبـسوطين_ياشيوخ_الوالي. أهي ضـلمت.

#مبسوطين_ياشيوخ_الوالي. لحـد إمتـى حتفضـلوا خدامين للحاكم. نحـكم دا والا مش نحـكم.

#مبسوطين_ياشيوخ_الوالي. دايمًا مستعجلين. ما تستنوا تشوفوا يمكن تحصل مصيبة تطلعكم كدابين. يخرب بيت الفلوس.

#مبـسوطين_ياشيوخ_الوالي. قولـوا لنـا أي حاجـة عـن الولـد السـلفي اللي قتلوه السـنة اللي فاتت بعد انفجار الكنيسة وقبضوا عليه تاني السنة دي!

#مبسوطين_ياشيوخ_الوالي. نفدتـم من تعاين مدير «مُز» لكن مش حتنفدوا من تعابين وزير «مَم» ولا أبو العساكر.

#مبسوطين_ياشيوخ_الوالي. أبو العساكر دلوقت يعمل تدريبات يطلع تعابين من إيديه علشان يخنق بيها اللي بعارضوه.

#مبسوطين_ياشيوخ_الوالي. لا وحياتـك اللي بيعمل التدريبات دي وزير «مَم» ما أخدش درس من اللي حصـل لصاحبه.

#مـوطين_ياشيوخ_الوالي. حتطلع الشمس يوم 25 يناير ومش حينفع الهبـل اللي عملتوه ووقّفتم بيه السـنين. أهـي رجعت غصب عنكم.

والحقيقة أن الحاكم أبو العساكر تشاءم جـدًا مما جرى وحلّ في البـلاد من ظـلام بعد خطبتـه. لم يصـدق أن ذلك حـدث صدفة. لقد أوعـز إليـه وزير «مَم» بهـذا الحديث في اجتماعه به مع السر عسكر ناظر الحربية الذي صار هو أيضًا مدير «مُز» المؤقت. الحقيقة أن وزير «مَم» لم يشأ للسر عسكر أن يسبقه في اقتراح شيء طيب على الحاكم. لقد خلصه الحاكم من مدير «مُز» ويجب أن يضيّق على السر عسكر الفرصة. ومن المؤكد أن الشمس ستختفي لكن لن يكون بعدها ظلام مثلما كان من قبل. رأى ابتسامة السر عسكر الذي جلس صامتًا معظم الوقت. استراب فيها ثم قال في نفسه ما الذي يمكن أن يحدث من جراء اقتراحه غير الخير. ثم إنه لم يكن اقتراحًا من بنات أفكاره. كان قد اجتمع مع رجاله الكبار اللواء سرّي فايز رئيس حماية الدولة وسعاد فايز رئيس قوات مكافحة الشغب وسنقر فايز رئيس المباحث العامة وسامح أبو قرش رئيس مكافحة المخدرات وسامي أبو عامود رئيس الإعلام وكان هذا هو رأيهم أيضًا. ناقش معهم ما يمكن أن يحدث لو انقلب الجو وأظلمت الدنيا بعد حديث الحاكم، وقالوا له لن تكون مظلمة أبدًا كما كانت من قبل، ولو حدث وأظلمت ستزداد ثقة الحاكم فيه بعد التقارير التي وصلته من كونه طامعًا في الحكم. سيعتبرك إنسانًا

عاديًا يا سيادة الوزير ليس لديك إمكانات أخرى من أي نوع. وقال هو ضاحكا: «يا رب يعتبرني أهبل»، واندهش مما قاله رجاله إنه آن الأوان أن يأخذ موقع الحاكم. كيف عرفوا ذلك عنه بينما لا يعرف عنه ذلك إلا العقيد مؤثر. هل يكون قد خانه أم يكونوا هم توصلوا إلى ذلك من مراقبته، وفي كل الأحوال أليس من المحتمل أن يكونوا أبلغوا الحاكم؟ كان لا يعرف أن الحاكم يعرف من تقارير رئيس «مُز» ومما تنقله له زوجته عن طريق عيونها. وربما كان يعرف وأنسته الأحداث. إن تركيزه مع سعاد حسني جعله لا يدرك ما حوله. هذه مصيبة يا سيادة الوزير. قال لنفسه ذلك وهو يمط شفتيه ويهز رأسه.



قال الحاكم أبو العساكر لزوجته:

- هذه أول مرة أشعر باليأس. ما كان لي أن أخطب.

- قلت لك لا تستمع لاقتراحات وزير «مَم».

- أنا طبعًا لم أؤمن بكلمة واحدة مما قلت لكن لم أكن أتصور أن النتيجة ستكون هكذا. ظلام دامس لعدة أيام الآن.

ثم سكت لحظات راحت هي فيها تنظر إليه وسألته في قلق:

- فيمَ تفكر حقًّا؟

- في إجازة طويلة لأنك لن تصدقيني إذا قلت لكِ أفكر في مغادرة هذه البلاد. جدي يأتيني كثيرًا في الأحلام.

توقف عن القول إن سعاد حسني تأتيه على ظهر جده لكنها سألته وهي تنظر إليه في استهتار:

- أي إجازة؟ أنت في إجازة طول الوقت..

وابتسمت وهي تضيف:

- ثم هل تعرف معنى اسم جدك؟

- أعرف. وبالمناسبة لم يقله لي الأستاذ برقوق بتاعك.

نظرت إليه من جديد في ارتباك هذه المرة فقال:

- اسم غريب لحيوان أسطوري نصفه الأسفل حصان والأعلى لرجل. أسطورة يونانية لا أعرف كيف وصلت إلى لاوند. ربما كان جدي الأكبر بحارًا زار اليونان وعاد بالاسم لابنه. لجدي يعني.

قالت ضاحكة:

- أو تاجر قطن!

نظر إليها. حقًا هي تعرف كل شيء عنه ولا تنساه. قالت:

- مهما كان جدك فاتبه. لا معنى لهذا الحنين. وربما إذا ذهبت إليه لا تعود.

قال ضاحكًا:

- لن أذهب وحدي. سآخذك معي.

هتفت:

- هل أنت مجنون؟

- أجل.

- وابنك الذي ينتظر الحكم.

- ينتظر حتى أعود.

- ماذا تعني؟

- أعني أني تعبت وغير قادر على تسليم الحكم لابني في هذه الظروف ولا أستمتع بوقتي ولا بالقدرات التي وهبني إياها الله. إنها قدرات تعينني على التخلص من أعدائي فقط لكني أظل أعاني في حكم اللاوند واللاونديين. كما أننا كنا قساة مع الشباب جدًا. لا يجب أن نفعل بهم أكثر مما فعلنا. إنهم شباب لاوند في النهاية نتركهم ليجربوا الحياة من غيري قليلًا. على يقين أنا أنهم لن يجدوا أفضل مني وسيظهر من بينهم مَن يطالب بعودتي.. ما رأيكِ أن تساعديني على ترك البلاد لنعيش في عصر سيدنا آدم؟ حتى لبعض الوقت.

حملقت فيه ودهشتها تزداد فقال:

- أجل. وإذا لم نعد. وإذا لم يخرجوا للنداء بعودتي نبدأ نسلًا جديدًا من البشر.

ابتسمت ساخرة فقال:

- طبعًا تندهشين مما أقول بعد كل ما فعلته في البلاد والناس.

قالت ساخرة:

- لا. فقط أندهش من طيبتك التي ظهرت فجأة ونصف فلوس البلد تم تهريبها خارج البلاد ناهيك عن المساجين والمعتقلين والتعذيب. هناك شيء آخر تخفيه عليّ!

كاد يقول لها عمَّا يشعر به. حنين غريب إلى زمن سحيق حقًّا لكن ليس بسبب ما قال. لكنها سعاد حسني التي لا تتركه في الأحلام. يرى ويشعر أنها هي التي ستعيد إليه صباه حتى لو أخذته إلى جده القنطروس. إنه ليس مرعبًا كما رآه أول مرة. جد رائع لرجل قوي يتمدد نصفه الأسفل ليكون مهرًا رائع الجمال. لو رآه حقيقة ربما عاد مثله خاصة أن سعاد حسني لن تتركه. ما يخايله من إحساس أنه ربما فقد قدرته على إلقاء الناس في عصور أخرى. فكر أن يجرب فيها دون أن يخبرها بشيء ليتأكد أنه لا يزال على حاله، لكن هل يمكن أن يستدعيها من جديد لتعود به إذا خذلته سعاد حسني وإذا خذله جده القنطروس؟ لقد صارت تحمل شيئًا من قدراته التي يشعر بضياعها لكن ذلك ليس مضمونًا أبدًا. لم يفعله من قبل. حين ألقى بالسر عسكر أنقذه مدير «مُز» وعاد به. لم يلقه بعيدًا ولا في زمن بعيد. القنطروس، جده، بعيد جدًّا قبل أن يكون هناك زمن. لكن أين ذهب حقًّا ما خيل إليه في القصر منذ عام حين امتدت من يديه

أطـراف لا تنتهـي وحين هبطت الطيـور إلى أرض القصـر تلتقط حبوبًا لا يعرف مصـدرها؟ هل يمكن أن تحمل أطرافه زوجته إلى مكان وزمان بعيديـن ثم يجذبها فتعود بها؟ سـيكون ذلك أكثـر ضـمانًا من أن يلعب معها مجربًا قدراته التي يشـعر أنها يمكن أن تكون ضـاعت. أجل. شيء من الضعف يسـري في جسـده وشيء من الشـك يكاد يزلزل قدميه. إن التقاريـر الـواردة إليـه من الأجهـزة الاسـتخباراتية تقول إن الاسـتعداد للثـورة الجديـدة يتفوق على ما جرى العام الماضي. الآن مع الشـباب قـوى خرافية على رأسـها الممثلة المحبوبة سـعاد حسـني التي يمكن أن يكـون ظهورهـا له خدعة كبيرة خاصة أنه لـم يكتمل له حلم بها ولم يحتلم! إن اختفاء كينج كونج كل هذا الوقت عن الظهور يعني أنه يسـتعد لظهـور أكبر وأقـوى. لقد حدثت عمليـة اختفاء كبيـرة للقطط من حياة الناس. من الشـوارع والبيوت والأسـطح والخلاء والمطاعم وكل مكان مما يعني أن مَن جمعها يمكن أن يطلقها في الوقت المناسـب. يعرف أن سـعاد حسـني تخرج من قبرها كل مسـاء حين ينتصف الليل تركب مهرها المجنح وتطوف به فوق سـماء العاصمة لا ونلدة لسـاعات، ثم تنزل وسـط المقابر يتلقفها كينج كونج قبل أن تصل إلى الأرض ويدخل بها مقبرتها ولا يخرج. يبتسـم سـاخرًا مـن التقارير التي صارت تعتني بالخرافات كأنهـا حقائـق لكن مَن الذي رسّـخ الخرافـات في أذهان النـاس إلا هو ورجال النصيحة والهدى. لكن بما أنه هو أيضًـا يشـتاق للقنطـروس إذن فالتقارير حقيقية! لقد كان يتصـور أنه ومدير «مُز» الخرافتان الوحيدتان،

لكن ظهر له الآن أن الخرافات هي الحقائق. ليكن. لن يرعبه ذلك ولا يجب أن يهتز. فليحمل زوجته ويطلق أطرافه وليرى إلى أين تنتهي. هو على يقين أنه سيعود بها. أو ستعيده سعاد حسني على فرسها المجنح أو سيعود به جده القنطروس!

وقف أمامها قائلًا:

- لقد مضى عام كامل ولم يعد ابنك الذي تقولين لي إنه مستعد لتولي الحكم؟

ابتسمت وقالت:

- لا بد أنه سعيد مع نساء تاهيتا.

- ما رأيك أن نذهب إليه؟

اندهشت وقالت:

- الآن؟ والبلاد على حافة ثورة؟!

- نذهب إليه ونعود بسرعة. نطمئن على أحواله.

تساءلت:

- بالطائرة؟

- لا. على طريقتي. أحملك وأطير معك في الزمان والمكان.

ضحكت وقالت:

- هرمت وخرّفت يا مولاي. هل نسيت أنك لا تستطيع أن تعبد من تقذفهم في الزمان؟ كيف إذن ستعود بنا؟

- صحيح.

قال ذلك شاردًا فقالت ضاحكة:

- هل عرفت ما فعله مع لانجيري نساء «النصيحة والهدى»؟ فكّرت بعمق كما قلت لي. فكرت بعمق أن يدخل الجراد غرف نومهن ويحمل اللانجيري ويطير بعيدًا، وأصبحن فوجدن الجراد في دواليبهن.

- وكيف عرفتِ أن ذلك حدث بالفعل؟

- البصاصون بتوعي من النسوان!

قال مسرورًا:

- إذن صارت لك كرامات!

- أحسن من كراماتك.

هو الذي يعرف أنه تمنى لها أن يحدث ذلك. لكنه قرر أن يفعل ما فكر فيه. يقذفها ويعيدها وهو يقف في مكانه. قال:

- إلى هذا الحد؟ طيب خذينا لابنك وبما أني لن أقذفك سأحتفظ بقدرتي أن أعيدك وأعود معك.

فتحت عينيها على اتساعهما يراودها الإغراء وقالت:

- هل أنت متأكد من قدرتك على العودة بنا؟

- متأكد طبعًا. لي مرة واحدة دائمًا كما قلت لك من قبل. ذهاب أو إياب. ثم إني لن أتركك من يدي. لا تتمني شيئًا آخر.

أخذت نفسًا عميقًا وأغمضت عينيها مبتسمة وقالت:

- هه. طيب. فلنجرب.

وأمسكت به من وسطه وهو يحاول الابتعاد عنها وهي تضحك وتقول:

- هل نسيت أنك منحتني القدرة على أن يحدث ما أفكر فيه. لن تفلت مني الآن فلا تقاوم. ستعبدنا وأنا متأكدة من ذلك. سأحملك أنا.

- يا مجنونة ارجعي في كلامك. أنا باهزر.

- سأذهب بك إلى ابنك لا إلى جدك. لا تخف. ابنك في زماننا.

لكن طالت أطرافها به وانفتح السقف وخرجت منه جميع أطرافها تحمله أمامها وتحملها خلفه. صرخ:

- يا مجنونة ارجعي في كلامك. أنا الذي كنت سأحملك.

ولم يعد أحدهما يسمع الآخر. لقد انفتح لهما سقف القصر وصارا بين السماء والأرض، ثم ارتفعا فوق السحب وطارا فوق جبال

وهضاب وأنهار وبراكين وصحاري وشاهدا زلازل وانهيارات وبحارًا تُغرق البرّ وطيورًا تقع من السماء وجليدًا يتجمد وجليدًا يذوب وملابسهما تقع من عليهما شيئًا فشيئًا ولا هو قادر على العودة ولا هي تتذكر من أين جاءت وإلى أين تذهب وسُمعت أصوات ديناصورات وحشية تملأ الفضاء وهما ينزلان إلى الأرض وكلما اقتربا شاهداها ترمح وراء بعضها في فراغ الأرض وبين الغابات التي سقطا بها على فرعيّ شجرة متقابلين عاريين تمامًا.

قالت باكية تصرخ:

- أنا أخطأت المكان والزمان. فكرت خائفة أن أضل الطريق فضللته. أعدنا بسرعة إلى حيث كنا.

هز رأسه وأصدر صوتًا وحشيًا وقال:

- مَن أنتِ أيتها المرأة؟ إنسية أم جنية؟

ورأى قنطروس يجري بين الأشجار فهبط إليه صارخًا:

- يا إلهي! هذا جدي. أبي الأول. لقد افتقدته كثيرًا ولا بد يبحث عني.

وجرى خلف القنطروس يناديه «جَدّي» «جَدّي لا تتركني» ولم يعد إليها. كانت سعاد حسني، هديل، عارية إلا من ورقة التوت على فرع شجرة بعيدة تضحك وتصفق.

29

أمام شاشات التلفزيون جلس الشعب اللاوندي كله. في البيوت والمقاهي والنوادي. لا أحد في الشوارع ولا أحد في المحلات ولا أحد بعيد عن شاشات التلفزيون. السر عسكر ورئيس «مُز» الجديد سيقول شيئًا هامًّا للشعب. لقد توقع الجميع أنه سيعلن استقالة الحاكم أو هروبه أو إخراجه من الحكم بالقوة قبل أن تنفجر الثورة اليوم الخامس والعشرين من يناير في منتصف النهار. أجل. ما معنى أن يظهر السر عسكر في وجود الحاكم؟ لا بد أن الحاكم خرج من الحكم.

في منزل نزار اجتمع مع مصطفى ونورهان وأحمد خشبة وشهيرة وشيماء اللتين جاءتا إلى العاصمة. ماهيتاب ظلت في فاروس وقالت إنها مشتعلها نارًا لا يطفئها بحرها. الطبيب محمود محمد محمود ظهر أيضًا عند نزار. لقد تقاربا كثيرًا في الفترة الأخيرة. في منزل زعيم جماعة النصيحة والهدى اجتمع أعضاء المكتب القيادي. في وزارة الأمن والأمان اجتمع الوزير مع رجاله أمام شاشة التلفزيون أيضًا.

الجميع ينتظرون شيئًا لن يقل عن خلع الحاكم وأكثرهم رعبًا وزير الأمن والأمان الذي لا يصدق أن أحدًا بقادر على أن يخلع الحاكم،

ولو كان ذلك قد حدث فسيكون السر عسكر وفي ذلك نهايته أيضًا وترحّم على مدير «مُز» السابق الذي كان لا يبخل عليه في بعض الأحيان بالأخبار كما كان أيضًا في بعضها يشيره! السر عسكر الذي جمع مع قيادته للجيش رئاسته لـ «مُز» لا يعتني به ولا يهتم. ولا بد سيكون له رجاله في الحكم. لكن التليفون دق على مكتبه وجاءه صوت العقيد مؤنس يقول:

- سيادة السر عسكر ناظر الحربية مع حضرتك يا معالي الوزير.

نظر إلى رجاله الكبار ثم تكلم:

- آلو يا افندم.

- أنا سأتكلم بعد ربع ساعة.

- أعرف يا افندم.

- المهم ما بعد ذلك.

- لا أفهم ما تقصد يا افندم.

- أقصد ما سيحدث بعد أن أتكلم. المهم تكون قواتك على أهبة الاستعداد لمنع أي مظاهرات أو تجاوزات.

تردد وزير الأمن والأمان لحظة ثم سأل:

- طيب هل يمكن أن أعرف ماذا ستقول بالضبط ربما أقترح شيئًا على سيادتك.

- غير مهم أن تعرف الآن. ستعرف حين أتكلم.

تضايق وزير الأمن والأمان. ظهر الضيق على وجهه إلا أنه ضم شفته وفتح عينيه ثم قال:

- يا افندم أنا عندي حلول للمظاهرات إذا خرجت ويمكن أن لا تخرج.

- ستخرج. دعنا من حلولك. ستكون أقوى من المرة السابقة وسعاد حسني التي تعتمد عليها مع الثوار وليست معك. نفذ التعليمات وأنت ساكت. مع السلامة.

ترك وزير الأمن سماعة التليفون من يده وبدا في غضب شديد. صرخ:

- يشتمني. خلاص. إذا خرجت مظاهرات فلا هوادة مع الشعب. افعلوا ما تستطيعون من مذابح حتى يتدخل مجلس إدارة العالم وتحتل لاوند دول العالم بقرار من المجلس ويتم تعليقكم جميعًا في الميدان الكبير! ينتهي الاجتماع وكل واحد يروح يشوف حيقتل كام ألف لما تخرج الناس إلى الشوارع ومبدئيًا اقتلوا كل المحبوسين في السجون وأقسام البوليس. لا. انتظروا. الأفضل إطلاق سراحهم ليس بعد المظاهرات لكن بعد أن ينتهي يروح أمه من كلمته. وإذا استطعتم تسليح المجرمين بالسلاح الزائد في أقسام البوليس سلحوهم. يا أنا يا هو اللي يشتمني. وسوف أرى سعاد حسني معهم أم معي؟

كان العقيد مؤثر قد دخل حين سمع صرخات الوزير فرآه الوزير فصرخ فيه:

- وأنت يا مؤثر شوف لي حالة أورجازم هنا حالًا. أنا سأمتع نفسي وأنتم ولعوا البلد.

لكن انفتحت أبواب صالة الاجتماع وحدها ودخلت منها قوات ملثمة رافعة الرشاشات أمامها، ووقف أمامه رئيس «حماية الدولة» قائلًا:

- منتهى الأسف يا افندم. نحن مضطرون للقبض عليك. انتهى دورك يا «عواد العبد الحبشي». كيف تحملنا وزيرًا يحمل هذا الاسم كل هذه السنين؟ مكانك هناك في السجن في الأعمال الشاقة. هذا إذا تـرأف بك الحاكم الجديد ولم يقتلك. كلنا نعرف أنك من وراء صفحة «مالناش في السياسة». كلنا يعرف تدبيرك مع سعاد حسني. وكلنا يعلم أني الوزير من الآن.



كلما تقدمت الدقائق زاد التوقع وزاد الشوق وزاد الصمت والقلق. كانت شاشات الفضائيات جميعًا، الخاصة والحكومية، قد تركت كل برامجها وراحت تذيع مشاهد من حياة الحاكم أمير أبو العساكر. صوره في طفولته وصباه وشبابه في الكلية العسكرية والحروب التي خاضها في لاوند وخارجها وصور لزوجته في طفولتها وصباها وشبابها

وصور لأبنائه. ابنه وبنته وأولادهما الذين هم أحفاد الحاكم وجلساته بينه أبنائه وأحفاده. صور له مع الحاكم السابق والأسبق. صور له في مقام الحج والعُمرة وفي المصانع المختلفة. صور له وهو يخطب في الناس يوم ظهر الديناصور في الميدان الكبير. صور له وهو يلعب التنس مع زوجته ومع ابنته ومع رؤساء بعض الدول. صور له يوم وفاة أبيه وأخيه الأكبر وأخيه الأصغر وأخته الكبيرة وأخته الصغرى وكيف صار وحيدًا إلا من العائلة التي كوّنها مع زوجته سناء أم اللاوندين كما يحب الإعلاميون أن يسموها. لقاءاته مع المثقفين في معارض الكتب ومع رجال الأعمال في المؤتمرات الاقتصادية وطال الوقت بالمنتظرين رغم أن ذلك كله لم يستغرق عشر دقائق.

ضحك أحمد خشبة وقال: «مش حنخلص من صور أبو العساكر وأهله. يا عم اظهر واتكلم وخلصنا».

تساءلت نورهان:

- مَن الذي يظهر؟

قال أحمد خشبة:

- السر عسكر ناظر الحربية. واضح أن صاحبنا فلسع!

قالت شهيرة:

- يكون مات؟

قال مصطفى:

- مثله لا يموت.

قال نزار:

- الصبر.

ونادى أمه طالبًا أن تعد لهم بعض أكواب الشاي، فقالت: «شكلها قهوة سادة اليوم» فضحكوا وإذا بالنشيد الوطني يرتفع من الشاشة وصور لفرقة عسكرية تعزفه فحط الصمت من جديد إلا في بيت زعيم النصيحة والهدى الذي همس لأعضاء المكتب القيادي: «شكلها انقلاب عسكري».

تبادلوا النظر في دهشة وحيرة وتوجُّس وظهر السر عسكر واقفًا أمام الشاشات:

«أيها الإخوة والأخوات. في هذه اللحظات العصيبة التي تمر بها البلاد لا معنى لأي شيء غير الحقيقة. نحن رجال الجيش العسكريين لا نؤمن بالخرافات والأساطير لكن الذي حدث في بلاد اللاوند، بلادنا الحبيبة، يجعلنا نعترف أن الخرافات صارت حقيقة ومن ثم لا بد من مواجهتكم بهذه الحقائق وأرجو أن تساعدونا على تجاوز محنتنا. كل ما جرى العام الماضي كان حقيقة وكل ما قاله الحاكم كان كذبًا. فنحن لم نكن في عام 2010 بل كنا في عام 2011 وبدأنا منذ أسابيع عام 2012. كان سبب الرجوع عامًا في التقويم الميلادي

وبالطبع الهجري الذي للأسف نسيته هو أن الحاكم أمير أبو العساكر كان قد نجح بالفعل بقوة خرافية لم تتحقق إلا له أن يلقي بكل شباب الثورة إلى عام سابق، وليس أمامنا إلا أن نعترف أن مَن أعادهم إلى الحياة بعد ساعات لم يكن مرور العام لكن كانت الفنانة الراحلة سعاد حسني. أرجوكم لا تضحكوا مما أقول. فلقد ألقى بي أنا شخصيًا حاكم البلاد إلى عام 2010 ومدير المحن والأزمات السابق هو الذي أعادني على الفور لأنه كان يعرف مكاني في الصحراء. للأسف لقي هو المصير نفسه لكن لا نعرف إلى أي عام ألقى به الحاكم ولا إلى أي مكان. كل ما جرى بعد ذلك من خرافات كان حقيقيًا، حتى إن وزير الأمن والأمان وجد لنفسه طريقة للاتصال بالفنانة الراحلة سعاد حسني التي دفنت في بلادنا رغم أنها من مصرايم القريبة منا، واتفق معها أن يكون في صف الثورة حتى يمسك الحكم ويقضي على حاكم البلاد. أرجوكم لا تضحكوا. التفاصيل كثيرة والحكايات مرعبة وكنت أعرف أن وزير الأمن والأمان لن يكون في صف الثورة أبدًا، بل يريد الحكم لنفسه ثم يقضي بعد ذلك على الثورة وعلى زهرة شباب الوطن بما توفر له من آلات قمع عصرية جبارة وردت إلى البلاد العام الماضي تعويضًا عمًا خسرته في يوم 28 يناير عام 2011. لقد حذرت الحاكم العظيم أمير أبو العساكر من خطة هذا الوزير لكن الذي حدث أن الحاكم اختفى أمس هو وزوجته من البلاد ولا يعرف أحد أين ذهبا. هل لحقا بابنه الذي كان يمهد له للوصول إلى الحكم والذي يقضي وقته في جزر تاهيتا منذ عام، أم أخطأ في التقدير وأساء

إلى نفسه وزوجته فخرجا من زماننا إلى زمن بعيد؟ هل سيعود برمًا للظهور؟ هذا أمر متروك لله سبحانه وتعالى. المهم أن تتأكدوا أنه لا ثأر لي في البلاد. لذلك قمت بالقبض على وزير الأمن والأمان الذي كان يخطط للاستيلاء على الحكم ثم يقوم بالقبض على الملايين من الشباب الثائر. اخترت اليوم الخامس والعشرين من يناير موعد الثورة السابقة لأعلن لكم ذلك، وأبشركم أننا مقبلون على أيام أجمل أرجو أن تساعدوني عليها. وأول المساعدة أن تلزموا بيوتكم ولا تكرروا ما فعلتم العام الماضي، وأن تعود البلاد إلى التقويم الصحيح. اليوم هو الخامس والعشرون من يناير عام 2012. انسوا تمامًا أننا في عام 2011. لقد انتهى ذلك العام بما حمل من الثورة. وأرجو أن لا يسيء أحد إلى ما أقوله بفهمه على النحو الخطأ. وأقصد أنني منذ اليوم أعلن حظر التجوال لمدة خمسة أيام كاملة ليل نهار الزموا فيها بيوتكم حتى يمر الثامن والعشرون من يناير بلا مظاهرات ولا فوضى، وفي الثلاثين من هذا الشهر سأقدم إليكم خطة عمل جديدة لبناء وطننا، لاوند أم الدنيا وزينة البلاد. ستكون الخطة قائمة على أساس ديموقراطي لم تعرفه البلاد منذ سبعين سنة، وأول مظاهره فتح باب الترشيح لحكم البلاد. ساعدوني أساعدكم ووفقنا الله لما فيه خير البلاد والعباد».

على الفور انطلقت الضحكات من منزل نزار ومن آلاف المنازل عبر أنحاء لاوند بينما حط الصمت على أعضاء مكتب النصيحة والهدى الذين قرروا بعد دقائق الالتزام بحظر التجوال ومساعدة السر عسكر ناظر الحربية على إنجاز خطته خاصة أنه لم يذكرهم بسوء رغم أنهم

ممن خدع الناس بتغيير العام. وعلى الفور ظهر هاشتاج يدعو للهدوء والانتخابات:

#علشان_نعدي_الموقف_الصعب. اهدأوا واسمعوا للحاكم الجديد.

#علشان_نعدي_الموقف_الصعب. الانتخابات هي المخرج والانتخابات مش بعيد.

#علشان_نعدي_الموقف_الصعب. اللي دعا للانتخابات هو الحاكم الصح. غير كده فوضى وبلدنا مش متحملة.

وبينما يدور الهاشتاج السابق حول هذه العبارات كانت شهيرة تقف هي وشيماء ونورهان وقد ظهر لكل منهن فجأة جناحان متصلان بذراعيها والجميع ينظرون إليهن غير مصدقين ما يحدث. هتفت شهيرة: «هذه علامة النزول إلى الميدان. قلت لكم ذلك فلم تصدقوني»، وهتفت نورهان: «لقد أصبحنا جميعًا بيجاسوس فرس سعاد حسني»، وهتفت شيماء: «نحن النساء سنعيد الثورة من جديد» وانفتحت النافذة الكبيرة بينما تجمد ماما كريمة في وقفتها حائرة ولا تفارق الدهشة عيون الشباب. قفزت شهيرة من النافذة محلقة بجناحيها في الفضاء وخلفها نورهان وشيماء. دخل في نفس اللحظة طائر صغير يحمل بين منقاريه ورقة تركها على الأرض وعاد مسرعًا محلقًا إلى السماء. انحنى أحمد خشبة ذاهلًا وتناول الورقة وقرأ بصوت مخنوق: «لا تلوموني. أعطيت قدراتي فقط لكل بنات لاوند. لن يعتقلهن أحد

أبـدًا بعـد اليوم.. هديل من الشـام»، ثـم انطلق صوته فـي فرح: «قلت لكم معنا الميـتافيزيقا كلهـا». ضـحكوا وصـفقوا بينما كانت ماما كربمة لا تـزال متجمـدة فـي مكانها من الذهـول. ما الذي يحـدث في لاوند وكيـف اختلـف الزمـان إلى هذا الحد؟ هـل هو الله الكريـم أم الكون سـخر للشباب إمكاناته الـسحرية؟ هل ما تراه حقيقة أم خرافة!؟ ودون أن تدري كان هاشتاج ناري يدعو الناس إلى الثورة. يدعو الشباب إلى النزول إلى الميادين.

#خرافة_أم_حقيقة_انزل. انسـوا ما قال الـسـر عـسكر. ما اختفاء أبو العساكر إلا خطة لمرور الأيام وسيظهر يوم 30 يناير.

#خرافة_أم_حقيقة_انـزل. مش حنـسمع لحد من النظام القديم. كل رجال أبو العسـاكر عـساكر.

#خرافة_أم_حقيقة_انزل. شبعنا وعودًا والنتيجة دايمًا كل شـيء يرجع لما كان عليه.

#خرافة_أم_حقيقة_انزل. هذه فرصتنا لن نعوضها. بلد بلا حاكم ولا وزير أمن وأمان طاب قطافها.

#خرافـة_أم_حقيقة_انـزل. النصيحـة والهـدى أعلنـوا بـسـرعة موافقتهـم على حظر التجوال فلا تنسـوا أنهم خدعونا بعودة العام إلى الوراء.

#خرافة_أم_حقيقة_انزل. بناتنا تطرن الآن في سماء لاوند فهل يجلس الرجال في البيوت؟

#خرافة_أم_حقيقة_انزل

#خرافة_أم_حقيقة_انزل

#خرافة_أم_حقيقة_انزل

#خرافة

_أم

_حقيقة

_انزل

انزل

انزل

ان

زل

ا

ن

ز

ل

[illegible] ....

ا

ن

ز

ل

«انتهت»

لاروشيل - فرنسا

القاهرة 2015 - 2016

للمؤلف

أولًا- الروايات:

1- في الصيف السابع والستين.

2- ليلة العشق والدم.

3- المسافات- ترجمت إلى الإنجليزية.

4- الصياد واليمام «حولت إلى فيلم سينمائي بعنوان: صياد اليمام.. بطولة أشرف عبد الباقي».

5- بيت الياسمين - ترجمت إلى الفرنسية والإيطالية والإنجليزية.

6- البلدة الأخرى - ترجمت إلى الفرنسية والإنجليزية والألمانية.

7- قناديل البحر - حولت إلى مسلسل تلفزيوني بطولة آثار الحكيم ومحمود قابيل.

8- لا أحد ينام في الإسكندرية- حولت إلى مسلسل تلفزيوني بطولة ماجد المصري ومادلين طبر وسهير المرشدي - ترجمت إلى الفرنسية والإنجليزية والإسبانية.

9- طيور العنبر - ترجمت إلى الإنجليزية.

10- برج العذراء.

11- عتبات البهجة - ترجمت إلى الفرنسية واليونانية.

12- شهد القلعة.

13- في كل أسبوع يوم جمعة - تُرجمت إلى الألمانية.

14- الإسكندرية في غيمة.

15- هنا القاهرة.

16- أداجيو - تُرجمت إلى الفرنسية والإنجليزية.

«لا أحد ينام في الإسكندرية - طيور العنبر - الإسكندرية في غيمة» هي ثلاثية الإسكندرية.

ثانيا - المجموعات القصصية:

1- مشاهد صغيرة حول سور كبير.

2- الشجرة والعصافير.

3- إغلاق النوافذ.

4- فضاءات.

5- سفن قديمة.

6- ليلة أنجيلا.

كلها الآن في مجلد واحد بعنوان: «أشجار السراب».

7- حكايات ساعة الإفطار.

ثالثًا - كتب متنوعة:

1- مذكرات عبد أمريكي - ترجمة عن الإنجليزية - تأليف فريدريك دوجلاس.

2- 24 ساعة قبل الحرب - مسرحية.

3- أين تذهب طيور المحيط - أدب رحلات.

4- ما وراء الخراب - مقالات في الدين والآخر والهوية والنهضة والتراث.

5- السبت فات والحد فات - مقالات.

6- أيام التحرير - سيرة أيام ثورة يناير.

7- مَن الذي يصنع الأزمات في مصر - مقالات.

8- ما وراء الكتابة: تجربتي في الإبداع.

رابعًا - الجوائز:

1- الجائزة الأولى في القصة القصيرة على مستوى الجمهورية - نادي القصة بالإسكندرية 1969.

2- جائـزة نجيب محفوظ في الرواية عن البلدة الأخرى - الجامعة الأمريكية، 1996.

3- جائزة الدولة للتفوق في الآداب عام 2004.

4- جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام 2007.

5- جائزة ساويرس في الرواية لكبار الكتاب عن رواية «في كل أسبوع يوم جمعة» عام 2011.

6- جائزة كتارا عام 2015 عن رواية «أداجيو».

7- جائـزة الشيخ زايد في الآداب عام 2016 عن كتاب: «ما وراء الكتابة: تجربتي في الإبداع».

للاتصال بالكاتب:

Twitter: @ibmeguid
facebook: Ibrahim Abdel Meguid
E.Mail: ibrahimabdelmeguid@hotmail.com

" أذاع الراديو وتلفزيون الحكومة الرسمي بيانًا يطالب فيه كل مَن يرى قطة في الطريق أو يعرف مكانًا للقطط أن يساعد الدولة في صيدها وتسليمها إلى أقرب نقطة بوليس خوفًا من أن تعود القطط إلى حالتها الأولى، وتتحول إلى شباب مأجور من دول أجنبية يُسمون بالثوار. كما أن الأمر فيما بعد يمكن أن يشمل المجرمين الذين كانوا في الأقسام ومقرات الحجز المختلفة وتحولوا بدورهم إلى قطط، ومن ثم فكل قطة تدخل البيت ستعرف أماكن الأموال والذهب، والدولة غير مسؤولة عن حالات سرقة لن يعرف أحد أصحابها".



ماذا يمكن أن يحدث إذا كان حاكم البلاد التي نسمي هنا " لاوند " لديه قدرات سحرية على إلقاء الناس في أعوام سابقة؟ ماذا يمكن أن يحدث إذا قامت ثورة من الشباب الذين لا يملكون إلا صوتهم وحبهم للوطن ؟! وقام بإلقائهم في العام السابق ؟

رواية جديدة للكاتب الكبير إبراهيم عبد المجيد صاحب "ثلاثية الإسكندرية" و"البلدة الأخرى" و"في كل أسبوع يوم جمعة" و"أداجيو" و"هنا القاهرة" وغيرها من الروايات الشهيرة في مصر وخارجها والتي ترجم أكثرها إلى لغات مختلفة.

الدار المصرية اللبنانية